بَشَرِيَّةُ المَسِيحِ وَنُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ

(صلّى اللهُ عليهما وسلَّمَ)

فِي نُصُوص كُتُب العَهْدَيْن

(رَدٌّ على شُبَهِ المنصِّرِينَ والمسْتَشْرِقين)

● وهو القسم الثاني لكتاب

المناظرة الكبرى

بين

العلاّمة الشيخ رحمت الله الهندي والقسيس الدكتور فندر

تأليف

د. محمد أحمد محمد عبدالقادر خليل ملكاوي

جامعة الملك سعود - كلية التربية

الرياض

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطابع الفرزدق التجارية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وحده، والصلاة والسلام على من لانبيَّ بعده، أمّا بعد:-

فإن للعقيدة عند المسلمين المكانة الأولى في حياتهم، ولذا فإن من حقها عليهم أن تلقى من العناية والاهتمام ما يناسب مكانتها ويليق بجلال موضوعها.

وإن الدفاع عن العقيدة الإسلامية ومناظرة خصومها ومنازلتهم ودفع شُبَهِهم التي يلبسون بها على الناس من أصعب المسائل وأشد الموضوعات تشعّباً، ممّا يتطلّب من المُناظِر الغوص في جميع الفنون التي لها علاقة بموضوعه؛ ليستخرج منها مايفحم الخصم ويلجمه، وإن مناظرة أهل الكتاب والتعمق بخفايا كتبهم من الصعوبة بمكان، وقد كان للشيخ رحمت الله الهندي اليد الطولى في هذا المجال فدرس وحقق وناظر قساوسة عصره، وبخاصة كبيرهم المسمى (فندر)، فأقام الحجة عليهم في كل الجولات، ولا أدل على ذلك من هروب المنصِّر فندر دون إتمام المناظرة التي يعدُّ القسم الأوّل من هذا الكتاب رصداً لحلقاتها وتقييداً لوثائقها، مع أنّ المذكور يُعَدُّ من أكبر المنصرين والمستشرقين في القرن التاسع عشر الميلادي، وفي وقت ازدهار الاستعمار الذي سانده وأمثاله من المنصرين.

وقد جاء جهد أخينا الدكتور محمد أحمد محمد عبدالقادر الملكاوي مصنِّفًا ومرتِّبًا لتلك الموضوعات التي كانت مدار النقاش، وحلاّها بما أضافه إليها من إضافات قيمة دعمت مارصده الشيخ رحمت الله وأيدته، فجاءت تلك المعلومات منتظمة مبسطة يسهل الوصول إليها لمن أراد الدخول في هذا الميدان.

وإن الموضوعات التي ضمّها هذا الكتاب بقسميه وهي: إثبات النسْخ والتحريف في كتب العهدين، وإبطال دعوى التثليث وألوهية المسيح، وإثبات كون القرآن الكريم كلام الله، وإثبات نبوة محمد ﷺ، تعدُّ أساس القضايا التي يدور حولها الجدال مع المنصّرين وأعوانهم، ولمّا كان القسم الأول من هذه الدراسة قد تناول موضوعيْ النسْخ والتحريف، فإن تكميله بهذا القسم الذي تناول بقية الموضوعات يعدُّ متمماً لتلك الدراسة، ولعل فضيلة الدكتور محمد يتحفنا به في طبعة جديدة في كتاب واحد يضم تلك الموضوعات مجتمعة، أسأل الله تعالى أن يجزيه عن الإسلام والمسلمين بأحسن الجزاء، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

كتبه د/عبدالله بن أحمد الزيد

الوكيل المساعد للطباعة والترجمة

بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرياض ٢/١٢/١٤١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيــــد:

منذ أن اطّلع اليهود والنصارى على دعوة القرآن الكريم في الجزيرة العربية وماحولها، لم يقصّروا في إثارة الشُّبَه على دين الإسلام ونبيّه محمد ﷺ وعلى القرآن الكريم، محاولين بذلك إطفاء نور الله، وتوارث خلَفهم هذه الشُّبه عن سلفهم، حتى غدا معظمها مكروراً وإن اختلف أسلوب عَرضِها.

وقد سرى تأثيرُ هذه الشُّبه إلى بعض أبناء المسلمين في القرون المتأخرة، حيث أخذوا يُردِّدون هذه الشُّبه دون وعْي، بل ويَعدّون الخوض فيها عنوان التقدم والحضارة، وسِمة البحث العلمي الجادّ. وأعتقد أنّ الذي جرّهم لذلك أمور أهمها:

أولاً: قلة اطّلاعهم على ماكتب أسلافنا الأوائل في ردّ هذه الشُّبه، فالتبس عليهم الحق بالباطل.

ثانيًا: انخداعهم ببريق التقدم العلمي في الغرب ظانّين أنّ بحوث الغربيين في علم الأديان المقارَن لاتقلّ نزاهة وقداسة عن البحوث العلمية التجريبية والتقدم الصناعي.

ثالثًا: غفلتهم عن حقيقة المعركة وهدفها وجذورها، وحقيقة المعركة بين الإسلام وغيره أنها معركةٌ بين دين الله الحق وسائر العقائد الباطلة والمحرفة، وهدفها القضاءُ على دين الإسلام وإطفاءُ نوره وتشويهُ عقائده الصافية، وإبطالُ أثره بصفته نظامًا شاملاً للحياة الإنسانية، والقضاءُ على قوته السياسية والعَسكرية، وجذورها ضاربة في التاريخ عمقًا زمنيّاً ومكانيّاً، فهي معركةٌ حامية لم تهدأ منذ وُجد على الأرض إيمانٌ وكفرٌ وإلى قيام الساعة كما وردت بذلك الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

وقد كُتبتْ كتابات كثيرة للدفاع عن حمى الدين والعقيدة، وهي في غالبها مستندة لبيانِ القرآن الكريم والسنّة الشريفة دون الاهتمام بما في كتب أهل الكتاب من الحق الذي لم يُحرَّف.

ومن العلماء الذين ناقشوا مسائل العقيدة النصرانيّة وأثبتوا صحة النظرة الإسلامية فيها بالاستناد لما في كتب العهدين شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن حزم الظاهري وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

وكان الشيخ رحمت الله هو المجدّد لهذه الدراسة المقارنة في منتصف القرن التاسع عشر، ولا أبالغ إذا قلتُ: إنّ كثيراً من الكتابات الحديثة تعتمد على كتابات الشيخ رحمت الله في هذا الميدان.

ولا يُظنّ أنني سأكتب في هذه الرسالة كتاباً عن نبوة محمدﷺ وعن إعجاز القرآن الكريم وعن طبيعة المسيح عليه السلام. فالكتب في هذه الموضوعات لاتحصى قديماً وحديثاً، وهو ليس غرضي في هذه الرسالة، إنما غرضي فيها هو وضْع منهاج للمناظرة في الموضوعات الثلاثة التي تخلّف القسيسُ الدكتور فندر عن إتمامها، مستنداً في ذلك بصفة رئيسية إلى كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله، وموثّقًا لكل ما أقوله بنصوص كتب العهدين، ومستعيناً بكتابات العلماء السابقين وأقوال الأحبار المنْصفين الذين هداهم الله إلى الإسلام، ومضيفًا أدلّة جديدة ذات فائدة علمية تعدُّ تَتمّة لما لم يذكره الشيخ رحمت الله.

وإنّه وإنْ كان المنصّرون وأغلب المستشرقين لم يفيدوا من كتابات الردود الإسلامية السابقة واللاحقة بسبب تعصبهم الذميم، فإنني أعتقد أنّ البحث سيخدم - بإذن الله - نواحي أساسية:

أولها: مواصلة مسيرة السلف في ردّ مزاعم المنصّرين والمستشرقين ومفترياتهم على الإسلام والقرآن الكريم، وعلى نبيّنا محمدﷺ، وإظهار جهاد علمائنا في سبيل الدين والعقيدة الإسلامية الخالصة.

وثانيها: وضع منهاج يتضمن خطوطًا أساسية وعريضة لعلم الأديان المقارَن بشكله الصحيح، لأنّ أصدق من بحث في علم الأديان المقارن هم المسلمون؛

لاستنادهم في قواعد هذا البحث إلى أصول إيمانية وتاريخية ثابتة، بينما نجد غير المسلمين يخبطون في بحوثه خبط عشواء، فتأتي أبحاثهم أشبه ماتكون بالخرافات والأساطير، وتأتي نتائج أبحاثهم معكوسة في غالب الأحيان، وذلك لافتقارهم إلى تلك القواعد والمقدمات التي يعتمد عليها المسلمون.

وثالثها: وضع الحقيقة العلمية والدينية بين أيدي شبابنا المعاصر - وبخاصة المخدوعين منهم بالمنصّرين والمستشرقين والمستغربين - الذين لم تُتَحْ لهم فرصة الاطلاع الكافي على مصادر هذه الشُّبه وغاياتها والرّد الكافي عليها، وهم يجهلون أنّ أفكار المنصّرين وافتراءاتهم واحدة على مدار الزمان والمكان، وأنهم يجترّون على موائد مَن سبقهم، وأنّ القرآنَ الكريم بعقائده الصافية والعلماءَ المدافعين بردودهم الشافية والذين هداهم الله للإسلام من علماء أهل الكتاب بأقوالهم وكتاباتهم الصريحة، قد زلزلوا قواعد هذه الشُّبَه من أصولها، حتى أصبحت هشيمًا تذروه الرياح، فلم تنفع السابقين في زعزعة العقائد الإسلامية فضلاً عن أن تنفع اللاحقين.

ورابعها: لفت نظر العلماء والمدافعين عن العقائد الإسلامية إلى كتابات الشيخ رحمت الله، والتي نالت الرضا والقبول لدى جميع الأوساط الإسلامية خلال أكثر من قرن من الزمان، وتشجيع مثل هذه الدراسات النقدية لكتب العهدين.

ولـمّا ألّف الشيخ رحمت الله كتابه إظهار الحق رتّب الكلام فيه على حسب ما كان مقرراً في موضوعات المناظرة الكبرى، فتكلّم فيه على النَّسْخ أولاً، ثم تكلّم على التحريف، ثم تكلّم في إبطال دعوى التثليث وألوهية المسيح، ثم تكلّم على كون القرآن الكريم كلام الله، ثم تكلّم في إثبات نبوة محمد ﷺ.

ولـمّا كان القسم الأول من هذه الرسالة مخصصًا للمناظرة الكبرى والتي اقتصرتْ على مبحثيْ النَّسْخ والتحريف، رأيتُ من المناسب أنْ يكون هذا القسم الثاني مخصصًا لمناقشة المسائل الثلاث التي امتنع القسيس فندر عن إتمام المناظرة فيها، ولاشك أنّ هذا الامتناع كان في غير صالح المسلمين والنصارى،

لأنّ من صالح الجميع أنْ يتمّ عرض هذه المسائل أمام جمهور الحاضرين، وأن يُدْلِيَ كلُّ طرف بحُجَّته؛ ليكون ردُّ الشيخ على شبهات القسيس فندر وأدلته واضحًا أمام الجميع، وليسجلَ لنا تاريخُ المناظرات والعلماءُ المهتمّون مزيداً من فنون المناظرة وطرق الحِجاج وسبل إفحام الخصم التي تستلزم أن يُخرج الطرفان أقصى ماالديهما من مسائل دقيقة في الموضوع الذي يتناظران فيه.

وقد رتبتُ الكلام على هذه المسائل الثلاث الباقية، على نفس ترتيب الشيخ رحمت الله لها في كتابه إظهار الحق، وحسبما كان مقرراً في المناظرة الكبرى، وذلك لأنه بعد أنْ ثبت وقوعُ النَّسْخ والتحريف في كتب العهدين بَطَل احتجاجهم بها علينا، وبخاصة في أهمّ مسائل العقيدة النصرانية المحرّفة وهي دعوى التثليث وألوهية المسيح، حيث يزعم النصارى أنّ لهم أدلة على هاتين العقيدتين من كتب العهدين، فيكون من المناسب جداً أنْ يُذكَر إبطالُ أدلتهم من كتب العهدين على دعوى التثليث وألوهية المسيح بعد ذكْر أدلة وقوع النَّسْخ والتحريف في هذه الكتب.

وأما تأخيرُ الكلام على إعجاز القرآن ونبوّة محمد ﷺ فهو الأنسب؛ لأنّ النصارى يجعلون إنكارَ عقيدة التثليث وإنكار ألوهية المسيح مدارَ إبطال النبوّة، بمعنى أنّه لو كان محمد ﷺ نبيّاً صادقًا وكان القرآنُ من عند الله حقّاً، لأتَيَا بالتثليث وألوهية المسيح، فإنكارهما للتثليث وألوهية المسيح سبب عدم إيمان النصارى بهما، لذلك ليس من المناسب الحديث عن إعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ قبل بيان بُطلان هاتين العقيدتين، فإذا ثبت للخصم نَسْخُ كتب العهدين وتحريفُها وثبتَ بطلانُ عقيدتيْ التثليث وألوهية المسيح؛ لم يبق أمامه إلاّ التسليم بإعجاز القرآن الكريم ونبوة محمد ﷺ.

ولمّا كان الرسلُ يعتمدون في تأييد صدْق مايدْعون إليه على المعجزات؛ لذلك قدّمتُ الكلام عن إعجاز القرآن الذي هو دليل صدْق نبوّة محمد ﷺ، وأرى أنّ ترتيب الموضوعات بهذا الشكل يجعل البحث تاماً بتسلسل واتّساق.

وأحبُّ أنْ أذكر قبل بدء الكلام على هذه المسائل الثلاث، أنني لم أكتب فيها للمؤمنين المصدّقين بالقرآن الكريم؛ لأنّ تلاوةَ بعضِ آياته يكفي للتصديق بجميع العقائد الإسلامية الصحيحة والتي أعلاها الإيمان بتوحيد الله، وبنبوّة محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وبكون القرآن موحىً من الله تعالى وأنه كلامه.

وسيكون كلامي مقتصراً على مناقشة المنصِّرين بأسلوب منسجم مع أسلوب المناظرة ومنهجها، بمعنى أنني سأركّز على الأفكار الرئيسية دون الأفكار الفرعية لأنّها داخلة في المسائل الأصولية، وسأركّز على إيراد الشواهد من كتب العهدين التي يعترفون بها، زيادة في إفحام الخصم وإلزامه الحُجَّة.

وقد عالج الشيخُ رحمت الله في كتابه إظهار الحق هذه المسائل لتنفع المسلمين وغيرهم، ممّا جعله يطيل في معالجتها، في حين لو فُسح له مجال المناظرة فيها لم يكن ليطيل هذا التطويل، وإنما كان سيقتصر على مايعترف به الخصم من كلام كتبه.

وهذا ما دفعني للقيام بتنقيح البحث في هذه المسائل ليجيء على نمط المناظرة، مستعيناً بكتاب إظهار الحق الذي عرض فيه الشيخ رحمت الله مسائل المناظرة الخمس عرضًا وافيًا، لكنه زاد على منهاجه في المناظرة؛ لأنه كان في كتابهِ مؤلِّفًا وليس مناظراً.

ولذا فسيكون عملي في هذا القسم الثاني هو عَرْضَ هذه المسائل الثلاث الباقية من وجهة نظر المنصّرين، والردَّ عليهم بما يجوّزون الاستدلال به من كتبهم وبما يصلح للمناظرة معهم، فجاء الكلام فيه في ثلاثة أبواب وخاتمة:

فأمّا الباب الأول فناقشتُ فيه دعواهم التثليث وألوهية المسيح من خلال أربعة فصول: ذكرتُ في الفصل الأول منها ستة عشر قولاً للمسيح تبيّن إقراره بعبوديته لله، وأنه ليس أكثر من رسول وبشرٍ عابد لله الواحد الأحد، وذكرتُ في الفصل الثاني إبطال ثمانية أدلّة من أدلتهم على ألوهية المسيح من كتب

العهد الجديد، كما ذكرتُ في الفصل الثالث إبطال أدلتهم على التثليث من كتب العهد القديم، ثم ذكرت في الفصل الرابع بطلان استدلالهم بآيات القرآن الكريم على ألوهية المسيح.

وأمّا الباب الثاني فرددتُ في الفصل الأول منه على عشر شُبَه من شُبَههم ضد القرآن الكريم، وذكرتُ في الفصل الثاني منه أدلّة عقلية تفيد أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، وليس من كلام محمد ﷺ كما زعموا.

وأمّا الباب الثالث فخصصته للحديث عمّا تضمنته كتب العهدين من البشارات برسالة الإسلام ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام، واقتصرت فيه على ذكر أربع عشرة بشارة منها.

وأمّا الخاتمة ففيها بيان النظرة الإسلامية لعيسى عليه السلام من خلال آيات القرآن الكريم.

ويسرّني أنْ أقدّم للقراء والباحثين المدقّقين وطلبةِ العلم هذا القسم الثاني الذي سمّيتُه اسمًا يدلّ على مضمونه ومحتواه، فهو بعنوان «بشريّة المسيح ونبوّة محمد صلّى الله عليهما وسلم في نصوص كتب العهدين».

وأسأل الله تعالى أنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن أكون قد وُفقتُ لأداء واجبي في هذه المناقشة، وإبرازها إبرازاً جيداً في الشكل والمضمون، وأن ينفع الله بها أبناء المسلمين في ردّ افتراءات المنصّرين والمستشرقين، وأن يهدي الله بها من شاء من عباده إلى الصراط المستقيم، وسبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

د. محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي

الرياض

الجمعة ١٤١٢/٧/٦هـ

الموافق ١٩٩٢/١/١٠م

الباب الأول

مناقشة المنصّرين في دعوى التثليث وألوهية المسيح

تمهـــــيد:

يُجْمع النصارى على القول بالتثليث، وعلى أنّ المسيح هو ابن الله، وهو الله، وهو ثالث ثلاثة، وهو الأقنوم الثاني من الأقانيم الإلهية الثلاثة، والظن بأنّ انقسام النصارى إلى فرق مبني على قول فرقة: إنه الله، وقول أخرى: إنه ابن الله، خطأ واضح؛ لأنّ هذا الانقسام جاء نتيجة لاختلافهم في طبيعة المسيح، وفي كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهذه الفرق قديمها وحديثها متفقة على القول بتثليث الأقانيم والألوهية الكاملة لكل أُقنوم، فهم جميعًا يدْعون المسيح ويستغيثون به، ويسمونه إلهًا وربّاً، وكلُّهم مجْمعون على الأمانة التي تنصّ على ذلك، والتي وضع أساسها مجمع نيقيّة سنة ٣٢٥م.

فأما قوله تعالى في سورة النساء آية ١٧١ ﴿**ولاتقولوا ثلاثة**﴾، وفي سورة المائدة آية ٧٣ ﴿**لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالثُ ثلاثة**﴾، وفي سورة المائدة آية ١١٦ ﴿**أأنت قلت للناس اتخذوني وأمِّيَ إلهيْن من دون الله**﴾، وفي سورة التوبة آية ٣٠ ﴿**وقالت النصارى المسيحُ ابنُ الله**﴾، فهو حكاية لأقوالهم جميعها، وليس في ذلك إشارة إلى قول كلّ طائفة على حدة، بل غاية ماتدل عليه هذه الآيات أنّ النصارى جميعًا يقولون بهذه الأقوال التي مؤدّاها ادّعاء ألوهية المسيح وأنه ابن الله وأنه ثاني الأقانيم الإلهية المثلثة.

وقد خطّأ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله تعالى ابنَ جرير الطبري والثعلبي وغيرهما من الذين ظنوا انقسام هذه الأقوال على طوائف النصارى، ثم قال:

«والصواب أنّ هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة الملَكية واليعقوبية والنسطورية، فإنّ هذه الطوائف كلها تقول بالأقانيم الثلاثة: الآب والابن وروح القدس، فتقول إنّ الله ثالث ثلاثة، وتقول عن المسيح إنه الله،

وتقول إنه ابنُ الله، وهم متفقون على اتحاد اللاهوت والناسوت، وأنّ المتّحد هو الكلمة، وهم متفقون على عقيدة إيمانهم التي تتضمن ذلك»[1].

وقد جاء ردّ الشيخ رحمت الله على هذه العقائد الباطلة في الباب الرابع من كتابه إظهار الحق بعنوان: (في إبطال التثليث)، وقد قسمه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في إبطال التثليث بالبراهين العقلية.

الفصل الثاني: في إبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام.

الفصل الثالث: في إبطال الأدلة النقلية على ألوهية المسيح.

وقد رأيت الاستغناء عن الفصل الأول؛ لأنّ النصارى لايؤمنون بدليل العقل ولو كان في غاية الظهور، ولاينفع معهم في المناظرات الاستدلال بالأدلة العقلية؛ كيف وهم يعطّلون العقل تمامًا، ويمنعونه من النظر في عقائدهم معترفين بمناقضتها للعقل، وهم يقولون بأنّ حقيقة الله لو خلت من الأسرار لأدركتها العقول البشرية كما تدرك الأشياء المحدودة، ولمّا كان هذا لايصح لذلك كان الثالوث بزعمهم سِرّاً عجيبًا لايخضع لإدراك العقول، وقد اعترف القس وهيب عطا الله بمناقضة هذه العقيدة للعقل والحس والمنطق والمادة والمصطلحات الفلسفية، وأنّ هذا الذي هو غير معقول هو المعقول الذي يجب الإيمان به[2].

لذا رأيت من غير المناسب عرض هذا الموضوع لأنه لايصلح للمناظرة إلاّ مع قوم يحترمون عقولهم، وبذا يكون عملي في الفصلين الآخرين؛ أي فصل إبطال التثليث بأقوال المسيح، وفصل إبطال أدلتهم النقلية على ألوهية المسيح، لكنني سأعوض عن فصل الأدلة العقلية بفصلين لم يذكرهما الشيخ رحمت الله، وهما: فصل في الرد على أدلتهم من كتب العهد القديم، وفصل في الرد على استدلالهم بآيات القرآن الكريم على ألوهية المسيح.

---

(١) الجواب الصحيح ١/١٧١، وانظر كذلك ٣/٤٣ و١٩٣، والهمذاني: تثبيت دلائل النبوة ص ٩١ و١٤٦و١٤٧، والشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب ص١٣٨.

(٢) أحمد شلبي: مقارنة الأديان (المسيحية) ٢/١٣٩ نقلاً عن كتاب: طبيعة المسيح ص ١٨.

وقد سرْتُ في هذا الباب على نهج الشيخ رحمت الله في الردّ على الخصم من كتبه، ولاشك أنّ في القرآن الكريم والسنة الشريفة من الأدلة القاطعة على بشرية المسيح وعبوديته لله مافيه الكفاية لمن طرح التعصب جانبًا ، بل إنّ الحديث عن المسيح في القرآن والسنة يستغرق بحثًا كاملاً، لكنْ لمّا كان هذا البحث موجَّهًا بالدرجة الأولى إلى مَن يُنكرون القرآن والسنة ويعدّون كتبهم إلهامية، كان الأنسب في مثل هذه المناقشات والبحوث الاقتصار على مايرضونه لأنفسهم من كتبهم.

وقد دمجتُ الكلام على مسألتيْ التثليث وألوهية المسيح لارتباطهما ببعضهما ولإجماع فِرق النصارى عليهما ، وهذا مافعله الشيخُ رحمت الله في كتابه «إظهار الحق»، وسوف لا أتعرض للكلام على تأليههم لروح القدس؛ لأن تأليهه جاء متأخراً زمنًا ورتبة عن تأليه المسيح، بل إنّ ألوهية المسيح عند النصارى غلبت على ألوهية ربّ العالمين سبحانه وتعالى، فتراهم يدْعون المسيح باسْمه وأنه إلهٌ وربٌّ، ولايذكرون الله إلاّ قليلاً.

كما أنني لن أناقش الخلاف بين فرق النصارى في طبيعة المسيح وكيفية الاتحاد؛ لاختلافهم في ذلك اختلافًا كثيراً ، ولأنّ هذه العقائد وغيرها من العقائد الفرعية كلها تابعة لهاتين العقيدتين (التثليث وألوهية المسيح) ، فإذا تمّ الردّ على هذين الأصلين المجْمَع عليهما عندهم كانت سائر العقائد المتفرعة عنهما مردوداً عليها تبعًا.

وقد سرتُ في الردّ على هاتين العقيدتين على نفس منهاج الشيخ رحمت الله بافتراض أنّ ما ورد في كتب العهدين كله صحيح، وافتراض أنّ الأناجيل نصّ كلام المسيح؛ لأجْل إتمام الحُجَّة وزيادة الإلزام، وإثبات أنّ تمسكهم بها واحتجاجهم بنصوصها ضعيف بل وباطل مع افتراض صحتها ، فكيف وقد ثبت وقوع التحريف فيها عمومًا ، وفي مسألة التثليث وألوهية المسيح خصوصًا ؟!

وعقيدتنا التي نلقى الله تعالى عليها هي شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأنّ محمداً وعيسى عبدان لله ورسولان كريمان صلى الله عليهما وسلّم.

أما بالنسبة لإنجيل بَرنابا فلم أستشهد به عليهم رغم اعتقادنا صحة ماجاء فيه من العقائد الداعية لتوحيد الله، والإيمان بعبده ورسوله عيسى، والتبشير بمحمد رسول الله ﷺ؛ ذلك لأنّ الخصم لايعترف به ويزعم أنه من تأليف المسلمين، ولمّا كان الاستدلال على الخصم لايجوز إلاّ بمايسلّم صحته؛ اقتصرتُ على الكتب المسلَّمة عند النصارى حتى لاتبقى لهم حجة باعتمادنا على نصوص وأناجيل لايعترفون بها، وآثرتُ تصحيح نصوص كتب العهدين وتدوينها على حسب الطبعات الحديثة لا على حسب الطبعات القديمة التي نقل منها الشيخ رحمت الله، وذلك لوجود التفاوت بينها كما هو عادتهم.

وقد جاء هذا الباب في أربعة فصول:

- **الفصل الأول:** إبطال التثليث وألوهية المسيح بأقوال المسيح نفسه.
- **الفصل الثاني:** إبطال استدلالهم بنصوص العهد الجديد على ألوهية المسيح.
- **الفصل الثالث:** إبطال استدلالهم بنصوص العهد القديم على التثليث.
- **الفصل الرابع:** إبطال استدلالهم بآيات القرآن الكريم على ألوهية المسيح.

وبذا يكون الكلام في هذا الباب مترابطًا ومتناسقًا ومتسلسلاً في إثبات وحدانية الله تعالى وبشرية المسيح بأقوال المسيح نفسه، ثم في إبطال مايزعم النصارى أنها أدلة لهم على التثليث وألوهية المسيح من كتب العهدين الجديد والقديم ومن القرآن الكريم.

الفصـــل الأول

إبطال التثليث وألوهية المسيح
بأقــوال المســيح نفـــســه

ذكر الشيخ رحمت الله في فصله الثاني من الباب الرابع اثني عشر دليلاً[1] من أقوال المسيح عليه السلام تدلّ على وحدانية الله وأنّ المسيحَ عبدهُ ورسولُه.

وقد ذكرتُ هذه الأدلّة بشكل يعطي المُناظر قوة في الحُجّة ووضوحًا في البيان، فجعلت لكل قول عنوانًا يذكّر المناظر بمضمون هذا القول، واختصرت ما لا ضرورة له في هذه الأقوال، وأضفت إليها ما لابد من إضافته ممايقوّي الحجة ويزيد الدليل نصاعة، وما كان من إضافتي جعلته في الهامش أو بعد كلام الشيخ رحمت الله؛ حتى لايطغى كلامي على كلامه، وميزتُ الكلامين عن بعضهما بكلمة (ويضاف).

ثم أضفتُ أربعة أدلّة أخرى لم يذكرها الشيخ رحمت الله، وصنّفت هذه الأدلة في مجموعات متناسقة حتى لاتكثر فيكون الحديث عنها مكرراً ومملاً.

وقد عملتُ على سوْق الأدلّة بكل بساطة ووضوح دون اللجوء إلى التعقيدات؛ فقدّمت كلَّ دليل بأيسر أسلوب ليدلَّ على مدلوله دون تكلّف، وليظهر أنّ الكتاب الذي أُلّف للردّ على منكري التثليث وألوهية المسيح - أعني إنجيل يوحنا - هو أكثر الكتب شهادة ببشرية المسيح ووحدانية الله سبحانه وتعالى، وأنّ الرسائل التي كانت تُكتب لأقطار اليونان والرومان مبشّرة بألوهية المسيح هي الرسائل التي تتضمن نقض هذه الدعوى، وعليه فإمّا أنْ يعترفوا بمدلول أدلتنا عليهم من كتبهم، وإمّا أنْ يقرّوا إذنْ بتحريفها وعدم صحة استدلالهم علينا بها.

وقد جاء الكلام في هذا الفصل بستة عشر قولاً للمسيح كما يلي:

١- الحياةُ الأبدية بتوحيد الله والإيمان برسالة المسيح.

٢- توحيدُ الله ومحبتُه أعظم وصيّة.

---

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، نشر الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٧٣٦ - ٧٥٠.

٣- نفْيهُ عن نفسه علمَ الساعة.

٤- نفْيهُ عن نفسه القدرةَ والمشيئةَ.

٥- نفْيهُ عن نفسه الصلاحَ تواضعًا.

٦- صُراخهُ على خشبة الصليب.

٧- تسويته نفسه مع سائر الناس في أنه مألوه.

٨- اعترافه أنّ الآب أعظم منه.

٩- تصريحه بأنّه يوحَى إليه.

١٠- المسيحُ معلِّم.

١١- حزْنه واكتئابه ينفي ألوهيته.

١٢- تعبيره عن نفسه بابن الإنسان.

١٣- تسميته نفسه نبيّاً.

١٤- تسميته نفسه رسولاً.

١٥- ماورد على لسانه بأنه يعبد الله.

١٦- تجربة إبليس للمسيح.

القول الأول: (الحياة الأبدية بتوحيد الله والإيمان برسالة المسيح):

ورد في إنجيل يوحنا ٣/١٧ قول عيسى مخاطبًا الله تعالى:

«وهذه هي الحياةُ الأبديّةُ أنْ يعرفوكَ أنتَ الإلهَ الحقيقيَّ وحدَكَ ويسوعَ المسيحَ الذي أرسلتَه».

فبيَّن عيسى عليه السلام أنَّ الحياةَ الأبديةَ معرفةُ وحدانية الله وأنّ عيسى رسولُه، ولم يقل إنّ الحياةَ الأبدية معرفةُ الأقانيم الثلاثة، أو إنّ عيسى إنسانٌ وإله.

ولا احتمال هنا لخوف عيسى من اليهود؛ لأنّه كان يخاطب ربَّه، ولو كان اعتقادُ التثليث وألوهيةِ المسيح مدارَ النجاة لبيّنه، وإذْ ثبت أنّ الحياة الأبديّة في اعتقاد وحدانية الله وبشريّة المسيح الرسول، فضدهما هو الموت الأبديّ؛ لوجوب المغايرة بين الرسول (العبد المخلوق) ومرسله (الله الخالق).

ولم يحصل على هذه الحياة الأبديّة إلاّ المسلمون بفضل الله، وأمّا المجوس والنصارى واليهود فمحرومون منها؛ لانتفاء العقائد الصحيحة عندهم[١].

القول الثاني: (توحيد الله ومحبته أعظم وصية):

ورد في إنجيل مرقس ١٢/٢٨-٣٤ «(٢٨) فجاءَ واحدٌ من الكَتَبة وسمعهم يتحاورون فلمّا رأى أنّه أجابهم حَسَنًا سأله أيّةُ وصيَّةٍ هي أوّلُ الكلّ(٢٩) فأجابه يسوعُ إنّ أوّلَ كلّ الوصايا هي اسمعْ يا إسرائيل. الرّب إلهُنا ربٌّ واحدٌ(٣٠) وتحبُّ الربَّ إلهَكَ من كلِّ قلبك ومن كُلّ نفْسك ومن كلّ فكْركَ ومن كلّ قدْرتكَ. هذه هي الوصيَّةُ الأولى(٣١) وثانيةٌ مثلُها هي تُحبُّ قريبَكَ كنفْسك. ليس وصيّةٌ أخرى أعظم من هاتيْن(٣٢) فقال له الكاتبُ جيّداً يامعلّمُ بالحقّ قلتَ لأنّه الله واحدٌ وليس آخَرُ سواهُ(٣٣) ومحبَّتُه من كلِّ القلب ومن كلِّ الفَهْم ومن كلِّ النفْس ومن كلِّ القدْرةِ ومحبَّةُ القريب كالنفْس هي أفضلُ من جميع المُحْرَقَاتِ والذّبائحِ(٣٤) فلما رآهُ يسوعُ أنّه أجابَ بعقلٍ قال له: لستَ بعيداً عن ملكوت الله».

ومثل هذه الفقرات ماورد في إنجيل متى ٢٢/٣٤-٤٠، إلاّ أن المسيح قال في آخرها: «(٤٠) بهاتيْن الوصيَّتيْن يتعلَّقُ الناموسُ كلُّه والأنبياءُ».

فعُلِم أنَّ أوّلَ كلّ الوصايا المصرّح بها في التوراة[٢] والإنجيل وعليها مدار

(١) يتضح من فقرة إنجيل يوحنا السابقة أنّ اعتقاد وحدانية الله لايكفي للنجاة ونوال الحياة الأبدية، بل لابد أنْ يصاحبه اعتقاد بشريّة المسيح ورسالته، وهكذا في كلّ الرسالات، وقد استدل بهذه الفقرة المهتدي إبراهيم خليل أحمد في كتابه: محمد في التوراة والإنجيل ص ١١٥ على وحدانية الله وأنّ عيسى رسولُ الله.

(٢) انظر سفر التثنية ٤/٣٥- ٣٩ و٦/٤-٥ و١٣-١٤، وسفر إشعياء ٤٥/٥ و٤٦/٩.

الناموس وعمل الأنبياء هي اعتقاد وحدانية الله، ولم يقُلْ عيسى عليه السلام إنّ أوّل كلّ الوصايا هي اعتقاد التثليث، ولا إنّ المسيح أحدُ الأقانيم الثلاثة.

إذن فالواجب اعتقادُ وحدانيةِ الله ورسالةِ رسلهِ جميعًا، ومنهم المسيح عيسى عليه السلام[1].

القول الثالث: (نفيه عن نفسه علم الساعة):

ورد في إنجيل مرقس ١٣/٣٢ «وأمّا ذلك اليومُ وتلكَ الساعةُ فلايعلمُ بهما أحدٌ ولا الملائكةُ الذين في السماءِ ولا الابنُ إلاّ الآبُ».

وهذا يبيّنُ بطلانَ التثليث وبطلانَ ألوهيةِ المسيحِ؛ لأنّ المسيح عليه السلام خصّص علْمَ القيامة بالله وحده، ونفى عن نفسه ذلك العلْم، وسوّى بين نفسهِ وبين عبادِ الله الآخرين في عدم العلْم بذلك.

ويضاف إلى ماتقدّم من كلام الشيخ رحمت الله أنّه لايصحّ للإله أنْ ينفي عن نفسه صفةً من صفات الألوهية وهي علْم الغيب ومنه علْم الساعة، فلو كان المسيحُ إلهًا لم يجُزْ له هذا النفْي؛ لاستلزامه النقص. ثم إنّ هذه الفقرة تنسف

(١) في هذين الموضعين من إنجيليْ مرقس ومتى نلاحظ أنّ المسيح عليه السلام أجابَ السائل عن أوّل كلّ الوصايا وأعظمها بأنها توحيد الله الذي هو سبب النجاة، وهذا التوحيد لاشكّ أنّه أعظمُ من جميع الذبائح المقدمة قربانًا لله؛ لأنها لاتنفع بدون التوحيد.

وتشتدُّ الحاجة للبيان عندما يكونُ جوابًا عن سؤال، ولايجوز تأخير البيان عن وقته، وبما أنّ المسيح لم يُشرْ في جوابه إلى ألوهيته ولا إلى تثليث الأقانيم بشيء، ثبت أنّ التوحيدَ الحقيقي هو مدارُ النجاة وبه بُعِث الأنبياء، ولذلك جاء في آخر فقرات إنجيل متى المشار إليها أنّ الناموس كله والأنبياء متعلّقٌ بهاتين الوصيتين.

فجميعُ الأنبياء والكتب السماوية نادت بوجوب اعتقاد وحدانية الله، ولايوجد فيها تثليثُ الأقانيم ولا ألوهية المسيح، والمسيح نفسه دعا قومه لتوحيد الله، وبيّن لهم أنّ زوال السماوات والأرض أهون من زوال كلمة واحدة من الناموس، ولايُظنّ بالمسيح - لو كان التثليث حقًا - أن يترك هذا الأمر دون بيان صريح له في أوليات تعاليمه، ولمّا لم يصرّح عليه السلام بشيءٍ من ذلك بل صرّح بخلافه وهو توحيد الله الذي أرسله، فلاسبيل إلى ترك الوصايا الصريحة المنطبقة على جميع النصوص والبراهين العقلية إلى اعتقادات كاذبة موهومة.

(انظر «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص٧٣٨، وأيوب صبري: الجوهر الفريد في ردّ التثليث وتأييد التوحيد، ط١، المطبعة العامرة الشرفية، ١٣١٩هـ، ص٢٣ و١٢١، ود. أحمد السقا: أقانيم النصارى، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٧٨، وأبو الفضل المالكي السعودي: المنتخب الجليل ص٧٣).

القولَ بالتثليث؛ لأنّ نفيَ المسيحِ علْمَ الغيب عن أقنوم الابن لايوجب نفيه عن الأقنوم الثالث، لكنه لمّا نفى علْمَ الغيب عن كلِّ أحد وأثبته لله تعالى وحده؛ دلّ دلالةً قاطعةً على وحدانية الله وتفرّده بالألوهية، ولايصحّ أن يقال هنا إنّه نفى علْمَ الغيب عن ناسوته دون لاهوته؛ لأنّه بزعم النصارى تجسّد من الكلمة، والكلمة عندهم أزلية ومنفصلة عن الله، فوجب حصول العلم بالغيب لمن تجسّد من الأزلي بناء على زعمهم، ولمّا لم يحصل له العلْم بذلك ثبتت بشريتُه ووحدانيةُ الله، وقد استدلّ بهذا الدليل الحسن بن أيوب - بعد إسلامه - فذكر في رسالته لأخيه أنّ هذه الفقرة تدلُّ على وحدانية الله وبشريةِ المسيح، وأنه بهذا النفْي أصبح منتقَص العلْم، وأنّه لايعلم إلاّ ماعلّمه الله إياه، وهذا يوجب نفي كونه من جوهر أبيه، ويستلزم كون الله أعلى منه وأعلم، وأنه خلافه[1].

وأرى هنا أنه لا بدّ من الردّ على أدلة النصارى التي يعتقدون لأجْلها أنّ المسيحَ كان يعلم الغيب، فهم يستندون إلى ما ورد في إنجيل مرقس ١٤/١٢-١٦، وفي إنجيل لوقا ٢٢/٧-١٣، ففي الموضعين «فانْطَلَقَا وَوَجَدا كما قال لهما».

ويستندون كذلك إلى ما في إنجيل يوحنا ١٦/ ٣٠ أنّ التلاميذ قالوا له: «الآنَ نعلَمُ أنّكَ عالمٌ بكلِّ شيءٍ ولستَ تحتاجُ أنْ يسألَكَ أحدٌ».

وفيه ٢١/١٧ قول بطرس للمسيح: «ياربُّ أنت تعلَم كلَّ شيءٍ. أنتَ تعرفُ أنّي أُحبُّكَ».

ويُردّ على أدلتهم بوجهين:

الأول: أنّ علْم المسيح الغيبَ ليس من علْمه ابتداء بل هو من الله، ففي إنجيل يوحنا ٥/ ٢٠ «لأنّ الآبَ يحبُّ الابنَ ويُريهِ جميعَ ماهو يعملُه وسيُريهِ

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/٢٤١ و٢/٣٤٢، وأبو الفضل السعودي: المنتخب الجليل ص٥١، وابن حزم: الفصل ٢/٤٨، والشيخ عبدالعزيز بن الشيخ حمد بن ناصر آل معمر: منحة القريب المجيب في الردّ على عُبّاد الصليب، ط٣، دار ثقيف، الطائف، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٥٧.

أعمالاً أعظمَ من هذه لتتعجّبوا أنتم».

وفيه ٥/٢١ «فقالَ لهم يسوعُ ياغِلمانُ ألعلَّ عندكم إداماً ؟ أجابوه: لا».

وفي إنجيل متى ٨/ ١٠ «فلمّا سمِع يسوعُ تعجَّبَ».

وفيه ١٥/ ٣٤ سؤال المسيح لتلاميذه «فقال لهم يسوعُ كم عندكم من الخبز؟ فقالوا له: سبعةٌ وقليلٌ من صِغار السمكِ».

وفي إنجيل لوقا ٨/ ٤٥ أنّ المسيح لم يعرف المرأةَ التي لمسته «فقالَ يسوعُ منِ الذي لَمسني».

فهذه الفقرات تدل على أنّ المسيح عليه السلام لايعلم الغيب، وإلاّ لَمَا قال بأنّ الله سيريه أعمالاً، ولَمَا صدر منه التعجب الحاصل بخفاء السبب، ولَمَا سأل الغلمان عن مقدار الطعام وعن الذي لمسه، فإذا كان لايعلم بأقرب الأشياء إليه فكيف بما بَعُد عنه؟!

وهذا يدل على أنّه بَشَرٌ مخلوق وليس إلهًا ولا ابن إله.

الثاني: لو افترضنا صحة علْم المسيح بالغيب فإنّ ذلك حصل لغيره ولم يكونوا آلهة، ففي سفر التكوين ٤٩/١-٣٢ أنّ يعقوب جمع بنيه عندما حضرته الوفاة وأخبرهم بأمور تصيبهم، ووقعت كما أخبر.

وفي سفر التثنية ٣٣/١-٢٩ أنّ موسى أخبر بأمور غيبية كثيرة.

وفي سفر صموئيل الأول ١٠/١-١٦ أنّ صموئيل أخبر الملك شاول ببعض الأمور الغيبية.

ومثل ذلك ورد عن أليشع وبَلْعام بن بعور وقَيَافا الكاهن اليهودي أنهم أخبروا بأمور غيبية (كما في سفر الملوك الأول ١٧/١ و١٨/٤١-٤٥ و٢١/٢١-٢٤، وسفر الملوك الثاني ٤/٨-١٨ و٦/٨-١٢ و٨/١-١٣ و٩/٣٠-٣٧ و١٠/١-٣٣ و١٣/١٤-٢٥، وسفر العدد ٢٤/١٥-١٩،

وإنجيل يوحنا ١١/٤٩-٥٢).

فكما أنّ أحداً لم يَقُل عن يعقوب وموسى وصموئيل وأليشع وبَلْعام وقَيَافا إنهم آلهة لإخبارهم بأمور غائبة، فكذا يجب أنْ لايُقال ذلك في حقّ المسيح، وكلهم يعترفون أنّ هذا العلْم كان بإخبار الله لهم[1].

القول الرابع: (نفيه عن نفسه القدرة والمشيئة):

ورد في إنجيل متى ٢٠/ ٢٠-٢٣ «(٢٠) حينئذٍ تقدّمت إليه أمّ ابنَيْ زَبْدِي معَ ابنيها وسجدتْ وطلبتْ منه شيئًا (٢١) فقال لها ماذا تريدين؟ قالت له: قل أنْ يجلس ابنايَ هذانِ واحدٌ عن يمينك والآخَرُ عن اليسار في ملكوتك (٢٢) فأجابَ يسوعُ.... (٢٣) وأما الجلوسُ عن يميني وعن يساري فليس لي أنْ أعطيَه إلاّ للذين أُعِدَّ لهم من أبي».

فلو كان المسيحُ إلهًا لَمَا صحّ منه نفي القدرة عن نفسه وتخصيصها بالله.

ويضاف لما تقدّم من كلام الشيخ رحمت الله أنْ يُقال: إنّ المسيح لمّا أقرّ بعدم قدرته على تقريب أحد منه إلاّ من وُهِب له ذلك من الله، دلّ إقرارُه على مغايرة صفاته البشَريّة لصفات الله العلْيا الكاملة، وإلاّ فهل يكون الإله متصفًا بصفات النقص والتي منها العجز عن تنفيذ إرادته ومشيئته؟!

انظر إلى قول المسيح في إنجيل يوحنا ٥/ ٣٠ «أنا لا أقدر أنْ أفعلَ من نفسي شيئًا. كما أسمعُ أدِينُ ودَيْنونتي عادلة لأنّي لا أطلبُ مشيئتي بل مشيئةَ الآب الذي أرسلني».

وفيه ١٤/ ٣١ «وكما أوصاني الآب هكذا أفعلُ».

وفي إنجيل مرقس ٧/ ٢٤ «ودخل بيتًا وهو يريد أنْ لا يَعْلَم أحدٌ فلم يقْدِر أنْ يختفيَ».

(١) للتوسع انظر: عبدالله العلمي: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، ط١، ١٣٩٠هـ، ص٢١٦-٢٢٤.

فهل مَن تنتفي عنه القدرة والإرادة الإلهية يكون إلهًا ؟!

أليست المغايرةُ بين المشيئتين تنفي كون المسيح إلهًا ؟! ولو كان من جوهر الآب كما يزعمون لاتّفقا في الإرادة والقدرة والمشيئة؟![1].

القول الخامس: (نفيه عن نفسه الصلاح تواضعًا):

ورد في إنجيل متى ١٩/١٦-١٧ «(١٦) وإذا واحدٌ تقدّم وقال له: أيها المعلّم الصالح أيَّ صلاحٍ أعملُ لتكونَ ليَ الحياةُ الأبديّة(١٧) فقال له: لماذا تدْعوني صالحًا. ليس أحدٌ صالحًا إلاّ واحدٌ وهو الله».

بيّن الشيخُ رحمت الله أنّ هذه الفقرة تَقْلع أصْلَ التثليث؛ لأنّ عيسى عليه السلام ما رضي- تواضعًا- أنْ يُطْلَق عليه لفظ الصالح، ولو كان إلهًا لَمَا كان لقوله معنى، ولَوجب عليه أنْ يبيّن أنه لاصالح إلاّ الآب والابن وروح القدس، وأنْ لايؤخر البيان عن وقت الحاجة، فإذا لم يَرْضَ بنسبة الصلاح إليه فهل يرضى بأقوال أهل التثليث؟!

ويُضاف إلى كلام الشيخ رحمت الله أنّ إطلاق لفظ الصلاح على الله تعالى لاشَيْن فيه، لكننا معشر المسلمين نُجلُّ اللهَ سبحانه وتعالى عن وصْفه بألفاظ الصلاح والعصمة- كما يقول النصارى- لانتفاء ضد ذلك عنه، ولأننا لانصف الله ونسميه إلاّ بما وَصف وسمّى به نفسه.

وقد وصف داودُ عليه السلام ربَّه بالصلاح فقال في مزمور ١١٨/١ «إحْمَدُوا الربَّ لأنّه صالح»، والمسيحُ أنكر على تلميذه وصْفَه بالصلاح؛ لأنّه لاصالح إلاّ الله وحده، وفي نفي الصلاح لزوم ضدّه، لذلك لم يكن نفيه الصلاحَ عن نفسه إلاّ من قبيل التواضع لله تعالى، وهذا جائز في حق البشر وغير جائز في حق الله تعالى. فلو كان المسيحُ إلهًا لم ينف عن نفسه الصلاحَ، ولَقال

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٣٥٥، وابن حزم: الفصل ٢/٤٣، وأبو الفضل المالكي السعودي: المنتخب الجليل من تخجيل مَن حرّف الإنجيل ص٢٥.

للتلميذ الذي وصفه بالصلاح: أنت عرفت، أوْ هكذا يكون الله صالحًا، وما أشبه ذلك من عبارات القبول، لكن نفيه عن نفسه الصلاح يدل على أنه عبدٌ لله، ويتواضع له غاية التواضع حتى إنه نفى الصلاح عن نفسه، والتواضع هو شأنُ العبد المخلوق المألوه، والخالق شأنه العظَمة والكبرياء فلايتواضع لعبده.

وقد استدل المهتدي محمد مجدي مرجان بهذه الفقرة على وحدانية الله فقال: «وهذا ما دعا السيّدَ المسيحَ إلى أنْ يحرص قبل إجابة السائل على سؤاله أنْ يزيل من ذهنه ما التبس عليه، موضحًا ومؤكداً وحدانية الله، واختصاصه سبحانه بكل صفات الصلاح والكمال التي لايشاركه فيها أحد»[1].

القول السادس: (صراخه على خشبة الصليب):

ورد في إنجيل متى ٤٦/٢٧ و٥٠ «(٤٦) ونحْوَ الساعة التاسعة صرخ يسوعُ بصوتٍ عظيمٍ قائلاً: إيلي إيلي لَمَا شَبَقْتَني أيْ إلهي إلهي لماذا تركتني...(٥٠) فصرخ يسوعُ أيضًا بصوت عظيمٍ وأسْلَمَ الروحَ».

وفي إنجيل لوقا ٤٦/٢٣ «ونادى يسوعُ بصوت عظيمٍ وقال: يا أبَتاه في يديك أستودعُ روحي. ولمّا قال هذا أسْلَمَ الروحَ».

وقد علّق الشيخُ رحمت الله على هذا الأمر بأنّ هذا الصراخ ينفي أُلوهية المسيح لاسيما على مذهب القائلين بالحلول أو الانقلاب؛ لأنّ الإله لايستغيث بإله آخر ولايَستودعِ روحَه، والإله الحقيقي يمتنع عليه الضَّعْفُ والتعبُ والصراخ والاستغاثة، فضلاً عن العجْز والموت، وهو حيٌّ قُدّوسٌ لا إله غيره.

واستدل الشيخ رحمت الله بما ورد في سفر إشعياء ٢٨/٤٠ «أمَا عرفتَ أمْ لمْ تَسْمعْ. إلهُ الدّهر الربُّ خالقُ أطراف الأرض لايَكلُّ ولايَعْيا».

---

(١) انظر كتابه: الله واحد أمْ ثالوث ص ١٣٧، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣٥٤/٢، وأبو الفضل السعودي: المنتخب الجليل ص ٢٣، والهمذاني: تثبيت دلائل النبوة ص ١١٣، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٩٩-١٠١، وعبدالله العلمي: سلاسل المناظرة ص ١٣٨.

وبما في سفر إرْمِيَا ١٠/١٠ «أمّا الربُّ الإلهُ فحقٌ. هوإلهُ حيٌ وملِكُ أبديٌ».

وبما في سفر حبقوق ١٢/١ «ياربُّ إلهُ قُدّوسٌ لاتموت»[١].

وبما في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ١٧/١ «وملِكُ الدُّهورِ الذي لايَفْنَى».

فالعاجزُ المستغيثُ بغيره لايكون إلهًا، والإله الحقيقي هو الذي استغاث به المسيحُ وقت الصَّلْب بزعمهم.

ثم تعجّب الشيخ رحمت الله من أنهم لايكتفون بموت الإله بل يعتقدون دخوله الجحيم، واستدلّ على ذلك بأقوال كثيرة[٢] لكبار علمائهم ومحققيهم، أعرضت عن ذكرها تمشيًا مع المنهج.

ويُضاف لكلام الشيخ رحمت الله أنْ نسأل النصارى أنّ المسيح وهو على خشبة الصَّلْب إلى مَن دعا واستنجد؟ فإنْ كان إلهًا فهو إله يدعو إلهًا آخر، وهذا تغاير بين الآلهة ولا يقول به النصارى.

وإنْ كان دعا نفسه فهذا هوس، لأنّ بإمكانه أنْ يغفر ذنوبَ خلْقه دون أنْ يصير إلى هذا المصير السيّئ، والنصارى يصرّحون بأنه يغفر ذنوب مَنْ يشاء من الخلق.

ويقال لهم كذلك: هل أجاب الله دعوته أم لا؟

فإنْ قالوا لم تُجَبْ، حَكَمْنا بخسران هذا الإله الذي يدعو فلا يُستجاب له، وإنْ قالوا أجيبتْ، قيل لهم: لماذا إذاً تسبّون اليهود على محاولتهم قتله وهو قد غفر لهم وأسقط عنهم الملامة، بل العقل يقضي بعدم جواز تخطئتهم في ذلك؛ لأنّ الخطيئة بطلت بمجيئه وقتله على مذهبهم[٣].

(١) في طبعة بيروت سنة ١٩٧٠م «ياربُّ إلهي قدّوسي لانموت» فحرفوا معنى الفقرة بتحريف كلمة لاتموت بالتاء إلى كلمة لانموت بالنون؛ لتأكيد قتل المسيح الذي هو الله بزعمهم، فقبلوا الموت لله دون أنفسهم، وكلمة لانموت بالنون لامعنى لها ولا فائدة منها في سياق هذا الموضع.

(٢) انظر: «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص ٧٤٢-٧٤٧.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢٩٧/٢ و٣٢٩، وابن حزم: الفصل ٥٦/١ و٦٠/٢، وأبو عبيدة الخزرجي: مقامع الصلبان، تحقيق عبدالمجيد الشرفي، ١٩٧٥م، ص٦٠، ود. سقا: أقانيم النصارى ص٧٩.

القول السابع: (تسويته نفسه مع سائر الناس في أنَّه مألوه):

ورد في إنجيل يوحنا ٢٠/١٧ قول المسيح لمريم المجدلية «ولكنِ اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إنّي أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

فقد سوّى عليه السلام بينه وبين سائر الناس في أنّ الله أبوه وأبوهم وإلهُه وإلهُهم جميعًا، ومَن كان مألوهًا لايكون إلهًا، وإلاّ لزم كون المخاطَبين بهذه الآية جميعهم آلهة، والحقّ أنّ مَن ساوى نفسه بسائر الناس في المألوهية فهو عبدٌ مثلهم. فهل بَعْد هذا البيان بيان؟!.

ويُضاف إلى ماتقدّم من كلام الشيخ رحمت الله أنْ يُقال: إنّ هذا المعنى قريب من معنى قوله تعالى عن المسيح في سورة المائدة آية ١١٧ ﴿**ماقلتُ لهم إلاّ ما أمرْتَني به أنِ اعبدوا الله ربِّي وربَّكم**﴾.

وفقرةُ الإنجيل السابقة تنفي ألوهية المسيح قطعًا؛ لأنّ الذاهب إلى غيره لايكون متصلاً به، فهو إنما يذهب إلى المنفصل عنه، ولو كان المسيحُ متّحداً بالله وأقنومًا ثانيًا لم يصحّ كلامه المذكور لوجوب التفريق بين الذاهب والمذهوب إليه، وبذا يبطل الاتحاد وإلاّ لم يُعرَف الذاهب من المذهوب إليه، وقول المسيح هذا قُبَيْل الرفع دالٌّ على أنّه عليه السلام بقي يدعو إلى توحيد الله وعبادته وعبودية المسيح لله إلى زمان رَفْعه، وأنّ القول بألوهية المسيح والتثليث يناقض آخِر كلمات تكلّم بها المسيحُ وودّع بها تلاميذَه.

ورغم أنّ بولس هو مخترع عقيدة ألوهية المسيح إلاّ أنّ رسالته الأولى إلى تيموثاوس ٢/٥ تجلّى فيها الحقّ إذْ يقول فيها «لأنّه يوجَدُ إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بيْن اللهِ والناسِ الإنسانُ يسوعُ المسيحُ».

فاعترف أنّ الله واحد ولم يقل: إنه مثلّث الأقانيم، كما اعترف أنّ المسيحَ وسيطٌ بين الله والنّاس للتبليغ، وليس ذلك فحسب بل جعل هذا الوسيط هو الإنسان يسوع، ولم يقل: إنه الأقنوم الثاني أقنوم الابن.

فهل يبقى شكٌ بعد هذا التصريح بوحدانية الله ونفي الألوهية عمّا سِواه؟![1].

القول الثامن: (اعترافه أنّ الآب أعظم منه):

ورد في إنجيل يوحنا ١٤/٢٨ قول المسيح عليه السلام «لأنّ أبي أعظمُ مني» وهذا فيه نفي لألوهية المسيح؛ لأنّ الله ليس كمثله شيء فضْلاً عن أنْ يكون أعظم منه.

ويُضاف لِما تقدّم من كلام الشيخ رحمت الله أنْ يُقال: إنّ هذا فيه نفي لألوهية المسيح والتثليث كذلك، لأنّ المسيح لو كان أحد الأقانيم الثلاثة المزعومة لم يكن الآبُ أعظم منه، ولسوّى في العظَمة بين أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، لكنْ لمّا اعترف أنّ الآبَ أعظمُ منه دلَّ على فساد التثليث وفساد ادّعاء ألوهية المسيح.

وقد قال المسيح عليه السلام في إنجيل يوحنا ١٣/١٦-١٧ «(١٦) الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنّه ليس عبدٌ أعظمَ من سيّدِه ولا رسولٌ أعظمَ من مرسِله(١٧) إنْ علِمتم هذا فطوباكمْ إنْ علِمتموه».

وقد علّق المهتدي محمد مجدي مرجان على هذه الفقرة متسائلاً كيف تتساوى الأقانيم؟! فهذه الفقرة تدلّ على انفصالها انفصالاً يمنع الوحدة بينها، وأنّ الآب المرسِل أعلى من الابن المرسَل، ألا يرسل الرئيسُ مرؤوسَه والسيّدُ خادمَه؟![2].

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٢٩٧، وابن حزم: الفصل ٢/٢٤ و٤٦، والهمذاني: تثبيت دلائل النبوة ص١١١، وأبو الفضل السعودي: المنتخب الجليل ص٥٠، والبحراني: لسان الصدق ص٢٨، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٩٤، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٣٨٦، ومحمد مجدي مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص١٣٥، ود. أحمد السقا: أقانيم النصارى ص٧٩.

(٢) محمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص٣٣، وابن حزم: الفصل ٢/٤٦ و٦٢، ود. أحمد السقا: أقانيم النصارى ص٧٩.

القول التاسع: (تصريحه بأنه يوحَى إليه):

ورد في إنجيل يوحنا ١٤/٢٤ «والكلامُ الذي تسمعونه ليس لي بلْ للآبِ الذي أرسلني».

وهذا فيه تصريح بالرسالة وأنّ كلامه وحي من جانب الله تعالى.

ويُضاف لكلام الشيخ رحمت الله أنّ ممّا يؤيد كون المسيح رسولاً يكلم الناس بما يوحيه الله إليه مافي إنجيل يوحنا ٧/١٥-١٨ «١٥- فتعجّبَ اليهودُ قائلين كيف هذا يَعرفُ الكُتبَ وهو لم يتعلّم (١٦) أجابهم يسوعُ وقال تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني(١٧) إنْ شاء أحدٌ أنْ يَعملَ مشيئَتَهُ يعرفُ التعليمَ هل هو من الله أمْ أتكلّم أنا من نفسي(١٨) مَنْ يَتكلّم من نفسه يطلُبُ مجْدَ نفسِه. وأمّا مَن يطلبُ مجْدَ الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم».

وكذلك ما في إنجيل يوحنا ٨/٢٦-٢٨ و٤٠ «(٢٦) لكنّ الذي أرسلني هو حقٌّ. وأنا ما سمعتُه منه فهذا أقولُه للعالَم(٢٧) ولم يفهموا أنّه كان يقولُ لهم عن الآب(٢٨) فقال لهم يسوعُ متى رَفعتم ابنَ الإنسان فحينئذٍ تَفهمون أنّي أنا هو ولستُ أفعلُ شيئًا من نفسي بل أتكلّم بهذا كما علّمني أبي...(٤٠) ولكنكم الآنَ تَطلبون أنْ تقتلوني وأنا إنسانٌ قد كلّمكم بالحق الذي سمعه من الله».

وفيه كذلك ١٢/٤٨-٥٠ «(٤٨) مَن رذلني ولم يَقبل كلامي فله مَن يَدينه. الكلامُ الذي تكلّمتُ به هو يَدِينه في اليوم الأخير(٤٩) لأنّي لم أتكلّم من نفسي لكنّ الآبَ الذي أرسلني هو أعطاني وصيّةً ماذا أقول وبماذا أتكلّم(٥٠) وأنا أُعلم أنّ وصيّته هي حياةٌ أبدية فما أتكلّم أنا به فكما قال لي الآبُ هكذا أتكلّم».

وبهذا يظهر لنا أنّ اليهود استغربوا إتيانَ المسيح بكلام لايصدر إلاّ عن مطّلع خبير بالكتب السماوية، فبين لهم أنّ هذه التعاليم من الله الذي أرسله،

وأنه لايتكلم بهذا من عند نفسه؛ لأنّ من يتكلّم من عند نفسه يطلب مجْدَ نفسه فقط، وهو إنما يطلب رضا الله، فلايتكلّم إلاّ بما يوحيه الله إليه، ولمّا لم يفهموا هذه الحقيقة وأرادوا قتله احتجّ عليهم بأنّه إنسان لايتكلم إلاّ بالحق الذي سمعه من الله، وأنّ الله هو الذي أوصاه بما يتكلّم ويقول، فهو أمينٌ على الوحي لايُخفي منه شيئًا بل يؤديه كما سمعه، وهو لايَدينُ المنكرين لكنْ صاحبُ الكلام الموحي إليه - أي الله سبحانه وتعالى - هو يَدينهم في الآخرة.

القول العاشر: (المسيح معلِّم):

ورد في إنجيل متى ٢٣/ ١٠ «ولاتُدْعَوا معلِّمين لأنّ معلِّمَكم واحدٌ المسيحُ» فهذا يدل على وحدانية الله وأنّ المسيحَ معلِّمٌ لتلاميذه.

ويضاف إلى كلام الشيخ رحمت الله أنّ المسيح سمّى نفسه معلِّمًا، وبهذا وصفه أتباعه ولم ينكر عليهم، ولو كان فيه جزء من الألوهية لبيّن ذلك لهم، ولايصح منه الكتمان في موضع الحاجة إلى البيان، ففي إنجيل متى ١٩/ ١٦ «وإذا واحدٌ تقدّم وقالَ له: أيّها المعلِّم الصالح».

وفيه ٢٦/ ١٨ «فقال اذهبوا إلى المدينة إلى فلانٍ وقولوا له: المعلِّم يقول إنّ وقتي قريب».

وفي إنجيل مرقس ٩/ ٣٨ «فأجابه يوحنّا قائلاً: يامعلِّم رأينا واحداً يُخرجُ شياطينَ باسْمك وهو ليس يتبعنا».

وفيه ١٠/ ٣٥ «وتقدّم إليه يعقوبُ ويوحنّا ابنا زَبْدِي قائلَيْن يامعلِّم نريدُ أنْ تَفعل لنا كلَّ ماطلبْنا».

وفي إنجيل لوقا ٥/ ٥ «فأجابَ سِمعانُ وقال له: يامعلِّم قدْ تعِبْنا».

وفيه ٨/ ٢٤ و٤٥ قول تلاميذه له «(٢٤) يامعلِّم يامعلِّم إننا نَهلِك... (٤٥) قال بطرسُ والذين معه: يامعلِّم الجموعُ يضيّقون عليك».

وفيه ٩/٣٣ و٣٨ «(٣٣) قال بطرسُ ليسوعَ يامعلّم جيّدٌ أنْ نكونَ ههنا... (٣٨) وإذا رجلٌ من الجَمْع صرخ قائلاً: يامعلِّم أطلبُ إليك انظر إلى ابني فإنّه وحيدٌ لي».

وفيه ١٣/١٢ «وقال له واحدٌ من الجَمْع: يامعلِّم قل لأخي أنْ يقاسِمَني الميراثَ».

وفيه ١٣/١٧ قول الرجال العشرة المرضى «ورفعوا صوتًا قائلين: يا يسوع يامعلِّم ارحمنا».

وفي إنجيل يوحنا ٣٨/١ عن تلميذيه «فالتفتَ يسوعُ ونظرَهما يتبعان فقال لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربّي الذي تفسيره يامعلِم أين تَمكُث».

وفيه ٣١/٤ «وفي أثناء ذلك سأله تلاميذُه قائلين: يامعلّمُ كُلْ».

وفيه ٢٥/٦ «ولمّا وجدوه في عَبْرِ البحرِ قالوا له: يامعلِّم متى صِرْتَ هنا».

وفيه ١٣/١٣-١٤ قول المسيح «(١٣) أنتم تدعونني معلّمًا وسيّداً وحَسَنًا تقولون لأني أنا كذلك(١٤) فإنْ كنتُ وأنا السيّدُ والمعلِّمُ قد غسلْتُ أرجُلَكم فأنتم يجب عليكم أنْ يَغْسِلِ بعضُكم أرْجُلَ بعض».

وبهذا نرى أنّ المسيحَ عليه السلام ركّز على وصْف نفسه بأنّه معلِّم، وذلك لأنّه يعلِّم أتباعَه الوحْيَ الذي يوحيه اللهُ إليه، ولايستحقّ واحدٌ من أتباعه أنْ يُدعَى معلِّما؛ لأنّهم لايوحَى إليهم، وهم إخوة في التلقي عنه كما في إنجيل متى ٨/٢٣ «وأمّا أنتم فلاتُدْعَوا سيِّدي لأنّ معلِّمَكم واحدٌ المسيحُ وأنتم جميعًا إخْوةٌ».

وإطلاق التلاميذ على المسيح لفظ المعلِّم يعني جَعْلهم هذا اللفظ من الألفاظ التي تُطلَق على الإنسان، وأظهرَ المسيحُ قبولَه بهذا الإطلاق وأكّد عليه، وكرّر مناداته لقومه بأنّه معلِّم، وأنّه إنسان وابن إنسان خالص العبودية لله، مبعوث

بالرسالة والنبوة، وإذا كان المسيحُ هو المعلّم فكيف يُظَنّ به أنّه أهمل تلاميذه وتركهم يخبطون في عمياء ويخاطبونه بأنه نبي ثم لايرشدهم إلى الاعتقاد الحق؟!.

ولم يكن المسيحُ عليه السلام في نظر أتباعه إلاّ كواحدٍ من كبار الربّانيّين الذين يعلّمون الكتاب ويدرّسونه للناس، وذلك لاينافي كونه نبيّاً، فقد ورد في إنجيل يوحنا ٢٠/١٦ «قال لها يسوعُ: يامريمُ. فالتفتتْ تلكَ وقالتْ له ربّوني. الذي تفسيره يامعلّم».

وبعد هذا فهل يبقى أدنى شك في بشَرية المسيح ونبوّته وانتفاء ألوهيته؟![1].

القول الحادي عشر : (حزنه واكتئابه ينفي ألوهيته) :

ورد في إنجيل متى ٢٦/٣٦-٤٠ و٤٢ «(٣٦) حينئذٍ جاءَ معهم يسوعُ إلى ضيْعة يُقال لها جَثْسَيْمَاني فقال للتلاميذ: اجلسوا ههناً حتى أمضي وأُصلّي هُناك(٣٧) ثم أَخَذَ معهُ بُطرسَ وابنيْ زَبْدي وابتدأ يحزَنُ ويكتئبُ(٣٨) فقالَ لهم نفسي حزينةٌ جداً حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي(٣٩) ثم تقدَّم قليلاً وخرَّ على وجهه وكان يصلّي قائلاً يا أبتاه إنْ أمْكَنَ فلْتَعْبُرْ عني هذه الكأسُ. ولكنْ ليس كما أريدُ أنا بلْ كما تريدُ أنتَ(٤٠) ثم جاء إلى التلاميذ...(٤٢) فمضى أيضًا ثانيةً وصلّى قائلاً يا أبَتَاه إنْ لمْ يُمكنْ أنْ تَعْبُرَ عنّي هذه الكأسُ إلاّ أنْ أشْرَبَها فلْتكنْ مشيئتُكَ».

فأقواله وأحواله المندرجة في هذه العبارات دالّةٌ على عبوديته لله الحقّ، وإلاّ فهل الإله يحزن ويكتئب ويدعو بغاية التضرع ثم يموت؟![2].

---

(١) أيوب صبري: الجوهر الفريد في ردّ التثليث وتأييد التوحيد ص١٨ و١٠٠، وأبو الفضل المالكي السعودي: المنتخب الجليل ص٧٥، والعلمي: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية ص ٣٨٣.

(٢) يقصد الشيخ رحمت الله الاستدلال على عبودية المسيح وبطلان ألوهيته باعترائه النقائص، فكل من يطالع الأناجيل يجد أنّ المسيحَ عليه السلام منذ ولادته إلى رفعه لم يظهر منه إلاّ مايدلّ على بشريته، فهو مخلوق يجوع ويعطش، ويأكل ويشرب، ويبول ويتغوط، وينمو جسمه، ويتعب وينام، ويحزن ويفرح، ويتعرض لأذى الناس ويختبئ من أعدائه، وأنّ يحيى بن زكريا عليهما السلام قد عمّده، وأنّه كان يلعب مع الأطفال، وتعلّم في المدارس، وسكن في بيت كان يدفع =

القول الثاني عشر: (تعبيره عن نفسه بابن الإنسان):

أشار الشيخ رحمت الله إلى أنّ المسيح عليه السلام كان من عادته أنّه يعبّر عن نفسه بابن الإنسان، ثم قال: وظاهر أنّ ابن الإنسان لايكون إلاّ إنسانًا.

ولتوضيح كلام الشيخ رحمت الله أقول: إنّه ورد في أسفار العهد القديم تنزيه الله عن أنْ يكون إنسانًا، ففي سفر هوشع ٩/١١ «لأنّي اللهُ لا إنسانٌ».

وفي سفر أيوب ٩/٣٢ «لأنّه ليس هو إنسانًا مثْلي فأجاوبه فنَأتي جميعًا إلى المُحاكمة».

وفي سفر صموئيل الأول ١٥/٢٩ «ولايَندمُ لأنّه ليس إنسانًا ليندَمَ».

فهذه الفقرات تبين أنّ الله وصفاته غيرُ الإنسان وصفاته، والأنبياء إنّما جاءوا بالفصل التامّ بين مقام الألوهية ومقام العبودية في الأسماء والصفات والأفعال، وهذا ماثبتَ على لسان المسيح وأثبته جميعُ الذين رأوه وصاحبوه أو سمعوا كلامه، فقد ورد وصفُ المسيح في الأناجيل بأنه إنسان وابن إنسان أكثر من سبعين مرة، وقد قبل المسيح هذه التكنية، ولايخفى على مَن له أدنى فهم

= ضريبته للرومان، وأنّ الناس رأوه ولمسوه، وكان بدنه وثوبه يتسخان فيغسلهما ويتطيب، وكذلك في جميع مايعتري البشر من العوارض والصفات التي يتنزه عنها الإله، فبتنزيهه جاءت جميعُ الكتب السماوية وإلى ذلك دعت الأنبياء، ونحن في غنى عن نقل الشواهد؛ لأنّ آلاف الفقرات في كتب العهدين شاهدة بذلك ولايتسع المقام لها.

فإنْ قال النصارى: إنّ هذه النقائص واقعة على ناسوت المسيح دون اللاهوت، نقول: ثبت بطلان الاتحاد؛ لأنّ اسم المسيح عندهم واقع على اللاهوت والناسوت معًا، وليس هناك ناسوت متميز ولا لاهوت متميز حتى يخصّ هذا بصفات النقص وهذا بصفات الكمال، بل صارا عندهم شيئًا واحدًا، ولايصح القول بالشيء الواحد أنه جاع ولم يجع، أو مات ولم يمت، أو فيه نقص ولانقص فيه، وبخاصة أنّ هذه العوارض الدنيوية والنقائص البشرية اعترت المسيح قبل الاتحاد وبعده ولم يتغير عليه شيء بعد الاتحاد، فثبت أنّه قبل الاتحاد كما هو بعد الاتحاد، فإصرار النصارى على القول بألوهيته تجويز منهم بحلول الآفات والنقائص جميعها في ذات الله سبحانه وتعالى، وإن قالوا لايسوغ وصْف الإله بهذه النقائص وهو منزه عنها، ثبتت بشرية المسيح وعبوديته لله وأنّه مخلوق مربوب مألوه. (شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٣٢٤، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٢٠-٢٧ و٤٠، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٧٣، والبحراني: لسان الصدق ص٣١ و١١٧، والشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب ص١٤١ و١٦٤، وإبراهيم أحمد: محمد في التوراة والإنجيل ص١١١-١١٢).

أنّ عيسى ليس إلهًا ولا ابن إله، وأنّ الإله ليس إنسانًا ولا ابن إنسان.

وفيمايلي أمثلة قليلة على تسمية المسيح نفسه بالإنسان وابن الإنسان:

ففي إنجيل متى ١١/١٩ «جاءَ ابنُ الإنسان يأكلُ ويشربُ».

وفيه ١٢/١٧ و٢٢ «(١٢) كذلك ابنُ الإنسان أيضًا سوف يتألّم منهم... (٢٢) وفيما هم يتردّدون في الجليل قال لهم يسوع: ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدي الناس».

وفي إنجيل لوقا ٩/٥٦ «لأنّ ابنَ الإنسان لم يأتِ ليُهلِكَ أنفُس الناس».

وفيه ٢٣/٤٧ قول قائد العسكر الذين حضروا صلب المسيح بزعمهم: «فلمّا رأى قائدُ المئَة ما كانَ مجَّدَ اللهَ قائلاً: بالحقيقة كان هذا الإنسانُ باراً».

وفي إنجيل يوحنا ٨/ ٤٠ «ولكنّكم الآنَ تطلبون أنْ تقتلوني وأنا إنسانٌ قدْ كلّمكم بالحقّ الذي سمعه من الله».

وقد نسب إنجيلُ متى المسيحَ إلى داود ابن إبراهيم، ونسبه إنجيلُ لوقا إلى الله، فلازمُ ذلك الحكم ببطلان كتبهم لمخالفتها بعضها بعضًا، أو الحكم بأنّ الله عندهم إنسان وابن إنسان، وهو الكفر الأعظم عندنا وعندهم، وعلى كل حال فمناقضة كتبهم للتوراة ظاهرة.

وقد مكث المسيحُ أكثر من ثلاثين عامًا لايُدْعى إلاّ بابن داود؛ لأنّ أُمَّه من نسل داود، وسمّى نفسه إنسانًا وابن إنسان، وبهذا وصفه تلاميذه الذين خالطوه وشاهدوا جميع أحواله، وإذا كانت تصريحاتُ المسيح عن نفسه بأنّه إنسان وابن إنسان فهل النصارى أعلم منه بما يجب له حتى يقولوا إنّه إله وابن إله؟![1].

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٣٥٧، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص١٠ و١٤ و٧٧، وابن حزم: الفصل ٢/٢٤، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص ٢١ و٣٤ و٨٤، والبحراني: لسان الصدق ص١١٨، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٣٨٤-٣٨٥، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص٩٤.

القول الثالث عشر:[1] (تسميته نفسه نبيّاً):

ورد في إنجيل متى ٢١/١١ «فقالت الجموعُ: هذا يسوعُ النبيُّ الذي مِن ناصرةِ الجليل».

وفي إنجيل يوحنا ٦/١٤ «فلمّا رأى الناسُ الآيةَ التي صنعها يسوعُ قالوا: إنّ هذا هو بالحقيقةِ النبيُّ الآتي إلى العالَم».

وفي إنجيل لوقا ٧/١٦ «فأخذَ الجميعَ خوفٌ ومجّدوا اللهَ قائلين: قدْ قامَ فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتقدَ اللهُ شَعبَه».

وفي إنجيل متى ١٣/٥٧ «وأمّا يسوعُ فقال لهم: ليس نبيٌّ بلا كرامةٍ إلاّ في وطنه وفي بيته».

وفي إنجيل لوقا ١٣/٣٣-٣٤ وصف المسيحُ نفسَه بأنّه نبيٌّ وأنّ إرادته ليست إرادة إله، لأنّه لم يستطع أنْ يَجمع أولادَ أورشليم، ولو كان إلهًا لَمَا تعسّر عليه ذلك؛ لأنّ الله فعّال لما يريد، فهو يقول: «(٣٣) لايُمكنُ أنْ يَهلك نبيٌّ خارجًا عن أورشليم(٣٤) يا أورشليم يا أورشليم ياقاتلةَ الأنبياء وراجمةَ المرسلينَ إليها كمْ مَرَّةٍ أردْتُ أنْ أجْمعَ أولادكِ كما تَجمعُ الدجاجةُ فِراخَها تحتَ جناحيْها ولم تُريدوا».

وذلك لأنّ بني إسرائيل قتلوا كثيراً من أنبيائهم، فكأنّه يقول: تريدون قتْلي كما قتلتم مَن تقدّمني، فالخطابُ للبلد والمرادُ أهلها، والقول بنبوّته ألزم على قول النصارى إنه قُتِل في أورشليم؛ لأنه سمّاها قاتلَةَ الأنبياء ولم يقُلْ ياقاتلةَ الإله[2].

وقد وصفه التلميذان بالإنسان النبي وهما لم يعرفاه، ولو كان إلهًا لأنكرَ عليهما ذلك الوصْف، ولَبيّن لهما أنه إله وليس نبيّاً، ففي إنجيل لوقا ٢٤/١٩

(١) الأقوال الأربعة التالية من الثالث عشر إلى السادس عشر لم يذكرها الشيخ رحمت الله في كتابه إظهار الحق.

(٢) أبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ٧٤.

عندما سألهما عن الأمور التي حدثتْ في أورشليم «فقالا: المختصّةُ بيسوعَ الناصريّ الذي كان إنسانًا نبيّاً مقْتدراً في الفعل والقولِ أمامَ اللهِ وجميعِ الشّعبِ».

وكذلك لم ينفِ قولَ المرأة السامرية الوارد في إنجيل يوحنا ٤/ ١٩ «قالتْ لهُ المرأةُ ياسيِّدُ أرى أنّك نبيٌّ».

ولمّا سُئل الأعمى كيف انفتحت عيناك أجاب بقوله في إنجيل يوحنا ٩/ ١١ «إنسانٌ يقالُ لهُ يسوعُ صَنَع طينًا وطَلَى عينيَّ... فأبْصرتُ».

وكان الفرّيسيّون يحاربون المسيحَ لأنّه يعمل أعمال البرِّ في يوم السبت، فأنكروا نبوته، ففي إنجيل لوقا ٧/ ٣٩ «لو كان هذا نبيّاً لعلِم مَن هذه الامرأة».

وفي إنجيل يوحنا ٧/ ٥٢ قول الفرّيسيّين لنيقوديموس «ألَعلّك أنتَ أيضًا من الجليل. فتّشْ وانظرْ . إنّه لمْ يقُمْ نبيٌّ من الجليل».

وبهذا نرى أنّ الفريسيّين كانوا مجتهدين في نفي نبوّة المسيح عليه السلام، ولو كان إلهًا لتغيّرت صفة الاتّهام، وقد جيءَ بالأعمى الذي أبصر على يد المسيح رجاء أنْ يطعن فيه، لكنّه أجاب كما في إنجيل يوحنا ٩/ ١٥ و١٧ «(١٥) فسأله الفريسيّون أيضًا كيف أبصرَ. فقال لهم: وضع طينًا على عينيَّ واغتسلتُ فأنا أبصِرُ...(١٧) قالوا أيضًا للأعمى ماذا تقول أنتَ عنه من حيث إنه فتح عينيك؟ فقال: إنّه نبي».

فإذا كانت الجموعُ والتلاميذُ والمرأةُ والأعمى يقولون بنبوّته، والمسيحُ نفسهُ يؤكّد أنّه نبي، وأعداؤه يجتهدون في نفي نبوّته، فهل يجوز أنْ يُقال إنه إله أو ثُلُث إله؟! وهل يجوز ترك المعنى الصريح المتعيّن وتأويله واعتقاد خلافه؟![1]

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ٣٥٤، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ٧٥-٧٨، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٣٨١، وإبراهيم خليل أحمد: محمد في التوراة والإنجيل ص ١١٦، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص ١٠٣، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص ١٠٩.

واليهود الذين نشأ المسيحُ بينهم لم يكونوا يَرون في المسيح أكثر من أنّه إنسانٌ يدّعي النبوّة، ولذلك عندما تآمروا عليه خافوا من الذين يُجلُّونه ويحترمونه بوصفه نبيّاً مرسلاً، ففي إنجيل متى ٤٦/٢١ «وإذْ كانوا يَطْلبون أنْ يُمسِكوه خافوا من الجموعِ لأنّه كان عندهم مثْلَ نبيّ».

القول الرابع عشر: (تسميته نفسه رسولاً):

لقد وردت في الأناجيل فقرات كثيرة تدلّ على أنّ المسيحَ رسولُ الله، وأكثر هذه الأناجيل نطْقًا برسالته هو إنجيل يوحنا الذي أُلف للردّ على منكري ألوهية المسيح.

ففي إنجيل متى ٤٠/١٠ «مَنْ يقبلُكم يَقبلُني ومَن يَقبلُني يَقبلُ الذي أرسلني».

وفيه ٢٤/١٥ «فأجابَ وقال: لم أُرسَلْ إلاّ إلى خِراف بيتِ إسرائيلَ الضالّة».

وفي إنجيل لوقا ٤٣/٤ «فقال لهم: إنّه ينبغي لي أنْ أبشّر المُدنَ الأُخَرَ أيضًا بملكوتِ الله لأنّي لهذا قدْ أُرْسلتُ».

وفيه ١٦/١٠ «والذي يُرْذِلُكم يُرْذِلُني. والذي يُرْذِلُني يُرْذِل الذي أَرْسلني».

وفي إنجيل مرقس ٣٧/٩ «ومَن قَبلِني فليس يَقْبلُني أنا بلِ الذي أرْسَلني».

وفي إنجيل يوحنا ٣٤/٤ قول المسيح «أنْ أعمل مشيئةَ الذي أَرْسلني وأُتَمِّمَ عملَه».

وفيه ٢٣/٥-٢٤ و٣٦-٣٧ قول المسيح «(٢٣) مَنْ لايُكْرِمُ الابنَ لايُكرِمُ الآبَ الذي أَرْسَلَه(٢٤) الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنّ مَنْ يَسمعُ كلامي ويؤمنُ بالذي أرسلني فَلَه حياةٌ أبديّةٌ...(٣٦) هذه الأعمالُ بعينها التي أنا أعملُها هي تشهدُ لي أنّ الآبَ قدْ أرسلني(٣٧) والآبُ نفسُه الذي أرسلني يَشهدُ لي. لم تَسمعوا صوتَه قَطُّ ولا أبصرتم هيئتَه».

وفيه ١٦/٧ و١٨ «(١٦) أجابهم يسوعُ وقال: تعليمي ليس لي بلْ للذي أرسلني...(١٨) وأمّا مَنْ يطلبُ مجْدَ الذي أرسَله فهو صادق وليس فيه ظلْم».

وفيه ١٦/٨ و١٨ و٢٦ و٢٩ و٤٢ «(١٦) والآبُ الذي أرسلني...(١٨) ويشهدُ لي الآبُ الذي أرْسلني...(٢٦) لكنّ الذي أرسلني هو حق...(٢٩) والذي أرسلني هو معي...(٤٢) لأنّي لم آتِ من نفسي بلْ ذاك أرسلني».

وفيه ٤٢/١١ «ليؤمنوا أنّك أرسلتني».

وفيه ٤٤/١٢ و٤٩ «(٤٤) الذي يؤمنُ بي ليس يؤمنُ بي بل بالذي أرسلني...(٤٩) لأنّي لم أتكلّمْ من نفسي لكنّ الآبَ الذي أرسلني هو أعطاني وصيَّةً ماذا أقول وبماذا أتكلم».

وفيه ٢٤/١٤ «والكلامُ الذي تسمعونه ليس لي بلْ للآبِ الذي أرسلني».

وفيه ٣/١٧ و١٨ و٢٥ قول المسيح «(٣) وهذه هي الحياةُ الأبديّةُ أنْ يعرفوكَ أنتَ الإلهَ الحقيقيَّ وحدَكَ ويسوعَ المسيحَ الذي أرسلْتَه...(١٨) كما أرسلْتَني إلى العالَم أرسلتُهم أنا إلى العالَم...(٢٥) أمّا أنا فعرَفتك وهؤلاءِ عرفوا أنك أرسلْتني».

وفيه ٢١/٢٠ «فقال لهم يسوعُ أيضًا: سلامٌ لكم. كما أرسلني الآبُ أُرسلكم أنا».

فهذه الفقرات جميعها يصرّح فيها عيسى عليه السلام بأنّه رسولُ الله، وأنه لايأتي بالكلام من عنده؛ لأنّ الله الذي أرسله يوحي إليه بماذا يتكلم، ففي إنجيل يوحنا ٨/ ٤٠ «وأنا إنسانٌ قد كلّمكم بالحقّ الذي سمعه من الله». والتفريق البدَهي بين المرسِل والرسول كافٍ في ردّ القول بالاتحاد؛ لأنّ مَن وقع عليه الإرسال لايكون قديمًا فكيف يتّحد مع مرسِله القديم؟! وكيف يسمح العاقل لنفسه أنْ يَغضّ الطرف عن هذه المناداة الصريحة برسالة المسيح، وأنْ

يركن إلى مايخالف المنقول والمعقول، وينقاد إلى التقليد المبني على التأويلات الباطلة؟! والمسيحُ نفسه صرّح بأنّ أتباعه هم الذين آمنوا برسالته، ففي إنجيل يوحنا ٨/١٧ «وهمْ قَبِلوا وعَلِموا يقينًا أنّي خرجتُ من عندكَ وآمنوا أنّكَ أنتَ أرْسلتني»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

«متى ثبت أنّ المسيحَ رسولُ الله بَطَلَ كونه إلهًا، فإنّ كونه هو الله مع كونه رسول الله متناقض، وقولهم: إنه إله بلاهوته ورسول بناسوته كلام باطل من وجوه منها: أنّ الذي كان يكلّم الناسَ إما أنْ يكون هو الله أو هو رسول الله، فإن كان هو الله بطلَ كونه رسول الله، وإنْ كان هو رسول الله بطل كونه هو الله»[٢].

وقد أشار المهتدي محمد مرجان إلى هذا المعنى فقال:

«هذا التخاطب بين الأقانيم وخروج أحدها من الآخر، وإرسال أحدها للآخر يعني انفصالاً بين الأقانيم انفصالاً يمنع الوحدة بينها، بل يمنع أيضًا المساواة بينها، ففي موضوع الإرسال مثلاً لاشكّ أنّ المرسل أعلى درجة من المرسَل أو الرسول، فحين يُرسل الآبُ الابنَ مثلاً: فلاشكّ أنّ الآبَ أعلى من الابن، فهو كإرسال السيّدِ خادمَه أو كإرسال الرئيسِ مرءوسَه، يقول السيد المسيح: (الحقّ الحقّ أقول لكم إنَه ليس عبدٌ أعظم من سيّده ولا رسولٌ أعظم من مرسِله)»[٣].

القول الخامس عشر: (ماورد على لسانه بأنه يعبدُ الله):

ورد في إنجيل متى ٢٦/٣٦ و٣٩ و٤٢ و٤٤ «(٣٦) حينئذٍ جاءَ معهم

(١) للتوسع ينظر: ابن حزم: الفصل ٦٧/٢، والهمذاني: تثبيت دلائل النبوة ص١١١-١١٢، والبحراني: لسان الصدق ص٢٨، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٣٦ و٤٦، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٢٩٢، وإبراهيم أحمد: محمد في التوراة والإنجيل ص١١٥، ود. السقا: أقانيم النصارى ص٧٩.

(٢) الجواب الصحيح ١/١٨٥.

(٣) الله واحد أمْ ثالوث ص٣٣، وانظر ص١٠٨، والقول المشار إليه في إنجيل يوحنا ١٣/١٦.

يسوعُ إلى ضَيْعةٍ يقال لها جَثْسَيْمَاني فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أَمضي وأُصلّي هناك...(٣٩) ثم تقدّم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يُصَلّي...(٤٢) فمضى أيضًا ثانيةً وصلّى...(٤٤) فتركهم ومضى أيضًا وصلّى ثالثةً».

وفي إنجيل لوقا ٨/٤ «إنّه مكتوبٌ للربّ إلهِكَ تسجدُ وإيّاهُ وحدَهُ تَعْبُدُ».

وهذا يدل على أنّ المسيح عليه السلام كان يؤدي الفرائض المكتوبة عليه كسائر العبيد، وأنه لم يَدْعُ إلى عبادة غير الله تعالى، ولو كان إلهًا لدعا إلى عبادة نفسه، والإله لايَعبد غيره ولايَعبد نفسه، ولايتقرّب لغيره ولا لنفسه، فوقوع هذه العبادات من عيسى عليه السلام يدل على أنه عبدٌ مربوبٌ لله، يصلّي له ويتقرّب إليه ويدعوه بخضوع وتذلّل[1].

ولو أنّ المسيح ادّعى الألوهية لكان قتْله واجبًا حسب ماورد في سفر التثنية[2]؛ لأنّه ماجاء لينقض الناموس، والناموس يبيّن وجوب رجْم من يدعو لعبادةِ غير الله ولو كان نبيّاً ذا معجزات، فكيف بمن يدعو لعبادة نفسه وتأليه ذاته؟!

انظر إلى عبادة المسيح ليلةَ المؤامرة عليه لإمساكه، ففي إنجيل لوقا ٢٢/٤٣-٤٦ «(٤٣) وظهَرَ له مَلاكٌ من السماءِ يُقَوّيه(٤٤) وإذْ كانَ في جهادٍ كان يصلّي بأشدِّ لجَاجةٍ وصارَ عرقُه كقطرات دمٍ نازلةٍ على الأرض(٤٥) ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجَدهم نيامًا من الحُزن(٤٦) فقال لهم: لماذا أنتم نيام؟ قوموا وصلّوا لئلا تَدخُلوا في تجربةٍ».

وبهذا نرى أنّ مَن زعم ألوهية المسيحِ لم يكن قد حَكم عليه بوجوب القتل رجمًا بالحجارة فحسب، بل وأوجب على الملاك أنْ ينزل لمساعدة أعدائه في

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٣٥٤، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص ٣٥ و٤٣ و٦٠ و٨٤، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٨٨ و١٥١.

(٢) انظر سفر التثنية ١٣/١-١٠ و١٧/٢-٧.

إمساكه وقتْله، ولكنّ الملاكَ حسب هذه الفقرات نزل لتقويته وتثبيته، والإله ليس بحاجة إلى مَن يقوّيه ويثبّته، وإنما يحتاج لذلك البشر المخلوق العابد لله الذي يفعل مايرضيه[1]؛ ففي إنجيل يوحنا ٨/٢٩ قول المسيح عليه السلام «لأنّي في كلِّ حينٍ أفعلُ مايُرضيه».

القول السادس عشر: (تجربة إبليس للمسيح):

ورد في إنجيل متّى ٤/١-١١ «(١) ثم أُصعدَ يسوعُ إلى البرّية من الروحِ ليُجرَّب من إبليسَ(٢) فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلةً جاع أخيراً(٣) فتقدّم إليه المجرِّبُ وقال له: إنْ كنتَ ابنَ الله فقلْ أنْ تصيرَ هذه الحجارةُ خبزاً(٤) فأجابَ وقال: مكتوبٌ ليس بالخبز وحدَه يَحيا الإنسانُ بلْ بكلِّ كلمةٍ تخرجُ من فمِ الله(٥) ثم أخذه إبليسُ إلى المدينةِ المقدَّسة وأوقفه على جناحِ الهيكل(٦) وقال له: إنْ كنتَ ابنَ الله فاطرحْ نفسك إلى أسفل. لأنّه مكتوبٌ أنّه يوصي ملائكتَه بكَ فعلى أياديهم يحملونك لكيْ لاتَصْدِمَ بحَجَرٍ رجْلَكَ(٧) قال له يسوعُ: مكتوبٌ أيضًا لاتجرِّبِ الربَّ إلهَكَ(٨) ثم أخذه أيضًا إبليسُ إلى جَبَلٍ عالٍ جداً وأراه جميعَ ممالك العالَم ومجْدَها(٩) وقال له: أعطيكَ هذه جميعَها إنْ خررتَ وسجدْتَ لي(١٠) حينئذ قال له يسوعُ: اذهبْ ياشيطانُ. لأنّه مكتوبٌ للربِّ إلهك تسجدُ وإياه وحدَه تعبدُ(١١) ثم تركه إبليسُ وإذا ملائكةٌ قدْ جاءتْ فصارتْ تخدمُهُ».

نرى في هذه الفقرات أنّ إبليسَ أراد أنْ يُجرّبَ المسيحَ فطلبَ منه أنْ تصيرَ الحجارةُ خبزاً، وأنْ يُلقيَ نفسه من مكانٍ عالٍ، وأن يَسجد له سجدةً واحدةً ليعطيَه ملْكَ العالَم، وهذه القصة - على الشكّ في صحّتها - فيها إشارةٌ تامّة وواضحةٌ لبشرية المسيح ورسالته، وتوحيده لله، وأنّه ليس إلهًا ولا ابن إله، بل هو عابدٌ لله. وفيمايلي أوجه الدلالة:

(١) الهمذاني: تثبيت دلائل النبوة ص١١١، والشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب ص١٤٩ و١٦٦، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٣٥٢.

الوجه الأول[1]: أنّ إبليس قاد المسيحَ إلى بيت المقدس ثم إلى مكان عال، ومانرى المسيح إلاّ انقاد له، ولابدّ أنْ يكون قد انقاد له طائعًا أو مكرهًا لاثالث لهما.

فإن كان انقاد له طائعًا فيكون تحت حُكم الشيطان وتصرّفه، وهذه منزلة يجلّ عنها الأنبياء فضلاً عن الإله ذي العزة والجبروت.

وإنْ كان انقاد له مكرهًا فهذه منزلة المصروعين الذين يتخبطهم الشيطان من المسّ، ولاتليق بعيسى عليه السلام وهو عبدُ الله ورسولُه الكريم.

الوجه الثاني[2]: كيف يطمع إبليس في أنْ يسجد له الإله الذي خلقه لعبادته، بل كيف يتجرّأ إبليس - لو كان المسيح إلهًا - أنْ يدعو إلهه إلى السجود له وعبادته؟! والمسيح بزعمهم خالقهم وخالق إبليس، فهل يُجرِّب المخلوقُ خالقَه؟!

وهذه التجربة والدعوة للسجود تصحّ في حق البشر المخلوقين، والله يعصم الأنبياء، فلئن صحّت دعوةُ إبليس للمسيح أنْ يسجد له فهي أكبر دليل على أنّ المسيح بَشَرٌ مخلوق خالص العبودية لله الواحد الأحد.

الوجه الثالث[3]: هو أنّ إبليس وجنده كلهم ضمن ملْك الله وتصرّفه، فكيف يصحّ أنْ يمنّي إبليسُ ربَّه بإعطائه ملْك الدنيا والحال أنه مملوك له؟!

فإنْ قال النصارى إنّ الجوعَ والانقيادَ وطلبَ السجودِ مقابل ملْك الدنيا كله واقع على الناسوت دون اللاهوت، يقال:

إنّ اللاّهوت والناسوت عندكم متّحدان، فانقيادُ الناسوت يعني انقياد اللاهوت بالضرورة، ويؤيدُ ذلك أنّ إبليس دعا اللاّهوت دون الناسوت بقوله: «إنْ كنتَ ابن الله».

الوجه الرابع: وفيه عدة نقاط:

١- صعودُ يسوع إلى البرية ليجرِّب وصومُه وجوعُه يدلّ على أنّه بشرٌ مخلوقٌ

(١) (٢) ابن حزم: الفصل ١٧/٢، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٢٠ و٥١، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٨٧.

(٣) انظر: ابن حزم: الفصل ١٧/٢ ، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٨٨.

معرّض للامتحان، واللهُ يمتحنُ عبادَه ولايُمتَحَن، ويُطْعِمهم ولايُطعَم.

٢- جواب المسيح لإبليس عندما طلب منه أن يأكل من خبز الحجارة «مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» فيه دليلٌ على أنّ المسيح إنسانٌ أعطاه اللهُ الحياةَ، وجعل وسيلةَ الحفاظ على هذه الحياة الأكل من الخبز، وهو بهذا يُشْبِه سائر البشر، لأنّ الإله حياته بذاته لابغيره، وهي حياة مستمرة أزلاً وأبداً بدون خبز.

٣- قول المسيح «بكل كلمة تخرج من فم الله» اعتراف بوحدانية الله، وبأنّ الحياة الدنيوية تستمر بالخبز، لكنّ الحياة الأخروية تكون بالحفاظ على أوامر الله واتّباع كلماته.

٤- قول إبليس «يوصي ملائكته بك» دالٌّ على أنّ المسيحَ عبدٌ يختلف عن الملائكة، وليس هو إلهًا؛ لأنّ الإله ليس بحاجة إلى من يحفظه، والملائكة يحفظون البشر.

٥- قول المسيح «لاتجرّب الربَّ إلهَك»، «للربِّ إلهك تسجدُ وإياه وحده تَعبد» دالٌّ على أنّ المسيحَ عبدٌ مربوبٌ يَعبد الله ربَّه ويسجدُ له وحده، ولم يَرْضَ أنْ يُجَرِّب إلهَه؛ لأنّ المخلوقَ لايجرِّب خالقَه.

٦- قول الإنجيل «ثم تركه إبليسُ وإذا ملائكةٌ قدْ جاءتْ فصارتْ تخدمه» دليلٌ على أنّ المسيحَ عبدٌ مقرَّبٌ إلى الله يحفظه ويقوّيه بالملائكة، والله ليس بحاجة لملائكته.

وقد علّق الحسن بن أيوب - بعد إسلامه - على تجربة إبليس للمسيح فكتب لأخيه:

«أفلا يَعلم مَن كان في عقله أدنى مسكة أنّ هذا الفعل لايكون من شيطان إلى إله. ولو كان إلهًا لأزاله عن نفسه قبل أنْ يأتيه الملَك من عند ربه»[١].

---

(١) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٣٢٤، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص ١٣٧.

الفصل الثاني

إبطال استدلالهم بنصوص العهد الجديد
على ألوهية المسيح

هذا المبحث هو موضوع الفصل الثاني من الباب الرابع من «إظهار الحق»، وقد ذكر فيه الشيخ رحمت الله أربعة أدلّة[1] من أدلّة النصارى على دعوى ألوهية المسيح وردَّ عليها.

وقد قمتُ بتحرير هذه الأدلة لحذف ما لا لزوم له فيها، وإضافة ما لابد منه ممّايفيد في زيادة الإلزام، فجعلته بعد كلام الشيخ رحمت الله، وفصلتُ بين الكلامين بكلمة (ويضاف)، أو في الهامش حسب ضرورة الكلام.

ثم أضفتُ أربعة أدلّة أخرى لم يذكرها الشيخ رحمت الله، وذلك باستقصاء أدلتهم من الأناجيل والرسائل الملحقة بها، لئلا يَظُنّ أحدٌ أنني أخفيتُ لهم دليلاً معتبراً أو قولاً ذا بال، بل ذكرتُ كل ماهو معتمد عندهم، وجعلتُ لكل دليل عنوانًا؛ ليسهل استجماع الذهن فيما يتضمنه.

وأثناء سوق الأدلة بلسانهم يكون الكلام على افتراض صحّتها، وهو من قبيل إرخاء العنان للخصم لما لايخفى من كونه أتمّ في إقناعه، ولأنّ التكلّم بمقتضى اصطلاحاتهم ومنقولهم هو أقرب لمعقولهم، وليظهر أنهم كانوا قد اعتمدوا على أقوال مشتبهة محتملة، وأننا نعتمد على أقوال للمسيح وتلاميذه واضحة وضوح الشمس وصريحة في مدلولها، وهذه هي طريقة السلف في الاستدلال على الخصم بأقوال كتبه.

وقد جاء الكلام في هذا المبحث بالرد على ثمانية أدلّة من أدلتهم، هي:

١- إطلاق الأناجيل على المسيح لفظ ابن الله.

٢- المسيح من فوق وليس من هذا العالم.

٣- ما ورد أنّ المسيح والآب واحد.

٤- رؤية المسيح رؤية لله لأنّه في الآب والآب فيه.

٥- خروج المسيح من عند الله.

(١) انظر هذه الأدلة والردّ عليها في «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص٧٥١-٧٧٢.

٦- إطلاق لفظ الإله والربّ على المسيح.

٧- التعميد باسْم الثلاثة.

٨- ظهور المعجزات على يد المسيح.

دليلهم الأول: (إطلاق الأناجيل على المسيح لفظ: ابن الله):

يستدلّ النصارى على ألوهية المسيح بإطلاق الأناجيل عليه لفظ (ابن الله)(١) في عدة مواضع، وقد أبطل الشيخ رحمت الله هذا الاستدلال بوجهين:

أولهما: لأنّ هذا الإطلاق معارَض بإطلاق لفظ (ابن الإنسان)(٢) ولفظ (ابن داود) على المسيح، فلابد من التطبيق للبراهين بحيث لايلزم منها محال.

وثانيهما: لأنّه لايصحّ أنْ يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي الذي هو باتفاق لغات العالَم: أنّه المتولّد من نطفة الأبوين، وهو محال هنا، فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح، فيكون بمعنى: الصالح(٣).

واستدل الشيخ رحمت الله على وجوب تفسير لفظ (ابن الله) بمعنى الصالح

(١) انظر من هذه الإطلاقات في إنجيل متى ٢١/٣٧، وفي إنجيل لوقا ١/٣٢ و٣٥ و١٠/٢٢، وفي إنجيل يوحنا ٣/١٧، وغيرها كثير.

(٢) انظر القول الثاني عشر الذي سبق في الفصل الأول ص٣٥.

(٣) ورد في إنجيل يوحنا ١/١٢-١٣ «(١٢) وأما كلُّ الذين قَبِلوه فأعطاهم سلطانًا أنْ يَصيروا أولادَ اللهِ أي المؤمنون باسمه(١٣) الذين وُلدوا ليس من دَمٍ ولا من مشيئةِ جسدٍ ولا من مشيئةِ رجُلٍ بل من الله».

فالمتأملُ في هذا القول يعلم أنّه لم يوجد ولن يوجد في الخَلْق مولود من غير الدم والجسد، حتى المسيح نفسه بنصّ كلام إنجيل يوحنا الذي جعل الذين يَقبلون المسيح مولودين من الله، وفسّر الولادة من الله بأنّها الإيمان؛ لأنها ولادة من غير دم وجسد ولا من مشيئة رجُل، مع العلم القطعي أنّ المؤمنين بالمسيح مولودون حقيقة من دم وجسد ومشيئة رجل.

وعليه فلابد من تأويل النصوص بمايوافق أدلّة العقل والنقل الصريحة، وتعيين المعنى المجازي المناسب، ولايجوز حمل الألفاظ الموهمة على ظاهرها، وبهذا التأويل يتمّ التساوي في المعنى المقصود استنباطه من الألفاظ الواردة في حق المسيح وحق المؤمنين به.

(شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/٢٤٠ و٢/١٠٠، وابن حزم: الفصل ٢/٢٤ و٦٣ و٦٦، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص ٤٧ و٧٥، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٨٩، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص٩٤).

بمافي إنجيل مرقس ٣٩/١٥ «ولـمّا رأى قـائدُ المئـةِ الواقفُ مقـابلَه أنّه صرَخَ هكذا وأسْلَمَ الروحَ قال: حقّاً كان هذا الإنسانُ ابنَ الله»، وهو في إنجيل لوقا ٤٧/٢٣ «فلمّا رأى قـائدُ المئـةِ مـا كـانَ مجّدَ اللهَ قـائلاً: بالحقيـقـةِ كان هذا الإنسانُ باراً».

فورد لفظ (البارّ) عند لوقا بدل لفظ (ابن الله) عند مرقس[1].

وقد استُعمِل لفظ (ابن الله) في حقّ الصالح لغير المسيح كما استُعمِل لفظ (ابن إبليس) في حق الفاسق، ففي إنجيل متى ٩/٥ و٤٤ و٤٥ «(٩) طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناءَ الله يُدْعَون...(٤٤) وأمّا أنا فأقولُ لكم أحِبّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مُبغضيكم. وصلّوا لأجْل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم(٤٥) لكي تكونوا أبناءَ أبيكم الذي في السماوات».

فأطلق عيسى على صانعي السلام والصالحين العاملين بما ذكر لفظ أبناء الله، وعلى الله لفظ الآب بالنسبة إليهم.

واستشهد الشيخ رحمت الله كذلك بالمكالمة التي وقعت بين اليهود والمسيح، ففي إنجيل يوحنا ٨/٤١-٤٢ و٤٤ «(٤١) أنتم تعملون أعمالَ أبيكم. فقالوا له: إننا لم نولد من زنًا. لنا أبٌ واحدٌ وهو الله(٤٢) فقال لهم يسوعُ: لو كان اللهُ أباكم لكنتم تحبونني...(٤٤) أنتم من أبٍ هو إبليسُ وشهوات أبيكم تريدون أنْ تعملوا... لأنه كذّابٌ وأبو الكذّابِ»، فلمّا كذّبوا المسيح وأبغضوه كان الشيطان أباهم؛ لأنهم عملوا بطاعته، ويؤيد المعنى المجازي لأبوّة الله وأبوّة الشيطان ما في الرسالة الأولى ليوحنا ٩/٣ «كلُّ مَنْ هو مولودٌ من الله لايفعل خطيّةً».

---

(١) ونحن نعتقد أنّ هذا من قبيل التناقض والتحريف المستمر الواقع في الأناجيل، ولكنْ على فرض صحة الكلمتين فهو يدلّ على جواز إطلاق لفظ ابن الله على الإنسان البارّ، وبخاصة أنّه ورد في الموضعين وصْف قائد المئة للمسيح بالإنسان، فثبت أنّ لفظ ابن الله مجازي، وأنّ معناه: الصالح البارّ.

ثم استدل الشيخُ رحمت الله بإطلاق لفظ (ابن الله) على غير المسيح في مواضع كثيرة من كتب العهدين، منها:

ما في إنجيل لوقا ٣٨/٣ «آدم ابن الله»(١).

وما في سفر الخروج ٢٢/٤ «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البِكر».

وما في سفر صموئيل الثاني ١٤/٧ قول الله في حق سليمان «أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا».

وما في سفر التثنية ١/١٤ عن بني إسرائيل «أنتم أولادٌ للربِّ إلهكم».

وما في رسالة يوحنا الأولى ١/٥ «كلُّ مَن يؤمنُ أنّ يسوعَ هو المسيحُ فقد وُلد من الله»(٢).

ويضاف إلى كلام الشيخ رحمت الله أنّ الحسن بن أيوب - بعد إسلامه - بيّن أنّ اللغة أجازت تسميةَ الوليّ ابنًا، وقد سمّى الله المؤمنين بالمسيح أبناء وهم ليسوا مثل المسيح، وأنه ورد في حق إسرائيل أنّه الابن البكر لله، وأنّ داود الابن الحبيب، وأنّ الحواريين أبناء الله، فيلزم الشهادة بالإلهية لكلّ من سُمّوا أبناء الله أو نفيها عنهم جميعًا، وردّ كذلك على اعتراض بأنّ هؤلاء أبناء

---

(١) لو كانت الولادة من غير أبٍ موجبة للألوهية لكان آدمُ أحقَّ بها؛ لأنه من غير أب ولا أم، ولمّا لم يؤلّهه أحد ولايلزم ذلك من بنوته لله فلايلزم ذلك في المسيح من باب أولى؛ لأنّ له أمّاً (شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/ ٢٤٠ و٦٨/٢ و٩٧ و١٩٦/٣، وابن حزم: الفصل ٤٦/٢، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٤٧، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٦ و١٠، والجزيري: أدلة اليقين ص٢١٢، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٩ و٣٦٥، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص٩٥-٩٩).

(٢) المقصود كما أنّ إطلاق لفظ (ابن الله) على آدم وأنبياء بني إسرائيل بل وكلّ بني إسرائيل وكل المؤمنين بالمسيح لايلزم منه كونهم آلهة، فكذلك لايلزم منه كون المسيح إلهًا، والنصارى معترفون أنّ كلّ مَن وَرَد هذا اللفظ في حقّهم ليس فيهم لاهوت متّحد بناسوت، بل كل منهم ناسوت محض، فتكون كتبهم ناطقة بجواز إطلاق اللفظ المذكور على الناسوت. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولفظ الابن عندهم في كتبهم من ربّاه الله تبارك وتعالى». (انظر: الجواب الصحيح ٢٤٧/٢ و٣٤٠، ود. السقا: أقانيم النصارى ص٢٣).

على جهة الرحمة والمسيح ابن على جهة الحقيقة، فقال: «ماتنكرون أن يكون إسرائيل وداود ابني الله على الحقيقة والمسيح ابن رحمة وما الفرق»[1].

ولـمّا كان المسيح في غاية المحبة لربه وعابداً له وعاملاً بمشيئته، فلامانع لغة أنْ يُطلَق عليه لفظ ابن الله إشارة للصلة والقرب المعنوي، ومثله سائر الأنبياء الذين هم أطوع الخلق لربهم وأشدّهم حبّاً له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمراد في تلك اللغة أنه مصطفى محبوب لله». وقال: «فيكون المراد بالأب: الربّ، والمراد بالابن عنده: المسيح الذي ربّاه»[2].

وبما أنّ المسيح عليه السلام يقول كما في إنجيل متى ١٢/ ٥٠ «لأنّ مَن يصنعُ مشيئةَ أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي»، إذنْ فجميعُ أنبياء بني إسرائيل وأتْباعهم والنصارى إخوته في الألوهية، ويجب اقتسامها بينهم بالتساوي إنْ لم يكن من قبيل مشاركتهم له في بنوّتهم لله فمن قبيل أُخُوّتهم له، وبما أنّ النصارى لن يرضوا بهذه القسمة، وجب الرجوع إلى الحق والاعتراف بوحدانية الله، ونفي الألوهية عن سائر الخلق، والمسيح منهم.

دليلهم الثاني: (المسيح من فوق وليس من هذا العالَم):

ورد في إنجيل يوحنا ٨/٢٣ قول المسيح «فقال لهم: أنتم من أسفل أمّا أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالَم أمّا أنا فلستُ من هذا العالَم».

والمعنى بزعمهم أنّ المسيح إله نزل من عند الآب الذي هو ليس من هذا العالَم.

وقد ردّ الشيخ رحمت الله على هذا الدليل بوجهين:

(١) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ٣٣٨، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص ٩٥.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٦٨ و٩٧ و٢٣٩، والشهرستاني: الملل والنحل ٢/ ٦٢-٦٣، وأيوب صبري: الجوهر الفريد في ردّ التثليث وتأييد التوحيد ص٧٦.

الأول: أنه مخالف للبراهين العقلية والنصوص؛ لأنّ الظاهر أنّ المسيح كان من هذا العالَم.

الثاني: أنّ عيسى عليه السلام قال مثل هذا القول في حق تلاميذه، ففي إنجيل يوحنا ١٥/١٩ «لو كنتم من العالَم لكان العالَمُ يحبّ خاصَّتَه. ولكنْ لأنّكم لستم من العالَم بل أنا اخترتكم من العالَم لذلك يُبغِضكم العالَم».

وفيه ١٧/١٤ و١٦ «(١٤) والعالَم أبغضهم لأنّهم ليسوا من العالَم كما أنّي أنا لستُ من العالَم... (١٦) ليسوا من العالَم كما أنّي أنا لستُ من العالَم».

فقد سوّى المسيحُ بينه وبين تلاميذه في عدم كونهم من هذا العالَم، فيلزم على تأويلهم كون التلاميذ آلهة. ولا بدّ من التأويل هنا بأنّ المسيح ليس من طُلاّب الدنيا الدنية، بل من طلاب الآخرة ورضوان الله، وكذلك تلاميذه، كما يقال للزهاد مجازاً: إنهم ليسوا من الدنيا.

ويضاف إلى هذيْن الوجهيْن اللذيْن ذكرهما الشيخ رحمت الله وجه ثالث:

وهو على فرض صحة هذا القول فإنّه لايعني غير أنّ المسيحَ ذو شريعة إلهية تخالف الشرائع الوضعية الأرضية، ويؤيد ذلك قولُ المسيح في إنجيل يوحنا ٣/٣١ «الذي يأتي من فَوْقُ هو فَوْقَ الجميعِ. والذي يأتي من الأرض هو أرضيٌّ ومن الأرض يتكلّم. الذي يأتي من السماء هو فوْقَ الجميع» وهذا لايعني أكثر من أنه صاحب شريعة سماوية موحى بها من الله مخالفة لهوى البشر، فكأنها مولودة من فوق، واتّباعها مشروط للدخول في ملكوت الله[1]، وهذا ماعبّر عنه يوحنا المعمدان (أي يحيى عليه السلام) بقوله المنقول في إنجيل يوحنا ٣/٢٧ «لايقْدِرُ إنسانٌ أنْ يأخذَ شيئًا إنْ لم يكنْ قد أُعطِيَ من السماء».

فإذا تبيّن أنّ الولادة من فوق والإتيان من فوق وكون المسيح ليس من العالَم

(١) العلمي: سلاسل المناظرة ص١٢١-١٢٢، وشرح إنجيل متى ص ١٨٣.

لاتعني في حق المسيح غير أنّه ذو شريعة إلهية سماوية موحى بها، فإن ذلك لايعني في حق تلاميذه غير كونهم من طلاب الآخرة ورضوان الله، لا من طلاب الدنيا الدنية واللذات الجسدية.

ففي إنجيل يوحنا ٣/٣ و٧ قول المسيح «(٣) أجاب يسوعُ وقال له الحقَّ الحقَّ أقولُ لك إنْ كان أحدٌ لايولَدُ من فوق لايَقْدِر أنْ يرى ملكوتَ الله...(٧) لاتتعجّبْ أنّي قلتُ لك ينبغي أنْ تولدوا من فوْق».

وهذا فيه بيان ضرورة الولادة من فوْق لكلّ إنسان يريد النجاة، وأنّ كلَّ مَن لايولد من فوق فهو محروم من ملكوت الله، وعليه فإما أنْ يكون كلُّ الأنبياء والمؤمنون مع موسى وعيسى مولودين من فوق، وإما أنْ يكونوا جميعًا محرومين من ملكوت الله إذا خصّصنا الفقرة بالمسيح، والحقّ أنّ هذه الولادة من فوق ليست مخصوصة به، بل كما حصلت له حصلت لأتباعه ولسائر الأنبياء وأتباعهم.

وقد فسّر د. وليم أدّي الأمريكي في كتابه الكنز الجليل في تفسير الإنجيل الولادة من فوق بأنها تغيّر القلب الخاطئ بالإيمان والتوبة تغيّراً عظيمًا كاملاً مستمراً كأنّه وُلد ثانيةً[1]، وهذا يؤيد عدم تخصيص الولادة من فوق بالمسيح، وبه يَبطل استدلال النصارى على ألوهية المسيح بكونه وُلد من فوق.

دليلهم الثالث: (ما ورد أنّ المسيحَ والآبَ واحدٌ):

ورد في إنجيل يوحنا ١٠/ ٣٠ قول المسيح «أنا والآبُ واحدٌ»، وهذا بزعمهم يدلّ على اتّحاد المسيح بالله فهو إله مثله.

وقد أبطل الشيخُ رحمت الله هذا الاستدلال بوجهيْن:

الأول: أنّ المسيح عليه السلام عندهم أيضًا إنسان ذو نفْس ناطقة، وليس

(١) العلمي: سلاسل المناظرة ص ١٢٠.

بمتّحدٍ بهذا الاعتبار، فيحتاجون إلى التأويل فيقولون: كما أنه إنسان كاملٌ فكذلك إله كامل، فبالاعتبار الأول مغاير، وبالاعتبار الثاني متّحد، وهذا التأويل باطل[1].

والثاني: أنّه ورد مثْلُ هذا القول في حقّ الحواريين، ففي إنجيل يوحنا ١٧/٢١-٢٢ قول المسيح «(٢١) ليكونَ الجميعُ واحداً... ليكونوا هم أيضًا واحداً فينا(٢٢) ليكونوا واحداً كما أنّنا نحن واحدٌ».

فهذه الأقوال دالّة على اتّحادهم بالمسيح، وسوّى المسيحُ بينه وبينهم في اتحادهم بالله، فإنْ قيل اتّحادهم به وبالله ليس حقيقيّاً، يُقال: كذلك اتّحاد المسيح بالله ليس حقيقيّاً.

ولا معنى للاتّحاد غير الطاعة والعمل بأحكام الله، لكن اتّحاد المسيح بهذا المعنى أقوى وأشدّ؛ لكمال عبوديته لله.

ويضاف لكلام الشيخ رحمت الله أنّ وجْهَ الشَّبَه في طرفي التشبيه لايجوز بالاتفاق أنْ يكون هو الألوهية، ولو فرضنا تحقّقه في المشبَّه به الذي هو وحدة المسيح بالله، فإنّه قطعًا غير متحقق في المشبَّه الذي هو وحدة التلاميذ ببعضهم وبالمسيح، وعليه فلا بدّ أنْ يكون وجْهُ الشَّبَه هو وحدة الغاية والهدف والطريق.

والذي يطالع فقرات إنجيل يوحنا ١٠/ ٣٠-٣٦ يظهر له أنّ فهْمهم ألوهية المسيح لاتّحاده بالله هو فهْم يهوديّ بحت؛ لأنّ اليهود - حسب الفقرات المشار إليها - ظنّوا أنه يدّعي الألوهية فأنكروا عليه وتناولوا حجارةً ليرجموه، فردَّ عليهم بأنّه لايدّعي الألوهية لنفسه.

وقد ردّ المهتدي الحسن بن أيوب على هذا الفهْم ردّاً طويلاً مفحمًا ملخصه أنّ المقصود بالوحدة اتّفاق مراد الحواريين وأمرهم، فهم واحد في العَمل بأوامر

(١) يقصد الشيخ رحمت الله أنّ النصارى يقولون باتّحاد المسيح بالله باعتبار لاهوته لا باعتبار ناسوته، ولمّا كان اسمُ المسيحِ عندهم يطلَق على اللاهوت والناسوت معًا بطل تأويلهم السابق.

الله ومحبته وطاعته ورضاه، حتى صاروا كأنّهم وكلاء عن المسيح يؤدّون عنه، ويتكلّمون بحجته، ويطالبون بحقوقه، فكما لايُفهم منه اتّحاد ذواتهم ببعضهم أو بالمسيح فكذلك لايُفهم ما لايجترئ على القول به أحد من اتحاد ذات المسيح بذات الله حقيقة، وقد أيده شيخ الإسلام في هذا التأويل(١).

دليلهم الرابع: (رؤية المسيح رؤية لله لأنّه في الآب والآب فيه):

ورد في إنجيل يوحنا ١٤/٩-١٠ «(٩) الذي رآني فقد رأى الآبَ فكيف تقولُ أنتَ أرنا الآبَ(١٠) ألستَ تؤمنُ أنّي أنا في الآبِ والآبَ فيَّ. الكلامُ الذي أكلّمكم به لستُ أتكلّم به من نفسي لكنّ الآبَ الحالَّ فيَّ هو يَعمل الأعمالَ».

فهذا بزعمهم يدلّ على أنّ المسيحَ متّحدٌ بالله وأنه إله. أليست رؤيته رؤية لله؟ أليس هو في الآبِ والآبُ فيه؟ أليس الآبُ حالاًّ فيه؟

وقد أبطل الشيخُ رحمت الله هذا الاستدلال بوجهين:

الأول: لأنّ رؤية الله في الدنيا ممتنعة عندهم ويؤولونها بالمعرفة، ومعرفة المسيح باعتبار الجسمية لاتفيد الاتّحاد(٢).

الثاني: لأنّه ورد مثل هذا القول في حق التلاميذ، ففي إنجيل يوحنا ١٤/٢٠ «في ذلك اليوم تعلَمون أنّي أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم».

وفيه ١٧/٢١ «وأنا فيك ليكونوا هم أيضًا واحداً فينا».

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/١٩٢ و٣٤٠-٣٥٩، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص١٠٢، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ٤٣، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٢٦٣-٢٦٧.

(٢) إذا كانت رؤية الآدمي لله لاتجوز في الدنيا بإجماع المسلمين وأهل الكتاب فكيف يجوز اتصاله بالبشر واتحاده بهم؟! قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالمؤمنون يعرفون الله ويحبّونه ويعبدونه ويذكرونه، ويقال: هو في قلوبهم، والمراد معرفته ومحبته وعبادته» انظر الجواب الصحيح ٢/١٩٢.

وقد عقب المهتدي الحسن بن أيوب على دليلهم السابق فقال: «يريد بذلك أنّ مَنْ رأى هذه الأفعال التي أظهرها فقد رأى أفعال أبي». انظر الجواب الصحيح ٢/٣٤٠.

وفي رسالة بولس إلى أهل أفسس ٤/٦ «إلهٌ وآبٌ واحدٌ للكُلِّ الذي على الكُلِّ وبالكُلِّ وفي كُلِّكم».

فلو كان مثلُ هذا الكلام مشْعِراً بالحلول ومثْبتًا للألوهية للزم كون الحواريين وأهل أفسس آلهة، لكنّ الأدنى إذا كان تابعًا للأعلى كأنْ يكون رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريبه، فالأمر المنسوب إلى الأدنى كالتعظيم والتحقير والمحبة وغيرها ينسب للأعلى مجازاً، ألا ترى أنّ المسيح قال للحواريين كما في إنجيل متى ١٠/ ٤٠ «من يَقبلُكم يَقبلُني ومَن يَقبلُني يَقبلُ الذي أرسلني»، وقال للتلاميذ السبعين كما في إنجيل لوقا ١٠/ ١٦ «الذي يسمعُ منكم يسمعُ منّي. والذي يُرْذِلُكم يُرْذِلُني. والذي يُرْذِلُني يُرْذِلُ الذي أرسلني».

فمعرفةُ المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله، وأمّا حلول الغير في الله أو حلول الله فيه، وكذا حلول الغير في المسيح أو حلول المسيح فيه، فعبارة عن إطاعة أمرهما، كما في الرسالة الأولى ليوحنا ٣/ ٢٤ «ومَن يحفظْ وصاياه يَثْبُتْ فيه وهو فيه. وبهذا نعرِفُ أنّه يَثْبُتُ فينا من الروح الذي أعطانا»[1].

ويضاف إلى كلام الشيخ رحمت الله أنّ الفقرات التي يَستدلّ بها النصارى معارَضة بفقرات صريحة تبيّن أنّ رؤيةَ الله غير ممكنة في الدنيا، وأنّه لايمكن لإنسان أنْ يرى اللهَ ويبقى على قيد الحياة.

ففي سفر التثنية ٤/ ١٢ و١٥ «(١٢) فكلّمكم الربُّ من وسَط النار وأنتم سامعونَ صوتَ كلامٍ ولكنْ لم تَرَوْا صورةً بل صوتًا...(١٥) فإنّكم لم تَرَوْا صورةً مَّا يومَ كلّمكم الربُّ في حُوريبَ من وسَط النار».

(١) يقصد الشيخ رحمت الله أنّ المسيح أحبّ اللهَ وأطاعه، والتلاميذ أحبّوا اللهَ والمسيحَ وأطاعوهما، فأحبّهم الله جميعًا ورضي عنهم؛ لأنّ طاعتهم للمسيح وحبّهم له من طاعة الله ومحبته، وهذا مافصّله المسيحُ بقوله في إنجيل يوحنا ١٥/ ١٠ مخاطبًا تلاميذه «إنْ حفِظتم وَصايايَ تَثْبُتون في محبّتي كما أنّي أنا قد حفِظتُ وصايا أبي وأثْبُتُ في محبّته».
وبذا فلا مزية للمسيح على تلاميذه في هذه الفقرات، وهل هو وهم إلاّ سواء في كونه وكونهم في الله وكون الله فيه وفيهم؟! (شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ١٦٨، وابن حزم: الفصل ٢/ ٦٧، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٢٦٢ و٢٦٦ و٢٧٢).

وفي سفر الملوك الأول ٢٣/٨ «ليسَ إلهٌ مثْلَك في السماءِ من فوْقُ ولا على الأرضِ من أسْفلُ».

وفي سفر صموئيل الثاني ٢٢/٧ «لذلك قدْ عَظُمتَ أيّها الربُّ الإلهُ لأنّه ليسَ مثْلُك وليسَ إلهٌ غيرَك».

وفي سفر إشعياء ١٨/٤٠ «فبمن تُشبّهون اللهَ وأيَّ شَبَهٍ تُعادِلون به».

وفيه ٩/٤٦ «أنا اللهُ وليسَ آخَرُ. الإلهُ وليسَ مِثْلي».

وفي سفر القضاة ٢٢/١٣ «نموتُ موتًا لأننا قد رأينا اللهَ».

وفي إنجيل يوحنا ١٨/١ «اللهُ لمْ يَرَهُ أحدٌ قطُّ».

وفيه ٣٧/٥ «والآبُ نفسُه الذي أرسلني يشهدُ لي. لم تسمعوا صوتَه قطُّ ولا أبصرتم هيئتَه».

وفي رسالة يوحنا الأولى ١٢/٤ «اللهُ لم ينظرْهُ أحدٌ قطُّ».

وفي رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ١٧/١ «وملكُ الدُّهورِ الذي لايَفنى ولايُرَى الإلهُ الحكيمُ وحدَهُ له الكرامةُ والمجْدُ إلى دَهْرِ الدُّهور».

وفيها ١٥/٦-١٦ «(١٥) المبارَكُ العزيزُ الوحيدُ ملك الملوكِ وربُّ الأربابِ(١٦) الذي وحدَه له عَدَمُ الموتِ ساكنًا في نور لايُدْنَى منه الذي لم يَرَهُ أحدٌ من الناس ولايقْدِرُ أنْ يَراهُ. الذي له الكرامةُ والقُدرةُ الأبديةُ».

فهذه الفقرات كلها تنزّه اللهَ عن أنْ يراه أحدٌ في الدنيا، وتُبيّن أنّ الإنسان لايتحمل رؤية الله فيموت؛ لأنّ الله لايعادلُه شَبيهٌ وليس له مثيل، وعليه فمَن كان مرئيّاً ولايموت الناس إذا رأوه وكان له مثيل، لايكون إلهًا؛ لأنّ الله لايُرى في الدنيا، وبما أنّ عيسى كان مرئيّاً ويشبه الخلْق ولم يَمُتْ مَن رآه وله مثيل في الناس، فليس إلهًا، ولا خلاف أنه مولود من مريم منذ عشرين قرنًا، والله سبحانه وتعالى أزليٌّ أبديٌّ محجوب عن الرؤية بالأبصار، مرئي بالبصائر

والأفئدة، ظاهر بإبداعه لخلقه أشد الظهور.

أمّا الظهور في الهيئات والأشكال مهما كان نوعه ووصف هيئته هو شَبَه ومثْل، يمكن تصوره في الحوادث والمخلوقات كالمسيح وغيره، ولايمكن تصوره في ذات الله تعالى الذي هو مغاير للحوادث وللمخلوقات كلها.

ثم مَن كان له ولد فله شَبيه؛ لأنّ الولد شبه أبيه، ولايتمّ الاعتقاد الصحيح بوحدانية الله تعالى إلاّ بنفي الشبيه والمثيل من كل وجه كما يفهم من فقرتي سفر إشعياء السابقتين ١٨/٤٠ و٩/٤٦، ولايصحّ نفيُ الشبيه والمثيل والشريك لله مع ادّعاء ألوهية غيره أو ادّعاء أنّ المسيحَ مثلُه وابنُه[١].

دليلهم الخامس[٢]: (خروج المسيح من عند الله):

ورد في إنجيل يوحنا ٢٩/٧ «أنا أعرِفُه لأنّي منه وهو أرسلني».

وفيه ٢٨/١٦ و٣٠ قول المسيح للتلاميذ وجوابهم له «(٢٨) خرجْتُ من عندِ الآبِ...(٣٠) لهذا نؤْمِنُ أنّك من الله خرجْتَ».

ومعنى خروجه من عند الله بزعمهم أنّه إلهٌ مثلُه.

الردُّ: قوله «خرجتُ من عند الآب» اعترافٌ بأنّه رسولٌ من الله، ولذلك لـمّا حدّث تلاميذَه عن أشياء لايعرفونها أجابوه «لهذا نؤمنُ أنّك من الله خرجتَ» أي إنّك رسولٌ من عند الله تحدّثنا بما لانعرفه.

وقد فسّر هذه الفقرة د. وليم أدي الأمريكي في كتابه الكنز الجليل في تفسير الإنجيل بمعنى: أنّ الآبَ أرسلني[٣].

ويؤيدُ صحةَ هذا التفسير الفقرةُ السابقة من إنجيل يوحنا ٢٩/٧؛ لأنّ فيها

(١) أبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٤٣، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٥٧، والبحراني: لسان الصدق ص١١٧ و١٢٣، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٢٨٤، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) الأدلّة الأربعة التالية من الدليل الخامس إلى الثامن لم يذكرها الشيخ رحمت الله في كتابه إظهار الحق.

(٣) انظر: العلمي: سلاسل المناظرة هامش ص ٤٢.

قول المسيح «وهو أرسلني» بعد قوله «لأنّي منه»، والمعنى: أنّ المسيح لم يأتِ من نفسه بل هو آتٍ من الله ومرسَل من قِبَله، والرجوع إلى فقرات إنجيل يوحنا ٧/٢٨-٢٩ دون تقطيعها يبيّن هذا ويوضحه، فهي تقول: «(٢٨) فنادى يسوعُ وهو يُعلِّمُ في الهيكل قائلاً: تعْرِفونني وتعْرفون منْ أين أنا ومنْ نفسي لم آتِ بلِ الذي أرْسلني هو حقٌّ الذي أنتم لستم تعرفونه(٢٩) أنا أعرِفُه لأنّي منه وهو أَرسلني».

ويزيد هذا المعنى وضوحًا مافي إنجيل يوحنا ٨/٤٢ «لأنّي خرجْتُ من قِبَلِ اللهِ وأتيْتُ. لأنّي لمْ آتِ من نفسي بلْ ذاكَ أرْسلني».

فقوله «لأنّي منه» أو «من الله» أو «من قِبَل الله» كلها بمعنى واحد، على عادة نسبة الشيء الخيّر إلى الله، كما قال بنو حثّ لإبراهيم عليه السلام ما في سفر التكوين ٢٣/٦ «أنتَ رئيسٌ من الله بيننا».

فالناسُ الخَيّرون يُنسبون إلى الله، والناسُ الشِّرّيرون يُنسبون إلى الشيطان، ولايعني ذلك أنهم جزءٌ ممانُسبوا إليه، كما لاتعني أقوالُ المسيح السابقة كونه جزءاً من الله أو أقنومًا مساويًا له.

وكذلك خروج المسيح من عند الله هو خروج خَيري بالرسالة السماوية لاخروج شَرّي، وهو مايفسّره قوله في إنجيل يوحنا ١٧/٨ «لأنّ الكلامَ الذي أعطيتَني قد أعطيتُهم وهم قَبِلوا وعلِموا يقينًا أنّي خرجتُ من عندكَ وآمنوا أنّك أنتَ أرْسلتَني»، قال العلمي:

«لأنّ المقصود بكون المسيح خرج من الله الاحترازُ عن كونه حاشاه خرج من إبليس، وبالتالي إنّ الغرض الذي يرمي إليه الكلام هو الإشارة إلى أنّ يسوعَ المسيحَ صادقٌ وليس بكاذب»[1].

وهذه الفقرات صريحةٌ في أنّ المسيح عليه السلام بلّغ الرسالة بلاغًا موصلاً

(١) عبدالله العلمي: سلاسل المناظرة ص٢٧٦ وانظر ص٤٢.

للعلْم اليقيني بحقيقته وحقيقة مرسله سبحانه وتعالى، ولولا ذلك البلاغ لضاعت الحكْمةُ في بعثة الرسل وبطلت الحجةُ على مَن بُعثوا إليهم، ولايُسلِّم عاقلٌ بأنّ المسيحَ ترك الأرض قبل البيان التامّ للحق الذي جاء من أجْلِ تبليغه، فكيف يُظَنّ به أنّه يرضى بالغلط والفهم الخطأ في مقام الألوهية[1]؟!

دليلهم السادس: (إطلاق لفظ الإله والربّ على المسيح):

هذا من أعظم الأدلّة التي يستند إليها النصارى في تأليه المسيح مستدلّين بما ورد في العهد الجديد من نسبة هذه الألفاظ إليه:

ففي رسالة بولس إلى أهل رومية ٩/٥ «ومنهم المسيحُ حسَبَ الجسدِ الكائنُ على الكلِّ إلهًا مباركًا إلى الأبد».

وفي إنجيل يوحنا ٢٠/٢٨ «أجاب توما وقال له: ربّي وإلهي».

وفي سفر أعمال الرسل ١٠/٣٦ قول بطرس عن المسيح «هذا هو ربُّ الكُلّ».

وفي زعم النصارى أنّ هذه أدلّة واضحة على ألوهية المسيح وربوبيته.

ويردّ على هذا الزعم بثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ورد إطلاق مثل هذه الألفاظ على غير المسيح ولم يكونوا آلهة.

فقد ورد إطلاق لفظ (الله) على القضاة الشرعيين في بني إسرائيل، ففي سفر الخروج ٢١/٦ حيث يقول عن العبد العاصي لسيّده «يقدّمه سيّدُه إلى الله ويقرّبه إلى البابِ أو إلى القائمةِ ويثقبُ سيّدُه أُذُنَه بالمِثْقَب. فيَخْدِمُهُ إلى الأبد».

وفيه ٢٢/٨-٩ عن السارق «(٨) وإنْ لم يوجدِ السارقُ يُقدَّمُ صاحبُ البيت

(١) انظر: أيوب صبري: الجوهر الفريد ص١٠٣.

إلى الله ليَحْكُم(٩) تقدَّمُ إلى الله دعواهما. فالذي يَحْكُم اللهُ بذنبِه يُعَوِّضُ صاحبَه باثنين».

وفي سفر التثنية ١٧/١٩ «يقفُ الرجُلانِ اللذانِ بينهما الخصُومَةُ أمامَ الربِّ أمامَ الكهنةِ والقضاةِ الذينَ يكونون في تلك الأيام».

ولايخفى أنّ لفظ (الله) هنا استعمل بدل لفظ القاضي باتفاق مفسري الكتب الدينية من اليهود والنصارى[1].

والرئيسُ الديني الكبير عند اليهود تطلق عليه الأسفار لفظ: إله.

ففي مزمور ١/٨٢ و٦ قول داود «(١) اللهُ قائمٌ في مجمعِ الله. في وَسْطِ الآلهةِ يقضي... (٦) أنا قلتُ إنّكم آلهةٌ وبنو العليِّ كُلّكم».

وانظر إلى خطاب المسيح لعلماء اليهود في إنجيل يوحنا ٣٤/١٠-٣٥ «(٣٤) أجابهم يسوعُ أليس مكتوبًا في ناموسكم أنا قلتُ إنّكم آلهةٌ(٣٥) إنْ قالَ آلهةٌ لأولئك الذين صارت إليهم كلمةُ الله. ولايُمكِنُ أنْ يُنقَضَ المكتوبُ».

فقد دعاهم آلهة لأنهم رؤساء الشعب وعليهم مسئولية سياسته، والله أعطاهم سلطة القضاء بالنيابة عنه.

فالألوهية هنا متروكة الظاهر باعتراف المسيح، وإطلاقها عليه كإطلاقها على العلماء والمدبِّرين من بني إسرائيل؛ لأنّ الله طهّره وأرسله إليهم وعيّنه لهذه الوظيفة، فصار يتكلّم بالنيابة عنه، فهو مثل هؤلاء القضاة وأعظم[2].

كما أُطلقت الأسفار كلمة إله على موسى عليه السلام:

ففي سفر الخروج ١/٧ «فقال الربُّ لموسى انظر. أنا جعلتُك إلهًا لفرعون. وهارونُ أخوك يكونُ نبيَّك».

وفيه ١٦/٤ عن موسى وهارون «وهو يكونُ لك فَمًا وأنت تكون له إلهًا».

(١) انظر: عبدالله العلمي: سلاسل المناظرة ص ١٣٦ و١٤٣.

(٢) العلمي: سلاسل المناظرة ص ٢٦٥، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ١٢.

والمعنى أنّ اللهَ جعل موسى في القوة والمعجزات التي لاتقاوَم كأنّه إلهٌ لفرعون، وهارون أخوه يبلّغ فرعون ويوضح له الكلام نيابة عن موسى، وموسى ينوب عن الله، ولايصح فَهْمُ ألوهية موسى على الحقيقة.

وورد إطلاق لفظ الآلهة على الأشراف وأصحاب المناصب في الدولة:

ففي مزمور ١٣٨/١ «أحْمَدُك مِن كلِّ قلبي قُدَّامَ الآلهةِ أرنّم لَكَ» أي قدّام أشرافِ الدولة.

ففي هذه المواضع ورد إطلاق لفظ (الله) و (إله) و (ربّ) على قضاة بني إسرائيل، وعلى الكهنة والرؤساء الدينيين، وعلى موسى، وعلى الأشراف في الدولة، ولم يقلْ أحدٌ إنهم آلهة، ولو كان إطلاقها على المسيح يستلزم ألوهيّته للزم بحكم هذه النقول ألوهيّة كلّ المذكورين أو بعضهم، مثل موسى الذي هو أعلى من المسيح، ومثل داود الذي هو أبٌ للمسيح، فانتفاء الألوهيّة عن هؤلاء بإجماع اليهود والنصارى يوجب نفيها عن المسيح من باب أولى.

وهم إنّما سُمّوا آلهة بجعل الله لهم، والجعل يقتضي مَنْ جعله ربّاً وإلهًا، ومن كان مجعولاً فليس هو ربّاً وإلهًا على الحقيقة، فكما أنّ الله جعل موسى إلهًا لفرعون وربّاً لهارون أخيه، فكذلك جعل المسيحَ ربّاً لأتباعه، بمعنى أنّه القيّم عليهم والمدبّر لأمورهم[1].

الوجه الثاني: فسّر كثير من النصارى العارفين بالكتب المقدسة وبأصول اللغات لفظة (ربّ) بمعنى السيّد والمعلّم استناداً إلى أنّ اللغة العبرانية تطلق على السيّد لفظ (ربّوني)، وكذلك اللغة اليونانية تطلق على الرئيس المطاع لفظ (ربّي)، وكان العبرانيون إذا أرادوا تشريف عظيم أو عالم بالدين قالوا له: رابٌّ ورابّي ورابّوني، واللفظ الثاني عندهم أعظم من الأول، والثالث أعظم منهما[2].

(١) العلمي: سلاسل المناظرة ص١٣٧-١٥٤، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص١١.
(٢) العلمي: سلاسل المناظرة ص ١٤٤، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص ٢٧ و٤٧.

والقرينة التي تمنع إطلاق لفظ ربّ على المسيح بمعنى الإله المعبود هي كلام المسيح نفسه، فقد بيّن أنّ وظيفته التتميم والتعليم والتربية كما جاء عنه في إنجيل متى ١٧/٥ «لاتظنّوا أنّي جئتُ لأنْقُضَ الناموسَ أو الأنبياءَ ماجئتُ لأنْقُضَ بل لأكَمِّلَ».

وفي إنجيل يوحنا ٣٤/٤ «قال لهم يسوعُ: طعامي أنْ أعملَ مشيئةَ الذي أرسلني وأُتَمِّمَ عَمَلَه».

وفي إنجيل متى ٣٧/٢٣ وإنجيل لوقا ٣٤/١٣ «ياأورشليمُ ياأورشليمُ ياقاتلةَ الأنبياءِ وراجمةَ المرسَلينَ إليها كم مرّةٍ أردتُ أنْ أجمع أولادك كما تَجمعُ الدجاجةُ فِراخَهاَ تحتَ جناحيْها ولم تُريدوا».

وهذا لاشكّ أنّه كناية عن تربيتهم وتدبير شئونهم وتعليمهم، ويؤيد ذلك مافي إنجيل يوحنا ٣٨/١ من كلام المسيح وتلميذيه «فالتفتَ يسوعُ ونَظَرَهما يتْبعانِ فقالَ لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا ربّي الذي تفسيرُه يامعلِّم أين تَمكُثُ».

ومريم المجدلية سمّت المسيح ربّاً ومعلِّمًا وسيّداً:

ففي إنجيل يوحنا ١٣/٢٠ و١٦ و١٨ «(١٣) قالت لهما: إنّهم أخذوا سيّدي...(١٦) قال لها يسوعُ يامريم: فالتفتتْ تلكَ وقالت له: رَبّوني الذي تفسيره يامعلِّمُ...(١٨) فجاءتْ مريمُ المجدليّةُ وأخبرتِ التلاميذَ أنّها رأتِ الربَّ وأنّه قال لها هذا».

قال أبو الفضل المالكي: «وأمّا لفظتا الإله والربّ: فالربّ المربّي باللطف والإحسان العائد بالامتنان، وهاتان اللفظتان تُستعملان في حقّ العظيم من الآدميين تجوّزاً وتوسّعًا لكنْ على جهة التقييد لا على جهة الإطلاق، وهذه كتب القوم تشهد بأنّ المعلّم والمدبّر والقيّم يسمَّى ربّاً... ولم يقل اللهُ للمسيح قد جعلتُك ربّاً وإلهًا، إنما ذلك شيء يقوله النصارى، فقول بطرس للمسيح ياربّ: إنْ صحّ فهو منزّل منزلة ربوبية موسى لهارون من حيث إنّ المسيح مبلِّغ عن الله

أوامره كتبليغ موسى أخاه»[١].

الوجه الثالث: لو كان المسيحُ هو الإله الذي أرسل موسى وغيره - كما يزعم النصارى - لم يخضع للتوراة وشرائعها، والمسيحُ كان ملتزمًا بأحكام التوراة، وصرّح بأنّه ما جاء لينقضها بل ليكمّلها كما في فقرة إنجيل متى السابقة ١٧/٥ «ما جئتُ لأنْقُضَ بل لأكمِّلَ».

وإذا اعترض أحدٌ بأنّ المسيحَ فعل ذلك خوفًا من تكذيب اليهود له، فهذا عذر أقبح من الشرك، لأنّ ربَّ العالمين وإلهَهم لايخاف من خلْقه، بل الأنبياء لايخافون، فقد كان موسى يحاجّ فرعون وقومه الذين هم أعتى من اليهود، وقد أيّده الله بمعجزات قهرت الفراعنةَ، فلو كان المسيحُ إلهًا لأيّد نفسه بمعجزات أعظم من معجزات رسوله موسى[٢].

وقد أعلن المسيحُ في مواطن كثيرة واجتماعات عظيمة أنّه بَشَرٌ مخلوقٌ، فلو كان إعلانه هذا مخالفًا للدين الصحيح لَكان قد وقع منه الكتمان، ولايصحّ القول هنا إنّه كَتَمَ خوفًا من اليهود أنْ يقتلوه؛ لأنّه بزعم النصارى ما جاء وتجسّد إلاّ ليُقتل تخليصًا لهم من العذاب، والقول بخوفه يُثبتُ بشريَّتَه وعدم ألوهيته؛ لأنّ الخوفَ والاستتارَ والندمَ وعدمَ العلْم بعواقب الأمور من صفات البشر التي يتنزّه الإله عن الاتصاف بها.

وبهذا ثبت أنّه عليه السلام كان بَشَراً يدعو إلى توحيد الله وعبادته.

دليلهم السابع: (التعميد باسْم الثلاثة):

ورد في إنجيل متى ١٩/٢٨ «فاذهبوا وتلمذوا جميعَ الأمم وعمّدوهم[٣]

(١) المنتخب الجليل من تخجيل مَنْ حرّف الإنجيل ص ١١.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٢٧٧، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ١٣.

(٣) التعميد: هو أحد أركان النصرانية، وذلك أنّ في كل كنيسة حوضًا، يملأه القسيس بالماء ويقرأ عليه شيئًا من الإنجيل، ويرمي فيه ملحًا أو شيئًا من دهن البلسان (وهو نوع من الشجر له رائحة طيبة)، فإذا أراد أحد اعتناق النصرانية يقام له احتفال ويتلو القسيس عليه مبادئ النصرانية ثم يسأله: هل آمنت بهذا كله؟ فيقول نعم، فيأخذ القسيس شيئًا من الماء=

باسْم الآب والابن والروح القدس».

وهذه الفقرة هي معتمد أهل التثليث وعليها يدور أساس دينهم، فالله عندهم ذو أقانيم ثلاثة متساوية: الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، والمعتمِد يعتمد باسْم الثلاثة معترفًا بهم أنهم جميعًا هم الله الواحد.

ويعدُّ النصارى ذكر كلمة (باسْم) بصيغة المفرد لا الجمع مع ذكر الأقانيم الثلاثة كلّ واحدٍ على انفراده إنّما هو للدلالة على الثالوث في الوحدانية، وأنّ اقتران الابن والروح القدس باسْم الآب يجعلهما معه كشيء واحد، فهما غير مخلوقين، قال الخوري يوسف إلياس الماروني في تفسيره فقرة إنجيل متى ١٩/٢٨: «وبذكر الاسم مفرداً إشارة إلى وحدة الذات في الله، وبذكر الثلاثة الأقانيم مع حرف العطف إشارة إلى سرّ الثالوث الأقدس، ولذا قد برهن الآباء القدماء بهذه الآية أولاً: ضدّ سابيليوس الذي أنكر الثالوث الأقدس، ثانيًا: ضد آريوس الذي زعم أنّ الابن خليقة، فالخليقة لايعمّد باسْمها مع الله ولايكون لها اسم واحد مع الله، ثالثًا: ضد مكدونيوس الذي أنكر لاهوت الروح القدس لما قلناه في الابن»[١].

وهذه العقيدة هي خلاصة مبادئ النصرانية المستندة للعهد الجديد.

ويردُّ على هذا الدليل بأربعة أوجه:

= المذكور ويرشه عليه ثلاث مرات على مذهب الكاثوليك، أو يغمسه في الماء ثلاث مرات على مذهب الأرثوذكس، إشارة إلى انغماسه في الطاعة والتجرد من المخالفة، ويقول القسيس: وأنا أغطسك باسم الآب والابن والروح القدس، فينصرف الشخص وقد أصبح نصرانياً، ويُقام هذا الاحتفال لأولاد النصارى في اليوم الثامن من ولادتهم، ويجيب عن الطفل أبوه، ولايعدّ أحد نصرانياً إلاّ بعد إقامة هذه الطقوس له، ويقول النصارى إنّ يحيى عليه السلام قد عمَّد المسيح عليه السلام عندما كان عمره ثلاثين سنة، لأنّ يحيى أكبر من المسيح بستة أشهر.

(أبو عبيدة الخزرجي: بين الإسلام والمسيحية، تقديم وتحقيق د. محمد شامه، مكتبة وهبه، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، هامش ص٨٩ - ٩٠، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٢١، ود. السقا: أقانيم النصارى ص٦٥ عن تاريخ الأقباط لزكي شنوده ١/٢٧٧).

(١) انظر كتابه: تحفة الجيل في تفسير الأناجيل، المطبعة العمومية، بيروت، ١٨٧٧م، ص٣٧١، وانظر: الجزيري: أدلة اليقين ص٢١٢ و٢١٦، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٣٢٣، وشرح إنجيل متى ص ٢٨٢.

الوجه الأول: أنّ هذه الفقرة ليس لها معنى صحيح غير الإشارة إلى أنّ هذه الدعوة الجديدة التي جاء بها عيسى هي من الله ومنزلة عليه بواسطة الوحي، فاللهُ منزِل، وعيسى منزَل عليه، ووسيط الإنزال جبريل الذي جعله الله واسطة بينه وبين رسله لتبليغهم الدين والأوامر، ولايتمّ الإيمان إلا بالإيمان بالمرسِل وهو الله، وبالرسول كمحمد وعيسى عليهما السلام، وبالواسطة جبريل عليه السلام.

والتعميد لايكون إلاّ باسْم الله وحده، ولاعبرة بإطلاق لفظ الآب على الله ولفظ الابن على الرسول؛ لأنّ الرسول والواسطة يبلّغان عن الله بطريق التبعية، وذلك لايقتضي أنْ يكون مجموع الثلاثة هو المسيح بأيّ حال «فيكون قد أُمرهم بالإيمان بالله وبرسوله وبما أنزله على رسوله والمَلَك الذي نزل به وبهذا الذي نزل به، وبهذا أَمَرت الأنبياءُ كلهم، وليس للمسيح خاصة استحقّ بها أنْ يكون فيه شيء من اللاهوت»[1].

الوجه الثاني: أنّ الاعتماد يأتي بمعنى الوثوق والتسليم والتصديق بالمسيح وبما جاء به، ويؤيد هذا رواية إنجيل مرقس ١٦/ ١٥-١٦ وفيها «(١٥) وقال لهم: اذهبوا إلى العالَم أجمعَ واكرِزوا بالإنجيل للخليقة كلّها (١٦) مَنْ آمنَ واعتمد خَلَصَ. ومَنْ لم يؤمِنْ يُدَنْ».

والمعنى: بشّروا بالإنجيل وعلّموا الناس أحكامه، فمن آمن به وصدّق أنّ النجاة في اتّباعه والعمل بأوامره خلص ونجا، ومن لم يؤمن بذلك يحاسَب على إنكاره، فتكون المعمودية حسب ما في إنجيل مرقس: هي التطهير الأدبي بالتوبة والدخول في الطريقة اليسوعية الجديدة التي مدارها على الاعتراف بالله ورسوله المسيح وسفير الوحي جبريل، وكأنّ المعنى: علّموهم باسْم الله ورسوله والواسطة بينهما[2].

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/ ٢٤١، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٥٣ و٦٤.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ١٢٧-١٣١، والعلمي: سلاسل المناظرة ص١٣١ و١٧٣.

ومما يؤيد هذا التعليل أنّ بعض علماء النصارى فسّر قوله «عمّدوهم أو تلمذوهم» بمعنى علّموهم أحكام الإنجيل حتى يصيروا تلاميذ لتعاليمكم كما علّمتُكم فصرتم تلاميذي، وأنّ معنى قوله «باسْم الآب» أي افتتاح هذا التعليم باسْم الله المدعو أبًا لجميع الخلائق، وهو الذي أنزل الإنجيل وجعل النجاةَ متوقفةً على العمل بما فيه، لكنْ لمّا كان الإيمانُ بالآب مستلزمًا التصديق برسالة الابن الذي جاء بالمعجزات بقوة الروح القدس لا بقوة الشياطين - كما يزعم أعداؤه اليهودُ المنكرون لرسالته - لذلك قال «والابن والروح القدس»، فالتعليم المفتتح باسْم الآب مقرون بتصديق الابن المرسَل الذي هو المسيح عيسى، المؤيَّد بما جاء من عند الله بواسطة الروح القدس الذي هو جبريل، حامل الوحي للأنبياء[1].

والفقرة التالية لهذا الدليل تبيّن أنّ المقصود بالتعميد هو التعليم الذي أوصى به المسيح، ففي إنجيل متى ٢٨/ ٢٠ «وعلّموهم أنْ يحفظوا جميعَ ما أوصيتُكم به. وها أنا معكم كلَّ الأيام إلى انقضاء الدهر».

وقد بيّن شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنّ فقرة التعميد إنْ كان قالها المسيح فيجب أنْ تفسَّر بلغته وعادته في خطابه وعادة سائر الأنبياء، ولايوجد قط في كلام المسيح وكلام الأنبياء اسم الابن واقعًا إلاّ على مخلوق، وينقل عن المهتدي الحسن بن أيوب نفيه لأنْ تكون هذه الأسماء آلهة لمجرد إضافتها إلى الله تعالى، وأنّ النصارى استجازوا الشرك مع الله بالتأويل الذي لايصحّ لمثل هذه الفقرات[2].

الوجه الثالث: العطف يقتضي المغايرة والمشاركة للمعطوف عليه في الحكم، فإذا قلنا جاء زيد وعمرو وخالد، تبيّن أنّ عَمْراً وخالداً شاركا زيداً في المجيء حقيقة، وأنهما غيره، كما أنّ خالداً غير عمرو.

فذكْر الابن والروح القدس مع الآب في طلب التعميد باسْمهما يدلّ على

(١) أيوب صبري: الجوهر الفريد ص ٢٨-٢٩، ومحمد عزت الطهطاوي: النصرانية والإسلام ص ٤٢.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ٦٧ و٣٥١، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ٦٤.

مشاركتهما للآب في هذا الطلب فقط دون المشاركة في الإلهية وسائر الصفات، ولاعبرة في الاشتراك أنْ يُذكَر الاسم مفرداً أو جمعًا، مضافًا إلى أحدهم أو إلى كلّ واحد منهم، لأنّ هذا الاشتراك لاينفي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، ولايدل على صيرورتهما شيئًا واحداً[1].

وعلى كلٍّ فإنّ هذه العبارة على فرض صحتها لاتشير إلى التثليث المزعوم، بل هي صريحة في تغاير هؤلاء الثلاثة، وأنّ كلَّ اسم من هذه الأسماء الثلاثة اسم لذات مغايرة للذاتيْن الأخريين، ولايصح في العقول جعْل الثلاثةِ ذاتًا واحدة؛ لما يلزمه من مستحيلات عقلية كثيرة[2].

الوجه الرابع: هذه العبارة فيها تضارب كثير في حقيقة ألفاظها بين الأناجيل، والاطلاع عليها كافٍ للشكّ فيها؛ لأنّ أصلها في إنجيل متّى ١٩/٢٨ «فاذهبوا وتلمذوا جميعَ الأمم وعمّدوهم باسم الآبِ والابنِ والروحِ القُدسِ»، وأصلها في إنجيل مرقس ١٦/١٥-١٦ «(١٥) وقال لهم: اذهبوا إلى العالَم أجمعَ واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها (١٦) من آمنَ واعتمدَ خَلَص ومَنْ لم يؤمنْ يُدَنْ»، وأصلها في إنجيل لوقا ٢٤/٤٧ «وأن يُكْرَزَ باسْمه بالتوبةِ ومغفرةِ الخطايا لجميع الأمم».

فعبارة «عمّدوهم باسم الآبِ والابنِ والروحِ القدُسِ» انفرد بها متّى، وذكر لوقا ومرقس لفظ الكرز الذي هو التبشير والوعظ.

وأمّا إنجيل يوحنّا الذي هو أشدّ الأناجيل حرصًا على تدوين أقوال المسيح وأعماله، وباعتراف علماء النصارى ومنهم الخمس مئة الذين اشتركوا في دائرة المعارف البريطانية أنّه أُلِّفَ بعد المسيح بزمان للردّ على منكري ألوهيته، فإنّ هذه الفقرة رغم أهميتها عند النصارى ليس لها أصلٌ في هذا الإنجيل، علمًا أنّه

---

(١) انظر: الجزيري: أدلة اليقين ص ٢١٧.

(٢) انظر: العلمي: سلاسل المناظرة ص ١٧.

انفرد عن سواه من الأناجيل بذكر أشياء كثيرة أقلّ أهمية من هذه العبارة ولاتتوقف عليها النجاة.

وقد انبنى على الخلاف الواقع في ألفاظ هذه العبارة خلاف شديد بين طوائف النصارى في معناها، حتى حَكمتْ كل فرقة على غيرها بالكفر مالم تُجرِ التعميد على طريقتها[1].

دليلهم الثامن: (ظهور المعجزات على يد المسيح):

يقول النصارى: إن ظهور معجزات كثيرة على يد المسيح تدلّنا على ألوهيته؛ لأنّ مثل هذه المعجزات لايصحّ وقوعها إلاّ من الله.

ومن هذه المعجزات إحياؤه بنت رئيس المجمع اليهودي في كفرناحوم[2] كما في إنجيل متى ٩/١٨-٢٥، وإحياؤه ابن الأرملة في بلدة نايين[3] كما في إنجيل لوقا ٧/١١-١٦، وإحياؤه لعازر كما في إنجيل يوحنا ١١/٣٨-٤٤.

وبما أنّه ورد في سفر التثنية ٣٢/٣٩ «انظروا الآن. أنا أنا هُوَ وليس إلهٌ معي. أنا أُميتُ وأُحيي»، وفي سفر صموئيل الأول ٢/٦ «الربُّ يُميتُ ويُحيي»، وفي سفر الملوك الثاني ٥/٧ قول يهورام ملكِ إسرائيل «هل أنا اللهُ لكيْ أُميتَ وأُحييَ»، ثبت أنّ الإحياء مختص بالله، فلو لم يكن المسيح إلهًا مساويًا لله بأعماله - بزعمهم - لما استطاع إحياء ثلاثة أشخاص عيانًا أمام الجموع الغفيرة، وهذا يؤيده ما في إنجيل يوحنا ٥/٢١ «لأنّه كما أنّ الآبَ يقيمُ الأمواتَ ويُحيي كذلكَ الابنُ أيضًا يُحيي مَنْ يشاء».

ومن هذه المعجزات التي فعلها المسيح إبراؤه مرضىً وعميانًا كثيرين كما في إنجيل متى ٤/٢٣-٢٥ و٨/١٤-١٦ و٩/٢٧-٣٣ و١٤/١٤، وإنجيل مرقس

---

(١) انظر: أيوب صبري: الجوهر الفريد ص٨-٩.

(٢) بلدة في الجليل من شمال فلسطين.

(٣) بلدة في الجليل على بعد خمسة أميال جنوب شرقي الناصرة.

٨/٢٢-٢٥ و١٠/٤٦-٥٢، وإنجيل لوقا ١١/١٧-١٩، وإنجيل يوحنا ٣٧/١١.

ومن هذه المعجزات كذلك إشباعه خمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وسمكتين كما في إنجيل متى ١٤/١٧-٢١، وإنجيل مرقس ٦/٣٥-٤٤، وإنجيل لوقا ٩/١٠-١٧، وإنجيل يوحنا ٦/١-١٤.

الردّ: أمّا بالنسبة لإحيائه الموتى فيردُّ عليه بوجهين:

الوجه الأول[1]: عدم اختصاص المسيح بإحياء الموتى، ففي سفر أعمال الرسل ٩/٣٧-٤٣ أنّ بطرس أحيا طابيثا بعد موتها.

وفي سفر الملوك الأول ١٧/١٧-٢٤ أنّ إيليّا أحيا طفلاً.

وفي سفر الملوك الثاني ٤/٣٢-٣٧ أنّ أليشَع أحيا طفلاً.

وفيه ١٣/٢١ أنّ عظام أليشَع أحيت ميتًا.

فهذه نصوص تفيد أنّ بطرس وإيليّا وأليشَع وعظامه قد أحيوا أمواتًا، ولم يقلْ أحد إنهم كانوا آلهة، ولو كان ذلك يقتضي ألوهيتهم لكانت عظام أليشع أحقّ بالألوهية من المسيح؛ لأنّها كانت عظامًا بالية هي بحاجة إلى من يحييها، فيلزم أحد القولين:

إمّا القول إنها كانت عظام إله ميت مع احتفاظها بنصيبها من الألوهية.

وإمّا القول ببشرية المسيح وعبوديته لله كسائر من أحيوا الموتى، وهو الصواب.

الوجه الثاني: مِن الأنبياء مَن صنع معجزات أكبر من معجزات المسيح ولم يكونوا آلهة، فإنّ عدم إحراق النار إبراهيم وانفلاق البحر لموسى أعظم من إحياء

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٢٤١ و٣٣١، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٧١ و٧٥، وإبراهيم أحمد: محمد في التوراة والإنجيل ص١١٩.

الموتى؛ لأنّ فيها تبديل طبائع الأشياء بإيقاف حرارة النار حتى أصبحت برداً وسلامًا وإيقاف جريان الماء حتى أصبح طوداً عظيمًا[1].

وكذلك قلب العصا حيّة بيد موسى أعظم من إحياء الموتى؛ لأنّه لا علاقة بين العصا والحيّة، لكنّ علاقة الجسمية بين بدن الحي وبدن الميت مازالت قائمة، والميت إذا عادت إليه الحياة فإنما عاد إلى حاله الأول، لكنْ لا علاقة بين الخشبة والثعبان الذي يبتلع الحبال، ومع ذلك لم يؤلّه أحدٌ إبراهيم ولا موسى[2].

فظهور المعجزات العظيمة على يدِ غير المسيح يُبطل الاستدلال بها على ألوهية المسيح، وقد استدلّ المهتدي محمد مجدي مرجان بظهور المعجزات على يدِ كثير من الأنبياء على بشرية المسيح وبطلان القول بألوهيته[3].

وقد جرت بين الرازي وبين أحد علماء النصارى في خوارزم مناظرة، فكان ممّا قاله الرازي: «إنّ قلْبَ العصا حيّة أبعد في العقل من إعادة الميت حيّاً؛ لأنّ المشاكلة بين بدن الحيّ وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان، فإذا لم يوجب قلبُ العصا حيّةً كون موسى إلهًا ولا ابنًا للإله، فبأنْ لايدلّ إحياء الموتى على الإلهية كان ذلك أولى»[4].

وأما بالنسبة لإبراء المسيح العُميانَ والمرضى فيردُّ عليه بثلاثة أوجه[5]:

الأول: ورد في سفر الملوك الثاني ٦/١٤-٢٠ أنّ أليشَع أبرأ غلامَه الأعمى، وأعمى جيشًا كثيفًا من أعدائه، وبعد أنْ خرجوا من دياره ردّ إليهم أبصارهم، ولاشك أنّ هذا أعظم من فعل المسيح، ولم يقل أحد بألوهية أليشع.

(١) أيوب صبري: الجوهر الفريد في ردّ التثليث وتأييد التوحيد ص٩٢، والشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب المجيب في الردّ على عبّاد الصليب ص١٤٧، والبحراني: لسان الصدق جوابًا لكتاب ميزان الحقّ ص ١٢٩.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/١٨٦ و٢٧٣ و٢٧٧، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ٧٠ و٨٢.

(٣) انظر كتابه «الله واحد أمْ ثالوث» ص ١١٣.

(٤) انظر: تفسير الرازي ٨/ ٨٠ عند تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٥) للتوسع انظر: الجواب الصحيح ٢/٣٣١-٣٣٢، والمنتخب الجليل ص٦٩-٧١ و٨١، ولسان الصدق ص١٢٨-١٢٩، وسلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية ص٢٢٨- ٢٣٠.

الثاني: أنّ كلام الأعمى الذي كان في أريحا يدلّ على بشرية المسيح لا على ألوهيته، فقد ناداه بقوله: يايسوع ابن داود ارحمني، وكرر الصراخ قائلاً: ياابن داود ارحمني، ولقد كان هذا الأعمى مؤمنًا بالمسيح وعارفًا بحقيقته أكثر من مبصري أهل التثليث، فلم يقل ياإلهي يسوع أو يا ابن الله أو ياذا الطبيعتين؛ لأنّه متيقن أنه ابن مريم التي ينتهي نسبها إلى داود عليه السلام.

الثالث: ورد في سفر الملوك الثاني ٥/١-٢٧ أنّ أليشع أبرأ نعمان السرياني دون المعالجة بدواء، وأحدث المرض في آخرين، ولاشكّ أنّ الإبراء وإحداث الأمراض أعظم من الإبراء وحده، والذي ورد عن المسيح أنه كان يبرئ المرض دون إحداثه.

ولمّا لم يلزم من إبراء المرض وإحداثه ألوهية أليشع فلايلزم ذلك في المسيح من باب أولى.

وأمّا بالنسبة لتكثيره الطعام فيردُّ عليه بثلاثة أوجه:

الوجه الأول: وقوع مثل هذه المعجزة على يد غير المسيح.

ففي سفر الملوك الأول ١٧/٨-١٦ أنّ إيليّا كثّر قليل الزيت والدقيق الذي لايكفي الأرملة وابنها وجبة واحدة حتى كفاهما ثلاث سنين ونصف.

وفي سفر الملوك الثاني ٤/١-٧ أنّ أليشع كثّر دهنة من الزيت لأرملة وابنيها حتى ملأت أوعية كثيرة، وسدّدت ديون زوجها، وأنفقت من الباقي.

فإذا تأملنا هاتين المعجزتين نجدهما - إنْ لم تكونا أعظم من معجزة المسيح فهما تعادلانها، وبخاصة أنّ سياق الفقرات لايدلّ على أنّ إيليّا وأليشع نظرا إلى السماء أو شكرا[1].

فكما لايدلّ ذلك على ألوهيتهما لايدلّ تكثير الطعام على ألوهية المسيح، وكلهم يعترفون بعبوديتهم لله الواحد القهار.

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٣٣٣، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٣٥.

الوجه الثاني[1]: أجمعت الأناجيل الأربعة على أنّ المسيح قبْل تكثيره الطعام كان ينظر إلى السماء ويدعو ويبارك، وهذا العمل ينافي الألوهية؛ لأنّه من فعل البشر المحتاجين لمعونة الله وبركته.

فقد ورد في إنجيل يوحنا ٦/١١ «وأخذ يسوعُ الأرغفةَ وشَكَر ووزّع».

وفيه دلالة على تمام عبودية المسيح لله وشكره له.

وورد في إنجيل مرقس ٦/٣٨ أنه استفهم أولاً بقوله «كم رغيفًا عندكم»؟

والاستفهام لايكون إلاّ عن الجهل بالشيء، والإله منزّه عن ذلك.

وسياق القصة بما فيه من الاستفهام والدعاء والشكر أكبر دليلٍ على بشريّة المسيح، وعلى أنّ هذه المعجزة جرت على يده بقدرة الله إكرامًا له.

الوجه الثالث[2]: ورد في إنجيل يوحنا ٦/١٤-١٥ «(١٤) فلمّا رأى الناسُ الآيةَ التي صنعها يسوعُ قالوا: إنّ هذا هو بالحقيقة النبيُّ الآتي إلى العالَم(١٥) وأمّا يسوعُ فإذْ علِم أنهم مزمعون أنْ يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملِكًا انصرف أيضًا إلى الجبل وحده».

فهذه الفقرات تردّ على القائلين بدلالة معجزة تكثير الطعام على ألوهية المسيح؛ لأنّ الناس الذين شاهدوا هذه المعجزة وأكلوا من الطعام شهدوا للمسيح بالنبوة وأرادوا تنصيبه ملكًا عليهم، فهرب من وجوههم إلى الجبل، ولو كان إلهًا كان الأولى به أنْ لايهرَب، وأنْ يصحّح لهم عقيدتهم فيقول لهم: أنا لست إنسانًا حتى أكون ملكًا عليكم بل ولانبيّاً، أنا أعظم من الملِك والنبيّ لأنني إلهكم. سبحان الله وتعالى عمّا يقولون علواً كبيراً.

الردُّ العام على ادّعاء ألوهيّة المسيح لصنعه المعجزات:

قبل الحكم بألوهية المسيح يجب الرجوع إلى أقوال مَنْ شاهدوا هذه

(١) أبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٧٦، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٤٦، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٢٣٣.

(٢) أبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ٧٨-٧٩.

المعجزات، وبماذا وصفوا فاعلها.

ففي إنجيل متى ٩/٦-٨ «(٦) حينئذٍ قال للمفلوج: قم احملْ فراشَك واذهبْ إلى بيتك(٧) فقام ومضى إلى بيته(٨) فلمّا رأى الجموعُ تعجّبوا ومجّدوا اللهَ الذي أعطى الناسَ سلطانًا مثل هذا».

وفيه ٩/٣٣ «فلمّا أُخرج الشيطانُ تكلّم الأخرسُ. فتعجّب الجموعُ قائلينَ: لمْ يظهرْ قطّ مثْلُ هذا في إسرائيل».

وفي إنجيل لوقا ٧/١٦ بعد إحيائه ابن الأرملة «فأخذَ الجميعَ خوفٌ ومجّدوا اللهَ قائلينَ: قدْ قامَ فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتقدَ اللهُ شعبَه».

وفي إنجيل يوحنا ٦/١٤ بعد تكثيره الطعام «فلمّا رأى الناسُ الآيةَ التي صنعها يسوعُ قالوا: إنّ هذا هو بالحقيقةِ النبيُّ الآتي إلى العالَم».

وفيه ٩/١١ قول الأعمى الذي أبصر عندما سأله الناس على يد مَن أبصر «أجاب ذاك وقال: إنسانٌ يقالُ له يسوعُ».

نلاحظ من هذه التعقيبات التي تأتي بعد ذكْر أنواع المعجزات أنّ أقرب الناس للمسيح والذين شاهدوا معجزاته وصفوه بأنّه نبيٌّ من الناس لمْ يظهر قطّ مثْله في بني إسرائيل، ولم يقولوا إنّه إله لم يظهر قطّ مثْله في الآلهة، بل حمدوا اللهَ الذي افتقد الشعب بإرساله إليهم، وقد كانوا ينتظرونه، والإله لاينتظره الشعب، إنما يتقربون إليه بالطاعات في كل وقت.

وماذا يراد أكثر من شهادة المعاينين له، وشهادة الذين عافاهم الله على يده، إذْ وصفوه دائمًا بأنه إنسان وابن داود، ولم يقولوا مرة واحدة: إنه إله وابن إله، ولو كان إلهًا لصحّح لهم مفاهيمهم عندما وصفوه بالإنسان والنبيّ، ولَمَا جاز له السكوت على وصف الإله بصفات البشر، بل كان يجب عليه أنْ يغضب عليهم ويحذّرهم من هذه الأقوال التي تنتقص الإله؛ لأنّ تسمية الله نبيّاً وإنسانًا كفر،

وسكوت المسيح على ذلك وعدم إنكاره عليهم يكون إقراراً للكفر- وحاشاه، والحقّ أنّ سكوته دالٌّ على صدْق شهادتهم ببشريّته ونبوّته[1].

وقد يقول معترض: إنّ كلّ مَنْ صنعوا المعجزات صنعوها بقدرة الله وكانوا يدْعونه قبل حصولها، أمّا المسيح فكان يصنعها بقدرة نفسه ولم يكن يدعو أحداً، فدلّ ذلك على ألوهيته.

فيردّ على هذا الاعتراض بأنه ثبت من فقرات كثيرة أنّ المسيح عليه السلام كان يدعو الله ويَنظر إلى السماء قبل حصول هذه المعجزات، ففي إنجيل مرقس ٦/٤١ «فأخذَ الأرغفةَ الخمسةَ والسمكتيْن ورفعَ نظرَهُ نحوَ السماءِ وباركَ ثم كسّر الأرغفة»، وفيه ٧/٣٤ في إبرائه الأصمّ الأخرس: «ورفع نظره نحو السماء». والدعاء والنظر إلى السماء غير مشروط لحصول المعجزات؛ لأنّه يكفي لحصولها أنْ يتوجه النبيُّ إلى الله بقلبه ويناجيه سراً دون عمل ظاهري.

فقد ورد في إنجيل متى ٦/٦-٨ «(٦) وأمّا أنتَ فمتى صلّيتَ فادخلْ إلى مُخْدَعِكَ وأغلقْ بابكَ وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يَرى في الخفاءِ يجازيك علانيةً(٧) وحينما تصلّون لاتكرروا الكلامَ باطلاً كالأمم. فإنهم يظنون أنّه بكثرة كلامهم يُستجابُ لهم(٨) فلا تتشبّهوا بهم لأنّ أباكم يَعلمُ ماتحتاجون إليه قبْل أنْ تسألوه».

ولكنّ المسيحَ عليه السلام كانَ حريصًا على التفريق التامّ بين مقاميْ الألوهية والعبودية الخالصة، خشية الارتياب في أمره وبشريته وعبوديته لله الأحد، لذلك لم يكن يتردّد في الدعاء والتضرع إلى الله قبْل حصول هذه المعجزات، والشكر لله المنْعِم بعد حصولها، والإشارة إلى حصولها تأييداً لرسالته، ويكرر

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٣٣٥، وابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/٦٦، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٧٥، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص ١١٠.

القول إنّه لايقدر أنْ يفعل شيئًا من هذه المعجزات بنفسه، لكنْ بقدرة الله وحده؛ ليؤمنوا برسالة عبده المسيح[1].

ففي إنجيل يوحنا ١١/٤١-٤٢ قول المسيح بعد أنْ أحيا لِعازر «(٤١) ورفع يسوعُ عينيه إلى فوْقُ وقال: أيها الآب أشكرك لأنّك سمعتَ لي(٤٢) وأنا علمتُ أنّك في كلِّ حينٍ تسمعُ لي. ولكنْ لأجْلِ هذا الجمْعِ الواقفِ قلتُ. ليؤمنوا أنك أرسلتني».

وفيه ٨/٢٨ قول المسيح «ولستُ أفعلُ شيئًا من نفسي».

وفيه ١٠/٢٥ قوله «الأعمالُ التي أنا أعملها باسْم أبي هي تشهدُ لي».

وفي سفر أعمال الرسل ٢/٢٢ قول بطرس «يسوعُ الناصريّ رجلٌ قدْ تَبرهنَ لكم من قِبَلِ اللهِ بقواتٍ وعجائبَ وآياتٍ صنَعها اللهُ بيدهِ في وَسْطكم كما أنتم أيضًا تَعْلَمون»؟

فرفْعُ المسيحِ نظرَه إلى السماء يدلّ على سؤاله لله العليّ الأعلى.

وقوله «أشكرك لأنّك سمعت لي» نصّ في أنّه سأل الله فأجاب سؤاله فشكره على الإجابة، والشكر حقّ الخالق على المخلوق.

وقوله «وأنا علِمْتُ أنّك في كلّ حينٍ تسمعُ لي» نصّ في أنه يسأل ربَّه دائمًا قضاء الحاجات فيستجيب له.

وقوله «ليؤمنوا أنّك أرسلتني» نصّ في الحكمة من ظهور المعجزات على يديه، وهي دعوة بني إسرائيل للإيمان برسالته وإكرامه بمتابعته.

وأمّا قوله «ولستُ أفعل شيئًا من نفسي» «الأعمال التي أنا أعملها باسْم أبي»، وقول بطرس «وعجائبَ وآياتٍ صنعها الله بيده في وَسْطِكم» فهي

---

(١) أبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص٧٦، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٩٧-٩٨.

نصوص قاطعة وصريحة في حصول هذه المعجزات بقدرة الله وحده، وقد فهم المشاهدون لها هذا المعنى فلم يمجّدوا المسيحَ، لكنّهم «مجّدوا اللهَ الذي أعطى الناسَ سلطانًا مثْل هذا».

فلماذا يُترك الحقُّ الصريحُ المتعيّن الذي لايحتمل التأويل إلى ما لايقوم عليه دليلٌ من الباطل والأوهام؟![1].

وقد علّق المهتدي محمد مجدي مرجان على هذا فقال:

«وتصرّح الأناجيل أنّ السيدَ المسيحَ لم يكن سوى الأداة التي حركها اللهُ لإظهار هذه المعجزات، وأنّ الأمر كله في النهاية مرجعه إلى الله سبحانه وتعالى... وإنما عرفت الجماهيرُ هذه الحقيقة وردّت السلطانَ إلى أصله ومنشئه، فمجّدت اللهَ صاحبَ المعجزات ومجريها على أيدي البشر... هذه المعجزات والآيات التي أجراها اللهُ على يدي السيّد المسيح حتى يؤمنَ الناسُ أنّه رسول من عند الله، ويصدّقوا الرسالة التي أتى بها، ويعبدوا اللهَ الذي أرسله»[2].

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٣٣٩، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٣٩ و٩٧.

(٢) انظر كتابه: الله واحد أمْ ثالوث ص ١١١-١١٣.

الفصل الثالث[1]

إبطال استدلالهم بنصوص العهد القديم على التثليث

(١) هذا الفصل والذي بعده لم يذكرهما الشيخ رحمت الله في كتابه «إظهار الحق».

لـمّا كان الهـدف هو مناقشـة المنصِّرين فـي دعـواهم التـثليث وألوهـيـة المسـيح والـرّد على أدلّتــهم في ذلك، رأيت من المناسب أنْ أُتْبِع الفــصلين الســابقين بالفصلين التاليين (الثالث والرابع)، وقد خصصتهما لإبطال استدلال النصارى على التـثـليث وألوهـيـة المسـيح بمايزعـمون أنّه أدلّة لـهم من العـهـد القـديم ومن آيات القـرآن الكريم، وذلك لأنّ النصـارى يعـتـرفـون بأسـفـار العـهـد القـديم ويقدّسونها ويستدلّون بنصوصها.

وقد صَنّفتُ أدلّتهم من كـتب العـهـد القديم إلى ثلاث مـجـموعـات وضـربتُ بعض الأمـثلة لـكل مـجـموعـة، ثم أعـقبتُ ذلك بالردّ على مـازعـمـوا، ثم أتبعتُ الردّ على أدلّة هذه المجـموعـات الثـلاث بـردّ إجمـالي على مـجـمـوع أدلتـهم من العهد القديم.

وقد جاءت هذه المجموعات الثلاث كمايلي:

١- ذِكْر لفظ إله أو صفة من صفات الله ثلاث مرات.

٢- تثليث بعض الحيوانات وأقسام الليل.

٣- صيغ الجمْع الواردة في العهد القديم.

المجموعة الأولى من أدلتهم من العهد القديم
(ذكْرُ لفظ إله أو صفة من صفات الله ثلاث مرات):

ورد في ســفـر الخـروج ٣/ ١٥ «وقــال اللهُ أيضًا لموسى هـكذا تـقـولُ لبني إسرائيل يَهْوَهْ إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم».

وفي سفر إشعياء ٦/ ٣ «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ربُّ الجنودِ».

ومـثلهـا في سفـر رؤيا يوحنا ٤/ ٨ «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ الربُّ الإله القـادرُ على كل شيءٍ».

يستدلّ النصارى بأمثال هذه الفقرات على التثليث، ففي فقرة سفر الخروج السابقة أعقب ذكر التوحيد بالثالوث، فوحّد في قوله «إله آبائكم» وثلّث في قوله «إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب»، فكرر لفظ الإله ثلاث مرات ليدلّ على الأقانيم الثلاثة للإله الواحد.

ويستدلّون كذلك بما في فقرتي سفريْ إشعياء والرؤيا من تقديس الملائكة للربّ ثلاث مرات. ثم إفرادهم اسم الربّ لبيان سرّ الثالوث في الوحدانية.

ويقولون: إنّ اليهود لم يفهموا سرّ التثليث الوارد في كتبهم حتى جاء المسيح صاحب السرّ وكشفه، فآمن به النصارى وكفر به اليهود.

ويردُّ على أدلة هذه المجموعة بثلاثة أوجه:

الوجه الأول[1]: بالنسبة لتكرار لفظَيْ(إله) و (قُدُّوس) ثلاث مرات هو تكرار لفظيّ لاغير، وفيه تأكيد على ألوهية الله الواحد الأحد، ولايخفى على قارئ كتب العهد القديم أنّ لفظ إله قد يَرِدُ مرّةً واحدةً وقد يَرِدُ مكرراً مرتين أو ثلاثًا، وإذا جاز أنْ يُفهم من التكرار الثلاثي ثلاثية الأقانيم فلماذا لايفهم من التكرار الثنائي ثنائية هذه الأقانيم؟!

ففي سفر التكوين ٢٤/٣ قول إبراهيم «فأستحلِفَكَ بالربِّ إلهِ السماءِ وإلهِ الأرض».

وفي سفر المزامير ٥٩/٥ «وأنتَ ياربُّ إلهَ الجنودِ إلهَ إسرائيلَ».

وفي سفر إرميا ٣٨/١٧ «هكذا قال الربُّ إلهُ الجنودِ إلهُ إسرائيلَ».

فكما أنّ تكرار إبراهيم وداود وإرميا لفظ إله مرتين لايفيد تثنية الأقانيم، فكذلك التكرار الثلاثي ليس فيه إشارة للثالوث، إنما هو جَرْيٌ على العادة المألوفة لكافة أجناس البشر من أنّهم إذا أرادوا تأكيد أمرٍ كرّروه أكثر من مرة،

(١) للتوسع انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٢٤١ و٢٤٦، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٣٩، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٣٢٠ و٣٣٩.

ألا ترى أنّ قولنا عن زيد إنّه أبٌ لفلان وأبٌ لفلان وأبٌ لفلان لايفهم منه أنّ زيداً ثلاثة آباء، بل يفهم منه بكل بساطة ووضوح أنّه أبٌ واحد للثلاثة المذكورين، فكذلك الله سبحانه وتعالى إله الثلاثة المذكورين وإله الخلق كلهم، ولو كان فَهْمُ تثليث الأقانيم صحيحًا لقال: آلهة إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

والعطف هنا ليس لتغاير الذوات لكنه لايمنع تعدّد الصفات، وهذا ليس مقصوراً على الثلاثة؛ لجواز أنْ يُقال مثْله في الاثنين والأربعة والخمسة، وعلى حسب مايَقصد المتكلّم ذكْرَه من الصفات، وهذه الفائدة تتحقق في قوله: إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، دون قوله: إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لدلالة القول الأول على أنّ كلَّ نبيّ عبَدَهُ عبادةً مستقلّة اختصّ بها لم تكن هي نفس عبادة الأول، فتكرار لفظ (الإله) يدلّ على العبادة باللفظ المتضمن لها، وأمّا القول الثاني المذكور فيه لفظ (الإله) مرّةً واحدةً فيدلّ على أنّ الإله معبود الأنبياء الثلاثة، وأنّ التلازم حاصل بين عبادة كلٍّ منهم، ولاشكّ أنّ في دلالة المعنى الأول وظهور المعنى للسامع ماليس في دلالة المعنى الثاني[1].

الوجه الثاني[2]: وردت فقرات كثيرة بتوحيد لفظ (إله):

ففي سفر أخبار الأيام الأول ٢٩/١٨ قول داود عليه السلام «ياربُّ إلهَ إبراهيمَ وإسحاقَ وإسرائيلَ».

وفي سفر أخبار الأيام الثاني ٣٠/٦ «ارجعوا إلى الربِّ إلهِ إبراهيمَ وإسحاقَ وإسرائيلَ».

وفي سفر أعمال الرسل ٣/١٣ قول بطرس «إنّ إلهَ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ إلهَ آبائنا».

ولئن كانت فقرة سفر الخروج ٣/١٥ قد ذُكر فيها لفظ الإله ثلاث مرات «إلهُ إبراهيمَ وإلهُ إسحاقَ وإلهُ يعقوبَ» فإنّ أختها الفقرة ١٦ ذُكر فيها لفظ الإله مرة

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٢٤١.

(٢) المرجع السابق ٢/٢٤٣-٢٤٤، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٣١٩ و٣٣٩.

واحدة «إلهُ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ»، فلماذا تكون إحداهما دليلاً على التثليث ولاتكون الأخرى دليلاً على التوحيد؟! ولماذا تكرار لفظ (إله) ثلاث مرات في مواضع قليلة يدلّ عند النصارى على التثليث وذكر هذا اللفظ مرة واحدة في مواضع عديدة لايدل عندهم على وحدانية الله؟!

ومثْل ذلك يقال في لفظة (قُدُّوس)، فقد وردت بالإفراد أيْ مرّةً واحدةً في نحو أربعين موضعًا، ولم تكرر هذه اللفظة ثلاث مرات إلاّ في الموضعين المذكورين من كتب العهدين، وليس فيهما مايشير إلى التثليث، فلماذا يكون تكرار هذه اللفظة ثلاث مرات في موضعين فقط دالاً على الثالوث بزعمهم ولايكون ذكرها مرة واحدة في عشرات المواضع دالاّ على وحدانية الله؟! مع إمكانية تفسير التكرار المذكور بأنّه للتأكيد، والمعنى: نقدّسك ثلاث مرات ولانقتصر على مرة واحدة، فالتثليث للتقديس وليس للإله[1].

الوجه الثالث: لو أُريدَ بتكرار لفظ الإله الدلالة على أنّ اللفظ الأول يعني أقنوم الآب واللفظ الثاني يعني أقنوم الابن واللفظ الثالث يعني أقنوم الروح القدس، لكان اللفظ الأوّل - الآب - إله إبراهيم وحده، واللفظ الثاني - الابن- إله إسحاق وحده، واللفظ الثالث - الروح القدس - إله يعقوب وحده، وبه ينتفي كون الإله إلهًا للكلِّ، وهذا كفر عند النصارى وعند جميع أهل الملل، ويلزم منه وجود ثلاثة آلهة متميّزين لكون إله كلّ نبيّ ليس هو إله النبيّ الآخر مع كون الثلاثة آلهة[2].

المجموعة الثانية من أدلتهم من العهد القديم
(تثليث بعض الحيوانات وأقسام الليل):

ورد في سفر التكوين ١٥/٩ قول الله لإبراهيم «فقالَ له خُذْ لي عِجْلَةً ثُلاثيّة وَعَنْزةً ثلاثيّة وكَبْشًا ثلاثيّاً ويمامةً وحمامةً».

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٢٤٣-٢٤٤، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٣١٩ و٣٣٩.
(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ٢٤٠.

وفيه ٢/١٨ عن إبراهيم «فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثةُ رجالٍ واقفون لديْه».

وفي سفر القضاة ١٩/٧ «فجاء جِدْعُونُ والمئةُ الرجلِ الذين معه إلى طَرَف المَحَلَّةِ في أوّل الهزيعِ الأوسطِ».

وأمثال هذه الفقرات التي راح النصارى يتلمسونها في كتب العهدين ظانّين أنّ فيها إشارة للثالوث، فقالوا: إنّ الحيوانات الثلاثة كل واحد منها ثلاثي، والرجال الذين رآهم إبراهيم ثلاثة، وقد قدّر الله لليهود تقسيم الليل إلى ثلاثةِ هُزُع ليعلّمهم الثالوث، لكنهم غفلوا عن هذه الحقيقة.

وهذا في زعم النصارى يدلّ على تثليث الأقانيم.

الردُّ على أدلة هذه المجموعة:

بالنسبة للحيوانات الثلاثية الثلاثة المذكورة في فقرة سفر التكوين لاتفيد تثليث الأقانيم، وهذا الفهم تعسف ظاهر؛ لأنّ تمام الفقرة «ويمامةً وحمامةً» فصارت الحيوانات خمسة بدل ثلاثة، فأين ذهب الأقنوم الرابع والخامس؟!

ثم لماذا تدل العِجْلة الثلاثية والعَنْزة الثلاثية والكبش الثلاثي على الثالوث ولاتدل اليمامة الواحدة والحمامة الواحدة على الوحدانية؟!

وإذا كانت الحيوانات بأعدادها وأعمارها والرجال الواقفون وهُزُع الليل الثلاثة تدل على الثالوث فيجب القول بالرابوع؛ لأنّ أدلّته أكثر وأوضح من أدلة الثالوث.

ففي رؤيا يوحنا اللاهوتي ٦/٤ و٨ «(٦) وحول العرش أربعةُ حيواناتٍ مملوّةٌ عيونًا من قدّام ومن وراء... (٨) والأربعةُ الحيواناتُ لكلِّ واحدٍ منها ستةُ أجنحة».

وفي سفر دانيال ٣/٧ «وصعِد من البحر أربعةُ حيواناتٍ عظيمةٍ».

وفي سفر حزقيال ١/٥-٦ «(٥) ومن وسَطِها شِبْهُ أربعةِ حيواناتٍ وهذا

منظرها. لها شِبْهُ إنسانٍ(٦) ولكلّ واحد أربعة أوجهٍ ولكلّ واحد أربعة أجنحةٍ».

وفي سفر أعمال الرسل ١٢/٤ «ولمّا أمْسَكَه وضعهُ في السجن مُسَلِّمًا إيّاهُ إلى أربعةِ أرابعَ من العَسْكر ليحرسوه».

وفي سفر التكوين ٢/١٠ «وكان نهرٌ يخرجُ من عَدْنٍ ليسقيَ الجنةَ. ومِنْ هناكَ يَنقسمُ فيصيرُ أربعةَ رؤوسٍ».

وفي زمان المسيح عليه السلام كان تقسيم الليل إلى أربعة هُزُع أمراً معروفًا، ففي إنجيل مرقس ١٣/٣٥ قوله لتلاميذه «اسهروا إذاً. لأنّكم لاتعلمون متى يأتي ربُّ البيتِ أمساءً أمْ نصفَ الليل أمْ صياحَ الديكِ أمْ صباحًا».

وفيه ٦/٤٨ عن وقت مجيء المسيح «ونحوَ الهزيعِ الرابعِ من الليلِ أتاهم ماشيًا على البَحْرِ».

وفي إنجيل متى ١٤/٢٥ «وفي الهزيعِ الرابعِ من الليلِ مضى إليهمْ يسوعُ ماشيًا على البَحْرِ».

فالاستدلال على الثالوث بتقسيم الليل إلى ثلاثة هُزُع لاصحّة له؛ لجواز تقسيمه إلى أربعة هزع أو أكثر، وهذا أمر يتعلق بعرْف الناس ولاعلاقة له بتركيب الأقانيم، وإلاّ فإنّ الفقرات الوارد فيها ذكْر العدد أربعة أكثر من الفقرات الوارد فيها ذكْر العدد ثلاثة، فما الذي رجح الثالوث على الرابوع؟!

بل إنّ السادوس سيكون له نصيب من هذا الفهم الخطأ لمَا ورد في سفر حزقيال ٩/٢ «وإذا بستةِ رجالٍ مُقْبلينَ من طريق الباب الأعلى الذي هو من جهة الشّمالِ وكلٌّ واحدٍ عُدَّتُه الساحقةُ بيده. وفي وَسْطهم رجلٌ لابسٌ الْكَتّانَ».

وكذلك فقرة سفر رؤيا يوحنا ٤/٨ «والأربعةُ الحيواناتُ لكلّ واحدٍ منها ستةُ أجنحةٍ».

والقول بالسادوس أقرب من القول بالرابوع لاحتمال انقسام أعضاء الثالوث فأصبحوا ستة، وسيطلع علينا آخر بالسابوع ليرضي الرجل الذي يلبس الكتّان ويقف في وسط الستة.

وبذا فلا تنضبط الأقانيم اللاهوتية على حسب هذا الزعم الباطل. سبحانك اللهم لا إله إلاّ أنت وحدك لاشريك لك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا لايقتضي تعدد الأرباب والآلهة، ولهذا يقتضي جعلهم اثنين وأربعة إذا ذكر اللفظ مرتين وأربعة، فكذلك إذا كان ثلاث مرات لايقتضي أنّ الأرباب ثلاثة»[1].

المجموعة الثالثة من أدلتهم من العهد القديم

(صيَغ الجمْع الواردة):

ورد في سفر التكوين ١/٢٦ «وقال اللهُ نَعملُ الإنسانَ على صُورتِنا كَشَبَهِنا».

وفيه ١١/٧ قولُ الله «هلمَّ نَنزلْ ونُبلبلْ هناك لسانَهم حتى لايَسْمَعَ بعضُهم لسانَ بعْضٍ».

فيزعم المثلّثون أنّ قولَ الله كلماتٍ بصيغة الجمْع مثل: نعمل، صورتنا، شبهنا، ننزل، نبلبل، يدلّ على تثليث الأقانيم، ويؤيدون كلامهم بما في سفر التكوين ٣/٢٢ «وقال الربُّ الإلهُ هُوَذَا الإنسانُ قدْ صارَ كَوَاحدٍ منّا عارفًا الخيْرَ والشرَّ» فلم يقلْ صار كالإله الواحد، وذلك لتتمّ الإشارة إلى الأقانيم الثلاثة.

ويردُّ على أدلة هذه المجموعة بوجهين:

الأول: أنّ الكتب الدينية تَنسب العملَ إلى الله بطريق الإفراد إذا لم يكن للملائكة فيه دخل، وأمّا إذا كان لهم فيه دخل بطريق السببية فمن الجائز أنْ يُنسب العملُ إلى الله تعالى بصيغة الجمع، ولمّا كان خلْقُ آدم فيه دخل

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/٢٤٢، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٣٢٩.

للملائكة بطريق السبب العادي نُسب الخلق إلى الله تعالى بصيغة الجمع، وكذلك النزول والبلبلة عبّر عنه بصيغة الجمع؛ لأنّ الملائكة ينزلون بالعذاب بأمر الله(١).

الثاني: ضمير المتكلم في اللغة العربية منه ماهو موضوع للمفرد الذي لايريد أنْ يعظّم نفسه، ومنه ماهو موضوع للمفرد الذي يريد تعظيم نفسه، وبما أنّه لاأحد أحقُّ باستعمال ضمير العَظَمة من الله سبحانه وتعالى، فالنون الواردة في بعض الكلمات مثل: نعمل، ننزل، خلقنا، والتي تُوهم الجمع هي نون العظَمة بلانزاع، وهذا المعنى اللغوي معروف ولاخلاف فيه، والأوضاع اللغوية لايؤخذ منها صيرورة الثلاثة واحداً، ولايعود ضمير المتكلم عليها تارة باعتبار كونها ثلاثة وتارة باعتبار كونها واحداً(٢).

الردّ الإجمالي على مجموع أدلتهم من العهد القديم:

قَبل النصارى أنْ يكونَ اليهودُ أحكمَ قاضٍ في كتبهم في إنكارهم نبوّة محمّدٍ ﷺ، ونحن لانَقْبلُ حُكْمَ اليهود هذا؛ لأنّ مظنّة الجحود والتعصب واردة، وفي مسألة التثليث لايقبل النصارى حُكْمَ اليهود، ونحن نَقبل أنْ يكون اليهودُ فيها أحكمَ قاضٍ في كتبهم؛ لأنّ مظنّة التكذيب والتعصب هنا غير واردة، وقد نزلت التوراة بلسانهم، وهم لايعتقدون تثليث الأقانيم ولايرضون بنسبة ذلك إلى كتبهم، وإصرار النصارى على الاستدلال بفقرات من كتب العهد القديم على التثليث فيه اتّهام لموسى وسائر أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام أنهم ماكانوا يعرفون الدين الصحيح، أو أنهم عرفوه لكنهم كتموا قومهم أهمّ العقائد التي تتوقف عليها نجاتهم في الدنيا والآخرة.

ولو كانت العقائد التي تتوقف عليها النجاة تُفْهَم بالاستنباطات المعقّدة والتأويلات البعيدة لكان اليهودُ هم أول من اعتقد التثليث دون خوف من أحد،

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٢٢٨ و٢٣٥، والهمذاني: تثبيت دلائل النبوة ١/١١٥، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص ٣٧-٣٨، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٣٣١ و٣٣٩.

(٢) الجزيري: أدلة اليقين ص ٢٢٠-٢٢١، ود. أحمد السقا: أقانيم النصارى ص١٢٣.

فهم لم يخافوا من إنكار نبوة المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام مع انتظارهم للنبي الموعود واستفتاحهم على العرب بمبعثه، فكيف يخافون من اعتقاد التثليث والجهر به لو كان صحيحًا ؟!

أضف إلى ذلك أنّ انتظارهم بحكم كتبهم كان لنبي صفته أنّه بشرٌ ورسولٌ عابد لله، ولم يكونوا ينتظرون شخصًا إلهيّاً، وهذا يَدلّ على بشرية المسيح وعبوديته لله ونبوته.

وإنّ القلم ليخجل من تسجيل أدلّة النصارى على التثليث من كتب العهد القديم، وما ذكرتها إلاّ رغبة في إظهار أقصى ما عند القوم من الأدلّة المُوهمة والألفاظ المحتملة، ومناقشتها بالأسلوب الذي لايفهمون غيره، زيادة في الإلزام وإقامة الحجة، وحتى لاتبقى النفوس متطلعة إلى معرفة أدلّتهم من التوراة وملحقاتها- أي كتب العهد القديم- فهي أكبر شاهد على وحدانية الله، ولايوجد فيها إشارةٌ واحدة إلى الثالوث المزعوم لاتصريحًا ولاتلميحًا، والنصوص الدالة على وحدانية الله فيها لاتكاد تحصى.

ولانشكّ أنّ المسيح عليه السلام كان مطّلعًا على كتب العهد القديم، وقارئًا لما فيها، ومُظهراً للحق الذي أخفاه الكَتَبةُ والأحبارُ في مسائل أقلّ أهمية من مسائل العقيدة، ولم يخش في ذلك سطوتهم ولا كيد الرؤساء الدينيين له، وكتب العهد الجديد مليئة بأقوال المسيح التي يعنّفهم فيها ويوبّخهم على كتمانهم الحقّ، وكان الأجدر بالمسيح- لو كان التثليث حقّاً- أنْ يعنّفهم على توحيدهم لله، ويزيل فقرات التوحيد من كتبهم ويبطلها، لكنّه ماجاء لينقض الناموس بل ليكمّل ويتمّم عمل الأنبياء قَبْله، لذلك حافظتْ هذه الفقرات على نصاعتها وصراحتها في وحدانية الله.

ومن هذه الفقرات مافي سفر التكوين ١/١ «في البدء خلق اللهُ السماوات والأرض».

وفي سفر التثنية ٤/ ٣٥ و٣٩« (٣٥) لِتَعلَمَ أنّ الربَّ هو الإلهُ. ليس آخَرَ

سواه... (٣٩) فاعْلَمِ اليومَ وردّدْ في قلبكَ أنّ الربَّ هو الإلهُ في السماءِ من فَوقُ وعلى الأرضِ من أسفلُ. ليسَ سواه».

وفيه ٦/٤-٥ «(٤) اسمعْ ياإسرائيلُ. الربُّ إلهُنا ربٌّ واحدٌ(٥) فتحبُّ الربَّ إلهَك من كلّ قلبكَ ومن كلّ نفْسك ومن كلّ قُوَّتكَ».

وفيه ٩/٧ «فاعلمْ أنّ الربَّ إلهَك هو الله».

وفيه ١٧/١٠ «لأنّ الربَّ إلهَكم هو إلهُ الآلهةِ وربُّ الأربابِ الإلهُ العظيمُ الجبّار».

وفيه ٣٩/٣٢ «انظروا الآنَ: أنا أنا هو وليس إلهٌ معي».

وفي سفر إشعياء ١٦/٣٧ «أنتَ هو الإلهُ وحدَك».

وفيه ٦/٤٤ و٨ «(٦) أنا الأوّلُ وأنا الآخِرُ ولا إلهَ غيْري...(٨) هلْ يوجدُ إلهٌ غيري».

وفيه ٥/٤٥-٦ و١٨ و٢١-٢٢ «(٥) أنا الربُّ وليسَ آخَرُ.لا إله سوايَ(٦) لكيْ يعلَموا منْ مَشرق الشمس ومنْ مَغْربها أنْ ليسَ غيري. أنا الربُّ وليسَ آخَرُ...(١٨) أنا الربُّ وليسَ آخَرُ...(٢١) أليس أنا الربُّ. ولا إلهَ آخَرَ غيْري(٢٢) لأني أنا اللهُ وليسَ آخَرَ».

وفيه ٩/٤٦ «أنا اللهُ وليسَ آخَرُ. الإلهُ وليس مِثْلي».

وفي سفر نحميا ٦/٩ «أنتَ هو الربُّ وحدَكَ».

وفي سفر الملوك الأوّل ٨/ ٦٠ «ليَعلَم كلُّ شُعُوبِ الأرضِ أنّ الربَّ هو اللهُ وليس آخَرُ».

وفيه ٣٩/١٨ «الربُّ هو اللهُ الربُّ هو اللهُ».

وفي سفر يوئيل ٢٧/٢ «وأنّي أنا الربُّ إلهُكم وليسَ غيري».

والأمثلة في ذلك لاتحصى وكلها تصرّح بوحدانية الله الذي لا إله غيره، وأنّ على أهل المشرق والمغرب وأهل السماء والأرض أنْ يعتقدوا وحدانيته دون

اعتقاد التثليث، ولم تُشرْ فقرة واحدة في كتب العهد القديم إلى الثالوث المزعوم، ولم يأتِ بذلك نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، وهم إنما جاءوا لبيان الحقّ وإظهاره، وطمس الباطل وإزهاقه، فبيّنوا كلُّهم وحدانيةَ الله دون شك أو وجل، ودعوا الناس إلى الاعتقاد بذلك ونبْذ كلّ اعتقاد أو عمل يخالف الدين الحق، ولو كان المسيحُ إلهًا والإله مثلّثًا لوجب على جميع الأنبياء التصريحُ بذلك، ولئن جاز على جميعهم الكتمان فلايجوز للأنبياء الذين كانوا قبل المسيح بمدّة يسيرة كزكريا وابنه يحيى عليهما السلام.

ولم تكتفِ كتب العهد القديم بالدعوة إلى توحيد الله فحسب، بل دعت إلى عبادته وحده وحرمت عبادةَ غيره، وأوجبت قتْلَ كلِّ مَن يعبد غير الله أو يدعو لذلك.

ففي سفر الخروج ٣/٢٠ - ٥ «(٣) لايكنْ لك آلهةٌ أخرى أمامي(٤) لاتصنعْ لك تمثالاً منحوتًا ولاصورةً مّا ممّا في السماء من فوقُ ومافي الأرضِ من تحتُ ومافي الماء من تحتِ الأرض(٥) لاتسجدْ لهنّ ولاتعبدْهنّ. لأنّي أنا الربَّ إلهَك إلهٌ غيورٌ».

وفيه ١٧/٣٤ «لاتصنعْ لنفسِك آلهةً مسْبوكةً».

وفي سفر التثنية ١٦/١١ «فاحترِزوا من أنْ تنغويَ قلوبُكم فتزيغوا وتعبُدوا آلهةً أُخرى وتسجُدوا لها».

وفيه ٦/١٣ - ١٠ «(٦) وإذا أغواكَ سراً أخوكَ ابنُ أمّكَ أو ابنُكَ أو ابنتُك أو امرأةُ حضْنكَ أو صاحبُك الذي مثْلُ نفسك قائلاً نذهبُ ونعبدُ آلهةً أُخرى لم تَعرفْها أنتَ ولا آباؤك(٧) من آلهةِ الشعوبِ الذينَ حَوْلَكَ القريبينَ منك أو البعيدين عنكَ من أقصاء الأرض إلى أقصائها(٨) فلاترضَ منه ولاتسمعْ له ولاتُشْفقْ عينُكَ عليه ولاترَقَّ له ولاتَستُرْهُ(٩) بلْ قتْلاً تقْتُلُه. يدُك تكون عليه أوّلاً لقتْله ثم أيدي جميعِ الشّعْب أخيراً(١٠) ترجُمُه بالحجارةِ حتى يموتَ لأنّه التمس أنْ يُطوّحكَ عن الربِّ إلهكَ».

وفيه ٣/١٧ و٥ «(٣) ويذهبُ ويعبدُ آلهةً أُخرى ويسجدُ لها أو للشمس أو للقمر أو لكلٍّ من جُنْد السماء الشيءَ الذي لم أوصِ به...(٥) فأخرِجْ ذلكَ الرجلَ أو تلك المرأةَ الذي فعَل ذَلك الأمرَ الشرّيرَ إلى أبوابك الرجلَ أو المرأةَ وارْجُمْهُ بالحجارة حتى يموتَ».

وفي سفر اللاويين ١/٢٦ «لاتصنعوا لكم أوثانًا ولاتُقيموا لكم تمثالاً منحوتًا أو نَصَبًا ولاتَجعلوا في أرضكم حَجَرًا مصوَّرًا لتسجدوا له. لأنّي أنا الربُّ إلهُكم».

ولمّا كانت نصوصُ التوراة التي يعترف بها النصارى ويقْبلونها صريحة في الدلالة على المعنى المتعيّن الموافق لأدلّة العقل، وكلُّها ناطقةٌ بوحدانية الله وعدم التثنية أو التثليث في ذات الله تعالى، ولا وجود فيها للفظ الأقانيم وسائر الألفاظ الشركية المبتدَعة، بل هي تأمر بقتل كلّ من يدعو إلى عبادة غير الله ولو كان نبيّاً ذا معجزات عظيمة، فالحقُّ والعدلُ والإنصافُ يقضي بالاعتماد عليها ورفض كل مايخالفها؛ لأنها أدلة نقلية صريحة لاتحتمل التأويل، وهي قاطعة في الدلالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

يقول المهتدي محمد مجدي مرجان:

«وإذا طالعنا التوراة وأعدْنا البحثَ والتنقيبَ في أسفارها وبيْن سطورها فإننا لانجد فيها كاهنًا يتحدث عن الثالوث ولانبيّاً يهمس بالتعدّد، بل إننا نجدُ جميعَ أنبياءِ وكهنة التوراة ينادون بل ويصرخون بوحدانية الله، وبأنّه سبحانه لاشريك له، ولاتركيب فيه، ولاشبيه له ولامثيل، قال بهذا كافة أنبياء التوراة وكافة أحبار اليهود»[1].

---

(١) انظر كتابه: الله واحد أمْ ثالوث ص ١٢٨، وللتوسع انظر فيه ص ١٢٩-١٣٤، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٣٨ و١٠٣ و١١٤، والبحراني: لسان الصدق ص١١٦.

الفصل الرابع

إبطال استدلالهم بآيات القرآن الكريم
على ألوهية المسيح

وهذا الفصل لم يذكره الشيخ رحمت الله كذلك، وإنّي أجلّ القرآن وأنزهه عن أنْ يكون فيه دليل على الكفر، لكنني لمّا رأيتُ أنّ المنصّرين يتجرأون على الزعم بتأييد آيات القرآن الكريم لعقيدتهم الباطلة في تأليه المسيح، رأيت لزامًا عليّ أنْ أوضح بطلان استدلالهم بآيات الكتاب العزيز على مازعموا، والحقّ أنّ المسلمين لاتضرهم مثل هذه التمويهات والافتراءات، لكن ذلك لايمنعني من ردّ افتراءاتهم على القرآن، دون أنْ أخرج عن منهاج هذه الرسالة في عدم الاستدلال عليهم بآيات القرآن الكريم، وأشهر هذه الاستدلالات ثلاثة هي:

١- استدلالهم بأنّ المسيح روح من الله.

٢- استدلالهم بأنّ المسيح كلمة الله.

٣- استدلالهم بتأييد المسيح بروح القدس.

وفيما يلي البيان والردّ:

١- استدلالهم بأنّ المسيح روح من الله

يزعم النصارى أنّهم يستنبطون من القرآن الكريم مايدلّهم على ألوهية المسيح، وذلك مثل قوله تعالى في سورة النساء آية ١٧١ ﴿**وروحٌ منه**﴾، ومثل قوله تعالى في سورة مريم آية ١٧ ﴿**فأرسلنا إليها روحنا**﴾، وقوله تعالى في سورة الأنبياء آية ٩١ ﴿**فنفخنا فيها من روحنا**﴾، ويقولون: إنّ هذه خاصية امتاز بها المسيح دون غيره، ولامعنى لكونه روحًا من الله غير أنّه الأقنوم الثاني من الثالوث، وأنّه مرسَل من قبَل أبيه، وأنّه مثْله؛ لأن كلمة ﴿**منه**﴾ تقتضي البعضية؛ أي إنه جزء منه، فالمسيح من الله وهو روح الله، إذن هو إله.

ويردّ على استدلالهم هذا بأربعة أوجه:

الوجه الأول: بالنسبة لتخصيص المسيح في القرآن بلفظ ﴿**وروح منه**﴾ كان للردّ على اليهود الذين زعموا أنّ عيسى ليس نبيّاً، وأنّه ابنُ زنا، وأنّ به روحًا نجسة شيطانية.

ففي إنجيل مرقس ٣/٢٢ و٣٠ «(٢٢) وأمّا الكتبةُ الذين نزلوا من أورشليم فقالوا: إنّ معه بَعْلَزَبُولَ. وإنه برئيس الشياطين يُخرج الشياطين... (٣٠)لأنّهم قالوا: إنّ معه روحًا نجِسًا».

وفي إنجيل يوحنا ٧/ ٢٠ «أجاب الجمعُ وقالوا: بك شيطانٌ».

وفيه ٨/٤٨ و٥٢« (٤٨) فأجابَ اليهودُ وقالوا له ألسْنا نقولُ حَسَنًا: إنّك سامريٌّ وبك شيطان ... (٥٢) فقال له اليهودُ: الآنَ علِمنا أنّ بك شيطانًا».

وفيه ١٠/ ٢٠ «فقال كثيرون منهم: به شيطانٌ وهو يهذي. لماذا تستمعون له».

وفي إنجيل متى ٩/٣٤ «أمّا الفرّيسيون فقالوا: برئيسِ الشياطينِ يُخرِجُ الشياطينَ».

وفيه ١٢/ ٢٤ «أمّا الفرّيسيون فلمّا سمعوا قالوا: هذا لايُخرجُ الشياطينَ إلاّ ببعْلَزَبُول رئيسِ الشياطينِ».

وبهذا نرى أنّ أعداء المسيح ورؤساء اليهود من الكتبة والفرّيسيّين وغيرهم الكثير من اليهود اتهموه أنّ به روحًا شيطانية، وشاع ذلك بينهم حتى عصر نبيّنامحمد ﷺ، فنطق القرآنُ العظيم مصرّحًا بأنّه روحٌ من الله؛ لينفي عنه ما رماه به أعداؤه[1].

الوجه الثاني: ورد في الأسفار حلول روح الله على غير المسيح:

ففي سفر إشعياء ٦١/١ «روحُ السيّدِ الربِّ عليَّ لأنَّ الربَّ مَسَحني لأبَشِّرَ المساكينَ».

وفي سفر دانيال ٥/١١ «يوجد في مملكتكَ رجُلٌ فيه روحُ الآلهةِ القُدُّوسين».

وفي سفر حزقيال ١١/٥ «وحلّ عليَّ روحُ الربِّ».

(١) العلمي: سلاسل المناظرة ص٤٨، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص ٨٣.

وفيه ٢٧/٣٦ «وأجعلُ روحي في داخلكم».

وفي سفر أخبار الأيام الثاني ٢٤/ ٢٠ «ولِبسَ روحُ اللهِ زكريا».

وفي الرسالة إلى أهل رومية ٨/٩ «إنْ كان روحُ اللهِ ساكنًا فيكم».

هذه الفقرات وغيرها الكثير تبيّن أنّ روحَ الله حلّت على كثير من الأنبياء وعلى أهل رومية جميعًا، ولم يلزم من حلولها البعضيّة، فالروح هنا ليست جزءاً من الله تعالى، وإلاّ لزم أنْ يكون أهلُ رومية والأنبياء المذكورون آلهة، ولم يقل بذلك أحد[1].

فالاستدلالُ بمثل هذه الألفاظ على الاتحاد والحلول الحقيقي مردودٌ، ولا شكّ أنّ النصارى يوافقوننا في عدم ألوهية جميع الذين حلّ عليهم روحُ الربّ، وأنّ الحلولَ هنا ليس حلولاً حقيقيّاً في أولئك المطلَق عليهم، ويوافقوننا كذلك على وجوب التأويل، فما الذي يجوّز لهم القول بالحلول الحقيقي في المسيح؟!

إنْ كان هو الأخْذ بظاهر النصوص فيجب تأويلها في حقّه كما أوّلوها في حقّ غيره.

وإنْ كان عندهم دليل يخصّصه دون غيره فلْيُظْهِروه، وإلاّ فإنّ المساواة بينه وبين غيره في عدم الألوهية واجبة[2].

الوجه الثالث: أنّ هذه الإضافة للتشريف، وقد ورد مثْلها في القرآن الكريم، ففي سورة الحجر آية ٢٩ وسورة (ص) آية ٧٢ ﴿**فإذا سويْتُه ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾.

وفي سورة الشمس آية ١٣ ﴿**ناقةَ الله**﴾.

وفي سورة الحج آية ٢٦ ﴿**وطهّر بيتي**﴾.

(١) أيوب صبري: الجوهر الفريد ص ٣٠ و١١١، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٤١.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/ ٢٤٠، والمرجعان السابقان بالترتيب ص ٥٥ و٢٧٣.

والإضافة في هذه الآيات جميعها هي إضافة تشريف؛ أيْ لبيان أنّ الله يحبّ هذه الأشياء المضافة ويرضاها، أو يصطفيها ويقرّبها، فهي إضافة أعيان لا إضافة صفات، وذلك يدلّ على أنّها مخلوقة مملوكة لله تعالى، لكنّها مختصّة بصفات ميّزتها عن غيرها حتى استحقت هذه الإضافة، وقوله تعالى عن عيسى **﴿وروح منه﴾** هو من قبيل الإضافة التشريفية وإنْ كانت جميع الأرواح من خَلْقه، ولايُفهم من ذلك التبعيض، وهي مثْل قوله تعالى في سورة الجاثية آية ١٣ **﴿وسخّر لكم مافي السماوات ومافي الأرض جميعًا منه﴾**. فليست **﴿من﴾** هنا للتبعيض، لكنها لابتداء الغاية، والمعنى مِن خلْقه ومِن عنده[1].

وقد وردت مثل هذه الإضافة في العهد الجديد:

ففي رسالة يوحنا الأولى ٤/١ و٤ و٦ «(١) امتحنوا الأرواحَ هلْ هيَ من الله... (٤) أنتم من الله أيّها الأولادُ... (٦) نحنُ من الله فمَنْ يعرفُ اللهَ يسمعُ لنا ومَنْ ليسَ مِن اللهِ لايسمعُ لنا. مِنْ هذا نعرِفُ روحَ الحقِّ وروحَ الضّلال».

وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٢/١١ «ولكنّ جميعَ الأشياءِ هي من الله».

فإضافة الأشياء المذكورة كلّها مِن قَبِيل الإضافة التشريفية، ولا دلالة فيها على البعضيّة.

وقد بيّن إبراهيم الحوراني - مترجم كتاب السنن القويم في تفسير أسفار الكليم - عند شرحه للفصل الأول من سفر التكوين ولوع العبرانيين بهذه الإضافة، وأنّهم اعتادوا أنْ ينسبوا مايريدون تعظيمه إلى الله تعالى[2].

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢٤٣/١ و١٢٨/٢ و٣٠٤، والشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب ص١٣٢-١٣٣، والجزيري: أدلّة اليقين ص٢٤٥، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص١١٧- ١١٨، وتفسير الآية ١٧١ من سورة النساء في تفسير ابن كثير ١/ ٥٩٠، وتفسير القرطبي م ٣ ج ٦ ص ٢٤.

(٢) العلمي: سلاسل المناظرة ص٤٩-٥١.

الوجه الرابع: أنّ إشعياء فسّر المقصود بروح الربّ الذي يحلّ على المسيح وغيره تفسيراً واضحًا يزيل كلّ شبهة وغموض، ففي سفر إشعياء ١١/٢-٥ «(٢) ويَحُلُّ عليه روحُ الربّ روحُ الحِكْمةِ والفَهْم روحُ المشُورةِ والقوّة روحُ المعرفةِ ومخافة الربّ(٣) ولذّته تكونُ في مخافةِ الربِّ فلايَقْضِي بحسَب نظرِ عينيْهِ ولايَحْكُم بحسَب سمع أذُنيْه(٤) بل يَقْضِي بالعدْل للمساكينِ ويحْكُم بالإنصاف لبائسي الأرض ويَضْربُ الأرضَ بقضيب فَمه ويُميتُ المنافقَ بنفْخَة شَفَتيْه(٥) ويكونُ البِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ والأمانةُ مِنْطَقَةَ حَقْوَيْه».

فلمْ يفسّر إشعياء معنى حلول روح الربّ عليه بالأقنوم الثالث ويكون المسيح إلهًا وابن إله، لكنّه فسره بمعنى روح الحِكْمة والفَهْم والمشُورة والقوة والمعرفة ومخافةِ الربّ حتى لايقضي إلاّ بالعدل والحقّ متّزِراً بإزار البرّ والأمانة، ولايَفهم أيُّ دارسٍ لهذه الفقرات معنىً غير هذا المعنى المقبول.

وبنفس هذا التفسير من إشعياء فسّر دانيال أيضًا في سفره ٥/١١ و١٤ «(١١) يوجدُ في مملكتك رجلٌ فيه روحُ الآلهة القُدُّوسين وفي أيامِ أبيكَ وُجدتْ فيه نَيّرةٌ وفطْنةٌ وحكْمةٌ...(١٤) قدْ سمِعْتُ عنك أنّ فيكَ روحَ الآلهةِ وأنّ فيك نيّرة وفطنة وحكمة فاضلة».

ومثله مافي سفر حزقيال ٣٦/٢٧ «وأجعلُ روحي في داخِلكم وأجعلُكم تَسْلُكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها».

وبهذا يتبين أنّه ليس في قوله تعالى ﴿وروحٌ منه﴾ ولا في أمثالها من الآيات القرآنية الكريمة أيّة حُجة للنصارى على ألوهية المسيح، وأنّ القرآن الكريم وكتب العهدين واللغة تنفي نفيًا قاطعًا هذا الفهم الخطأ.

٢- استدلالهم بأنّ المسيح كلمة الله

إنّ من أشهر مايستدلّ به النصارى على ألوهية المسيح تسميته بكلمة الله في القرآن الكريم وفي أسفار العهد الجديد:

يقول الله تعالى في سورة آل عمران آية ٤٥ **﴿إذ قالتِ الملائكة يامريمُ إنّ الله يبشرُكِ بكلمةٍ منه اسمه المسيحُ عيسى ابنُ مريم﴾**.

ويقول تعالى في سورة النساء آية ١٧١ **﴿إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريم رسولُ اللهِ وكلمتُه ألقاها إلى مريم﴾**.

فيقول النصارى: إنّ إضافة الكلمة إلى الله يدلّ على أنّها هي الأقنوم الثاني المتصل بالأقنوم الأول المتحد معه، والتعبير بالإلقاء يشير إلى أنّ هذه الكلمة جوهر مستقل قديم، ويؤيده بزعمهم مافي إنجيل يوحنا ١/١ «في البدْءِ كان الكلمةُ والكلمةُ كان عندَ اللهِ وكان الكلمةُ اللهَ».

وماورد في سفر رؤيا يوحنا ١٣/١٩ «ويُدْعَى اسمُه كلمةَ اللهِ».

فالكلمة بزعمهم من الله كما يُقال هذه الخرقة من هذا الثوب، وهذه الكلمة ليست مَلاكًا ولابشَراً، بل هي المسيح الابن والأقنوم الثاني من الثالوث، وهو مشارك للآب في الأزلية والأعمال، وما كان لأحدهما من العظَمة والمجد والكرامة كان للآخر بلا نزاع، ويؤيد ذلك بزعمهم مافي الرسالة العبرانية ١٢/٤ «لأنّ كلمةَ الله حيَّةٌ وفعّالة وأمضى من كلِّ سيفٍ ذي حدَّيْن وخارقةٌ إلى مَفْرِقِ النَّفْسِ والروحِ والمفاصلِ والمِخَاخ ومُمَيِّزةٌ أفكارَ القلبِ ونيَّاتهِ».

ويردّ على هذا الاستدلال بخمسة أوجه:

الوجه الأول: إلقاء الكلمة إلى مريم لايدلّ على أنّها جوهر مستقل فيه طبيعة لاهوتية، ففي سفر المزامير ١١/٦٨ «الربُّ يُعطي كلمةً. المبشِّراتُ بها جندٌ كثيرٌ».

وفيه ٢٠/١٠٧ «أرسلَ كلمتَه فَشَفَاهم».

وفيه ١٥/١٤٧ و١٨ «(١٥) يرسلُ كلمتَه في الأرضِ سريعًا جداً يُجْري قولَه... (١٨) يُرْسِلُ كلمتَهُ فيُذِيبُها».

وفي سفر إشعياء ٥٥/١١ «هكذا تكونُ كلمتي التي تَخرجُ من فمي لاترجعُ إليَّ فارغةً بلْ تعملُ ماسُرِرتُ به وتَنجحُ في ما أرسلتُها له».

ففي هذه الفقرات بيان أنّ الكلمة تُرسَل وتُعطَى وتَعمل، فكما جاز التعبير عنها بذلك، دون أنْ يُقال إنّ إرسالها وعملها جعلها جوهراً مستقلاً ذا طبيعة لاهوتية، فكذلك جاز التعبير عنها في القرآن بالإلقاء، وذلك لايفيد لاهوتية الكلمة الملقاة ولا استقلالها؛ لأنّ الكلمة اسم جنس وكلمات الله لا نهاية لها، وكذلك التوراة تدلُّ على تعدد كلمات الله، والمسيح إنّما خُلق بكلمة واحدة وليس هو مجموع الكلمات[1].

ففي سفر إشعياء ٤٤/٢٤ «أنا الربُّ صانعٌ كلَّ شيءٍ ناشرٌ السماواتِ وحْدي باسطٌ الأرضَ مَن معي».

فقوله «أنا الربُّ صانعٌ كلَّ شيءٍ» ينفي استقلال الكلمة بالصنْع من دون الله، وقوله «وحْدي» ينفي التثنية والتثليث، وقوله «مَن معي» صريح في انفراده بالأحدية والألوهية، وفيه تبكيت للقائلين بغير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«فإنّ المسيح جوهرٌ قائمٌ بنفسه، والكلامُ صفة المتكلّم وليس هو نفْس الربِّ المتكلِّم، فإنّ الربَّ المتكلّم هو الذي يسمّونه الآب، والمسيح ليس هو الآب عندهم بل الابن. فضلّوا في قولهم من جهات:

منها: جعْل الأقانيم ثلاثة، وصفات الله لاتختص بثلاثة.

ومنها: جعْل الصفة خالقة، والصفة لاتَخلُق.

ومنها: جعْلهم المسيحَ نفْس الكلمة، والمسيح خُلِقَ بالكلمة، فقيل له ﴿كن﴾ فكان»[2].

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ١٢٦ و١٦٤، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص ٢٢، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٣٠٣.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٦٥.

ويقول كذلك: «والله تعالى قد أخبر أنّه سبحانه ألقاها إلى مريم، والربّ سبحانه هو الخالق، والكلمة التي ألقاها ليست خالقة، إذ الخالق لايُلقيه شيءٌ بل هو يُلقي غيره»[١].

الوجه الثاني: المراد بالكلمة في الآيات التي يستدلون بها هي كلمة التكوين، وذلك لأنّه لمّا كان أمرُ الخلقِ والتكوين يعلو على عقول البشر عبّر عنه بالكلمة، أي: من إلقاء الكلمة إلى مريم تكوّن المسيحُ، فليس هو من نطفة فحْل، بل بقوله تعالى له: ﴿كن﴾ فكان. فالكلمة الملقاة: هي كلمة ﴿كن﴾ التي هي أمْر الإيجاد والتكوين، وليست كلمة ﴿كن﴾ هي التي صارت عيسى، ولكنْ بالكلمة صار عيسى، فليس عيسى هو نفسه ﴿كُن﴾، ولكنه كان وصار وتكوّن ووُجِد وخُلِق بـ﴿كُن﴾، ولو كانت الكلمة هي نفسها عيسى، لكان الكلام الذي سمعه موسى عليه السلام هو المسيح عينه، ولم يقل بهذا المعنى الباطل أحد، والخالق لم يخلُق الأشياء بعيسى؛ لأنّ عيسى نفسه مخلوق وكلام الله ليس مخلوقًا، لكنّ عيسى مخلوق بالكلمة، فليس هو الخالق لها بل هو خُلِق بها، ومازال الله يخلُق مايشاء بكلماته التي لاتنفد[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كذلك لو كان المسيح هو نفْس الكلام لم يكن خالقًا ولا معبوداً؛ لأنّ الكلام صفة كسائر صفات الله، فكما أنّ النصارى لايقولون ياعلْم الله أو ياحياته اغفر لي، فكذلك لايقولون ياكلمة الله اغفر لي، وهم يدْعون عيسى بالتوبة والمغفرة»[٣].

ولمّا كانت الكلمة هي أمر الإيجاد والتكوين لذلك نجد كتبةَ الأسفار عبّروا بكلمة قال أو أمَرَ، ففي مزمور ٣٣/٩ «لأنّه قالَ فكانَ. هو أمَرَ فصار».

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢ / ٣٠٦.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/٢٤٣ و٢/١٢٦ و ١٤٠ و١٦٥ و٢٦٦ و٣/٥٤، والشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب ص ١٣٢، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص١٠٤- ١٠٧، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٠ و٣٦٣ و٥٩٠، وتفسير القرطبي م٢ ج٤ ص٧٦ و٨٨ وم ٣ ج ٦ ص ٢٢.

(٣) الجواب الصحيح ١/١٧٣.

ويوضح أنّ المراد بالكلمة وبالقول وبالأمر كلمة التكوين ﴿كن﴾ ما ورد في سفر التكوين ١/٣ و٦-٧ و٩ و١٤ و٢٠ و٢٤« (٣) وقال اللهُ ليكُن نورٌ فكان نورٌ... (٦) وقال اللهُ ليَكنْ جَلَد في وسط المياهِ وليَكُنْ فاصلاً بين مياهٍ ومياهٍ(٧) فعملَ اللهُ الجَلَد وفَصَل بين المياه... وكان كذلك...(٩) وقال اللهُ لتجتمع المياهُ.... وكان كذلك...(١٤) وقال اللهُ لتكنْ أنوارٌ...(٢٠) وقال اللهُ لتَفضِ المياهُ زحّافاتٍ ذاتَ نفْسٍ حيّةٍ...(٢٤) وقال اللهُ لِتُخْرِجِ الأرضُ ذواتِ أنفُسٍ حيَّةٍ كجنسها ».

وإنما سُمّي السفر الأول من أسفار التوراة سفر التكوين إشارة إلى أنّ المخلوقات كلها كانت بأمر التكوين والإيجاد الذي ينحصر بكلمة ﴿كُنْ﴾.

وقد ذكر إنجيل لوقا ١/٢٦-٣٨ كلام جبريل لمريم عليهما السلام، وفيه دلالة على أنّ خلْق المسيح كان بأمر التكوين، وأكتفي بنقل الفقرة الحادية والثلاثين ونصّها «وها أنتِ ستَحبَلين وتَلدِينَ ابنًا وتسمّينه يَسُوعَ».

قال أبو الفضل المالكي: «فعندها حملت به أي عند هذه الكلمة، فسُمّي المسيح بها كما يُسمَّى الشيءُ بلازمه عادة، فكان كلمةً بهذا الاعتبار»[1].

ردّ على اعتراض:

قد يعترض النصارى بأنّ الكونَ بكلمة ﴿كُنْ﴾ ليس مختصّاً بالمسيح لعمومه في كل مخلوق، فيقال لهم:

لـمّا كان السببُ المتعارف الذي هو الخلْق من نطفة الأب مفقوداً في حقّ المسيح، كان اتصافُ حدوثِه بالكلمة أكمل وأتمّ من غيره، فكأنّه صار الكلمة نفسها، كما أنّ من ظهر منه الجود والكرم يُقال فيه على سبيل المبالغة إنّه الجود

(١) المنتخب الجليل ص٤١، وانظر: أيوب صبري: الجوهر الفريد ص ١٢.

نفسه ومحض الكرم، فكذلك ههنا، فاشتهار المسيح باسْم الكلمة دون سائر المخلوقات لأنّ الأشياء تُنسب في العادة والعرف العام في البشر إلى أسبابها، وذلك السبب مفقود في تكوين خَلْق المسيح عليه السلام - أي ماء الرجل الذي يتكون منه الجنين، وبما أنّ اليهود اتهموا أمّه بالفاحشة لذلك أُضيف هذا التكوين إلى كلمة الله، بل جُعِل المكوَّن الذي هو المسيح كأنّه نفس الكلمة مبالغة في دفع الاتّهام والإيذان بكونه من غير ماء رجل، فاختصاصه بإطلاق لفظ الكلمة عليه لأنّه لم يُخْلَق على الوجه المعتاد الذي خُلِق عليه سائر البشر، بل خُلِق جسده خَلْقًا إبداعيّاً من غير السنّة المعروفة في بني آدم، لذلك أشبه خلْقه خلْق آدم عليهما السلام من حيث إنّ الاثنين جُعلت فيهما الحياة بالكلمة ومن غير واسطة النطفة، لكن بنفخ روح القدس، فكان لهما من الاختصاص مالم يكن لغيرهما من البشر كما دلّ على ذلك قوله تعالى **﴿إنّ مثلَ عيسى عندَ اللهِ كمَثَلِ آدمَ خلَقَه من ترابٍ ثم قال له كُنْ فيكون﴾**[1]، فهُما قد كُوِّنا بنفْس الكلمة **﴿كن﴾** التي كُوِّنت بها سائر الأشياء، فلماذا يختصّ المسيح بالألوهية دونها؟! وإنْ جاز ادّعاء البُنوّة والألوهية في عيسى لكونه مخلوقًا من غير أب فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى؛ لكونه مخلوقًا من غير أبٍ ولا أمٍّ[2].

الوجه الثالث: (لأنّه أظهر كلمة الله).

فالنصارى يزعمون أنّ عيسى هو المبشَّر به في أسفار العهد العتيق، وأنّه سُمّي فيها كلمة، كما في سفر إرميا ١٤/٣٣ «ها أيامٌ تأتي يقولُ الربُّ وأُقيمُ الكلمةَ الصالحةَ التي تكلّمتُ بها إلى بيتِ إسرائيل وإلى بيت يهوذا».

(١) سورة آل عمران الآية ٥٩.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/١٦٤- ١٦٦ و٣٠٢، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص ١٤، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٢٥٩، والشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب ص ١٣٢، وتفسير ابن كثير ١/٣٦٧، وتفسير القرطبي م٢ ج٤ ص١٠٢.

وكما في سفر إشعياء ٢/٣-٤ «(٣) لأنّه من صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشريعةُ ومن أورشليمَ كلمةُ الربّ(٤) فَيَقْضي بين الأممِ ويُنْصِفُ لشعوبٍ كثيرين».

فيقال لهم: بما أنّ الأنبياء بشّروا بالكلمة التي هي (عيسى)، وكان عيسى موضحًا لكلام الله الذي حرّفه اليهود أو كتموه فأزال الشبهات والتحريفات الواقعة فيه، وأبان المراد الصحيح لكلام الله، لذلك جاز أنْ يُطْلَق عليه لفظ (الكلمة)، ألا ترى أنّ السلطان العادل يوصَف بأنّه (ظلّ الله في أرضه)، وأنّ الوزير الذي يتحدث بكلام الملك نيابة عنه يقال له: (لسان الملك)، فكذلك لمّا كان عيسى رسول الله المبلّغ لأوامره المبيِّن لكلامه سمّي كلمة الله، وبخاصة أنّه المبشَّر به على زعمهم، وهذا المعنى المتواتر المشهور بين الخلْق لايختلف فيه اثنان، فكلّ من يتكلم عن لسان غيره يقال عنه إنّه لسان فلان[١].

يقول د. وليم أدي الأمريكي في شرح إنجيل يوحنا:

«ويحق للمسيح أنْ يسمّى كلمة لأنّ الله كلّمنا به»[٢].

وقد جاء في الرسالة العبرانية ١/١-٢ «(١) اللهُ بعدما كلّم الآباءَ بالأنبياء قديمًا بأنواعٍ وطُرقٍ كثيرة(٢) كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جَعَله وارثًا لكلِّ شيء الذي به أيضًا عَمِلَ العالَمين»، والمعنى كما أنّ الله أعلنَ للآباء - أي أجداد بني إسرائيل - عن تعاليمه وإرادته بواسطة الأنبياء القدامى، كذلك أعلن للخلَف منهم عن تعاليمه وإرادته بواسطة المسيح عليه السلام.

أضف إلى ذلك أنّ الأسفار تسمّي الوعْدَ والبُشرى بـ (الكلمة)، وكان من عادة اليهود لاسيما بعد الشتات والسبي أنْ يسمّوا المسيح المنتظر بـ (الكلمة)، ووافق على هذا د. وليم أدي الأمريكي في شرحه لإنجيل يوحنا[٣].

فإذا عُرف هذا من اصطلاح الأسفار وعادة اليهود، فلا مانع أنْ تكون تسمية

---

(١) أيوب صبري: الجوهر الفريد ص ١١، والجزيري: أدلّة اليقين ص ٢٢٦.

(٢) العلمي: سلاسل المناظرة ص ٣٠٩، وانظر ص ٢٦٠.

(٣) العلمي: سلاسل المناظرة ص ٢٩٨ و٣٠٩.

المسيح بكلمة الله، المراد منها الوعد والبشرى السابقة المعهودة عند أهل الكتاب حسب مافي أسفارهم، وأنّها الكلمة الصالحة التي يبشّر بها جند كثير، والتي تخرج من أورشليم، قال عبدالله العلمي:

«فلمّا كان هذا اصطلاحًا معروفًا معمولاً به جاريًا عليه كتبةُ أسفاركم وبنوع أخص لما اصطلح اليهود على تسمية المسيح المنتظر بالكلمة، وشاع هذا الاصطلاح بين أهالي جزيرة العرب حتى عرفه النصارى والمسلمون، وقد جرى القرآن الكريم على هذا الاصطلاح الشائع المعروف وقت عصر نزول الوحي فقال **﴿مصدّقًا بكلمة منه﴾** وقال **﴿يبشّركِ بكلمة منه﴾** وقال **﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾** يريد بذلك الكلمة السابق بها الوعد في إرميا[1] بناء على قولكم هذه نبوءة عن المسيح يسوع»[2].

بناء على مامرّ من كون الكلمة هي المبشَّر بها في كتب العهد العتيق، يقال في فقرة إنجيل يوحنا ١/١ «في البدْء كان الكلمةُ والكلمةُ كان عندَ الله وكان الكلمةُ اللهَ» إنّ معنى «في البدْء كانَ الكلمة» أي في بدء تنزل الوحي بكتب العهد العتيق على الأنبياء كانَ الكلمة التي هي المسيح مبشَّراً به ومنتظَراً ومذكوراً على ألْسنةِ الأنبياء وفي أسفارهم باسْم الكلمة الصالحة، وإنّ اليهود كانوا ينتظرون ظهوره.

ومعنى «والكلمةُ كانَ عندَ الله» أي عندية معنوية للتفخيم، لا عندية محسوسة، ولا عندية اتصال واتحاد؛ لاستحالة ذلك في حق الله تعالى، وهو نظير قوله تعالى في القرآن الكريم عن إسماعيل عليه السلام **﴿وكان عند ربه مَرضيّا﴾**[3]، وقوله عن الشهداء **﴿أحياء عند ربهم﴾**[4]، وقول امرأة فرعون

(١) يقصد مافي سفر إرميا ١٤/٣٣، وقد سبق ذكر النصّ ص ١٠٦.

(٢) العلمي: سلاسل المناظرة ص ٣٠١.

(٣) سورة مريم آية ٥٥.

(٤) سورة آل عمران آية ١٦٩.

﴿ربِّ ابن لي عندك بيتًا﴾[1]، وله نظير في سفر التكوين ٤/١ قول حواء «وقالت اقتنيتُ رجُلاً من عندِ الربِّ».

وأما قوله «وكان الكلمةُ اللهَ» فهذا كلام مضطرب غاية الاضطراب، ومتناقض كلّ التناقض؛ لأنّه إذا كانت الكلمةُ هي الله وهي عند الله فلازم ذلك أنّ الله كان عند نفسه، وأنّه حامل لصفات المخلوقين، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علواً كبيراً[2].

الوجه الرابع[3]: ورد في إنجيل متّى ١٣/١٨-١٩ و٢٢ «(١٨) فاسمعوا أنتم مَثَلَ الزارعِ(١٩) كلُّ مَن يَسمعُ كلمةَ الملكوتِ ولايَفهمُ فيأتي الشّرّيرُ ويَخطَفُ ماقدْ زُرِعَ في قلبه... (٢٢) وهمُّ هذا العالَمِ وغرورُ الغِنى يَخنُقان الكلمةَ فيَصيرُ بلا ثَمَر».

وفي إنجيل مرقس ٤/١٤-١٥ و١٩ «(١٤) الزارعُ يزرعُ الكلمةَ(١٥) وهؤلاء همُ الذينَ على الطريقِ. حيثُ تُزْرَعُ الكلمةُ وحينما يَسمعون يأتي الشيطَانُ للوقتِ ويَنزِعُ الكلمةَ المزروعةَ في قلوبهم...(١٩) وهُمومُ هذا العالَمِ وغرورُ الغِنى وشهواتُ سائرِ الأشياءِ تَدخُلُ وتَخنُقُ الكلمةَ فتصير بلا ثَمرٍ».

وفي إنجيل لوقا ٨/١١-١٢ «(١١) وهذا هو المَثَلُ. الزرعُ هو كلامُ الله(١٢) والذين على الطريق هم الذين يَسمعون ثم يأتي إبليسُ ويَنزِعُ الكلمةَ من قلوبهم لئلاّ يؤمنوا فيَخْلُصوا».

فإذا كان الشيطانُ والهمومُ والغرورُ قد تسلّطوا على الكلمة حتى نزعوها وخطفوها من قلوبهم ثم خنقوها، فهل يصحّ تفسير الكلمة في هذه الفقرات بالأقنوم الثاني والشخص الإلهي؟! وإنّ جاز ذلك الخَطْفُ والخَنْقُ في حق البشر

---

(١) سورة التحريم آية ١١.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ٢/٢٨٧-٢٩٣، وابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/٦١-٦٢، والعلمي: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية ص٣٠٦ - ٣٠٧.

(٣) أيوب صبري: الجوهر الفريد في ردّ التثليث وتأييد التوحيد ص١٣.

المخلوقين فهل يجوز ذلك في حق الله ربّ العالمين؟!

الوجه الخامس[1]: ورد في مزمور ٦/٣٣ «بكلمةِ الربِّ صُنِعَت السماواتُ وبنَسَمَةِ فيه كلُّ جنودها».

وفي سفر إرْميا ٥/٢٧ «إنّي أنا صنعتُ الأرضَ والإنسانَ والحيوانَ الذي على وجْهِ الأرضِ بقوَّتي العظيمةِ وبذراعي الممدودة».

وفيه ١٥/٥١ «صانعُ الأرضِ بقوَّتِه ومؤسِّسُ المسكونةِ بحكْمتهِ وبفَهْمِه مدَّ السماوات».

فإذا فُسِّرت الكلمةُ في فقرة المزمور السابق بالأقنوم الثاني والشخص الإلهي، فلماذا لاتكون قوّتُه وذراعُه وحكمتُه وفهمُه أقانيم أخرى مشاركة في الصنْع لأقنوم الكلمة؟!

ولا دليلَ على المنْعِ من وحدة المعنى في هذه الألفاظ وأمثالها؛ لمساواتها للكلمة في نسبة الصنْعِ إلى الله، والمتكلّم بها واحد في كتاب واحد، فإمّا أنْ تكون الجميعُ أقانيم مشاركة، وإما أنْ تُفَسَّر الكلمة بأمر التكوين.

وأخيراً فإنه لم يَرِد في الأسفار مايصرّح أو يلمّح إلى أنّ الكلمة تطلق على الأقنوم الثاني، ولا على شخص إلهي قائم بذاته متميز عن الله ومساوٍ له، ولا على المسيح بهذا المعنى، ولو صحّ ورودها فهي محتاجة إلى التأويل لبعدها عن الكلام الصريح الذي لايحتمل الدلالة على معنى آخر، والتأويل لابد أن يكون مطابقًا لمعنى النصوص الصريحة الموافقة لدليل العقل، والعقل والنقل يدلاّن على أنّه لا معنى لكلمة الله إلاّ أمْره، ويدلاّن على وجوب التفريق بين الأمْر وذات الآمر، وبين الكلمة وذات المتكلم، واستحالة كونهما واحداً[2].

وبهذا لم تبق شبهة في أنّ عيسى خُلق بكلمة الله ﴿كن﴾ التي هي الأمر

(١) أيوب صبري: الجوهر الفريد ص١٣ و١٧و٤٣ و٦٥.

(٢) الجزيري: أدلّة اليقين ص٢٢٦، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٣٠١.

بالتكوين، لأنّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا فإنّما يقول له كن فيكون.

٣- استدلالهم بتأييد المسيح بروح القدس

يقول النصارى: إنّ ماورد في القرآن من تأييد عيسى بروح القدس يدلّ على ألوهيته، وذلك كقوله تعالى في سورة البقرة آية ٨٧ وآية ٢٥٣ ﴿**وآتينا عيسى ابنَ مريم البينات وأيّدْناه بروح القدس**﴾. وكقوله تعالى في سورة المائدة آية ١١٠ ﴿**إذْ أيّدتُّك بروح القدس**﴾. وهو موافق لما في إنجيل متى ٣/١٦ «فلمّا اعتمدَ يسوعُ صَعِدَ للوقتِ من الماءِ وإذا السماواتُ قد انفتحتْ له فرأى روحَ الله نازلاً مثْلَ حمامةٍ وآتيًا عليه»، وموافق لما في إنجيل لوقا ٤/١ «أمّا يسوعُ فرجعَ من الأُردنّ ممتلئًا من الروحِ القُدسِ».

ولمّا لم يُسند القرآنُ التأييدَ بروح القدس إلاّ للمسيح، وهذا الروحُ هو الإله الثالث النازل على أقنوم الابن، دلّ ذلك على أنّ المسيحَ إلهٌ.

ويردُّ عليهم بأربعة أوجه:

الوجه الأول(١): عدمُ اختصاص المسيح بالتأييد بروح القدس.

ففي سورة التوبة آية ٤٠ قوله تعالى ﴿**وأيّده بجنودٍ لم تَروْها**﴾.

وفي سورة المجادلة آية ٢٢ قوله تعالى ﴿**وأيّدهم بروحٍ منه**﴾.

فالأرواح التي يؤيد الله بها عبادَهُ المؤمنين وأنبياءه المرسلين هي أرواح طاهرة علوية أشهرهم روح القدس جبريل عليه السلام.

وثبت في أسفار العهد الجديد كذلك عدم اختصاص المسيح بهذا التأييد:

ففي إنجيل لوقا ١١/١٣ قول المسيح «فكمْ بالحريِّ الآبُ الذي مِن السماءِ يُعطي الروحَ القدُسَ للذين يَسألونه».

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/ ٢٤٠ و٢٥٦- ٢٥٧، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص١٦، والعلمي: سلاسل المناظرة ص ٦٠، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص ١١٩- ١٢٠.

وفيه ١/١٥ قوله في حق يحيى «ومِن بطْنِ أمّه يمتلئُ مِن الروحِ القدُسِ».

وفيه ١/٣٥ قول الملاك لمريم «الروحُ القدُسُ يَحِلُّ عليك».

وفيه ١/٤١ عن أَلِيصابات أمِّ يحيى «وامتلأَتْ أَلِيصاباتُ من الروح القدس».

وفي إنجيل يوحنا ٢٠/٢٢ قول المسيح لتلاميذه «اقبلوا الروحَ القدُسَ».

وفي سفر ميخا ٣/٨ «لكنّني أنا ملآنٌ قُوَّةَ روحِ الربِّ».

وفي الرسالة لأهل أفسس ٥/١٨ قول بولس «بلْ امتلِئوا بالروحِ».

وفي سفر أعمال الرسل ١/٨ قول المسيح لتلاميذه «لكنّكم ستنالون قوّةً متى حَلَّ الروحُ القدُسُ عليكم».

وفيه ٢/٤ عن التلاميذ «وامتلأ الجميعُ من الروحِ القدُسِ».

وفيه ٤/٨ «حينئذٍ امتلأ بُطرسُ من الروحِ القدُسِ».

وفيه ٦/٣ و٥ «(٣) فانتخبوا أيّها الإخْوَةُ سبعةَ رجالٍ منكم مشهوداً لهم ومملوّينَ من الروح القدس...(٥) فاختاروا استفانوسَ رجلاً مملوّاً من الإيمانِ والروحِ القدسِ».

وفيه ١٠/٤٤ «فبينما بطرسُ يتكلّم بهذهِ الأمورِ حلَّ الروحُ القدُسُ على جميعِ الذين كانوا يَسمعون الكلمة».

وفيه ١١/١٥ قول بطرس «فلمّا ابتدأتُ أتكلّمُ حَلَّ الروحُ القدُسُ عليهم».

وفيه ١١/٢٤ عن بَرنابا «لأنّه كانَ رجلاً صالحًا وممتلئًا من الروحِ القدسِ والإيمانِ».

وفيه ١٣/٩ و٥٢ «(٩) وأمّا شاول الذي هو بولسُ أيضًا فامتلأ من الروحِ القدسِ... (٥٢) وأمّا التلاميذُ فكانوا يَمتلِئون من الفرَحِ والروحِ القدُسِ».

وفيه ٦/١٩ «ولـمّا وَضَعَ بولسُ يديهِ عليهم حَلَّ الروحُ القدسُ عليهم».

فهذه النقول تصرّح أنّ يحيى وأُمَّه وميخا وبطرس واستفانوس وبَرْنابا وبولس وأهل أفسس وتلاميذ المسيح وكلّ الذين سمعوا كلام بطرس وكلّ الذين وضع بولس عليهم يده قد امتلأوا من الروح القدس، فهل قال أحد عن هؤلاء المذكورين إنهم كانوا آلهة؟!

وإذا كان التأييدُ بروح القدس والامتلاءُ منه يدل على ألوهيّة الشخص المؤيَّد المتلئ فإنّ يحيى أحقّ بالألوهية من عيسى؛ لأنّ عيسى امتلأ من الروح القدس عندما كان عمره ثلاثين سنة، أمّا يحيى فكان مملوءاً منه وهو في بطن أمّه، ومع ذلك لم يؤلّهه أحد.

وكيف يكون حلولُ الروح القدس على الأشخاص موجبًا لألوهيتهم والمسيح يصرّح أنّ الله يعطي الروحَ القدسَ لكلّ الذين يسألونه؟!

وهل يصبح السائلون بعد إعطائهم روحَ القدس آلهةً؟!

قال آدم كلارك: «كان كلُّ معلِّم في الزمان الأوّل يدّعي أنّ روحَ القدس يُلْهمه؛ لأنّ كل رسول معتبر جاء هكذا، أي لاينطق إلاّ بالإلهام، والمراد بالروح هنا الإنسان الذي يدّعي أنه في أثر الروح ويعلّم وفق مايقول»(١).

الوجه الثاني: أنّ التأييد معناه التقْوية(٢)، وذلك إنما يكون للمغلوب عليه والضعيف العاجز عن حماية نفسه، فيحتاج للتأييد بقوّة من الله، وهذه الحاجة من صفات البشر، والنصارى جميعًا يقرّون أنّ المسيح كان مضطَهَداً من أعدائه اليهود والرومان، والآيات التي يستدلّون بها على ألوهيته بتأييده بروح القدس واردة في معرض الحديث عن المكذبين له والمنكرين لرسالته، فتتحدّث عمّا لَقِيَهُ الأنبياء وعيسى من تكذيب وقتل واضطهاد، فهي آيات واضحة الدلالة على

(١) أيوب صبري: الجوهر الفريد ص ١٥.

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٢٢، وتفسير القرطبي م١ ج٢ ص٢٤ وم٣ ج٦ ص٣٦٢.

نبوّته وبشريته دون مايفترون[١].

الوجه الثالث: متى أُعطي عيسى الألوهية؟ أعند تجسده من روح القدس في بطن أمِّه مريم أمْ عند بلوغه سن الثلاثين وقتما عمّده يحيى في نهر الأردن ورأى الروحَ نازلاً عليه مثل الحمامة؟

فإنْ كان الأوّل فلماذا بقي ثلاثين سنة يُدعى ابن داود وابن يوسف النجار؟!

وإنْ كان الثاني ثبت أنّه طيلة السنوات الثلاثين الماضية لم يكن فيه روح القدس، وثبت بهذا التناقضُ والخبطُ الذي لايسلَم منه إلاّ القولُ بأنّ عيسى بشَرٌ مخلوقٌ ضعيفٌ بحاجة إلى تأييد الله له بروح القدس بين الحين والآخر؛ ليقوم برسالته خير قيام[٢].

وليس المقصود من تشبيه الروح القدس بالحمامة التشبيه من حيث الهيئة والصورة؛ لأنّ ذلك يستلزم وقوع الرؤية البصرية، لكنّ المقصود تشبيه هذا النزول في وداعته وعدم حصول الخوف ولا الأذى منه بنزول الحمامة في عدم حصول الخوف ولا الأذى منها، وأسفار العهد القديم تستعمل لفظ الحمامة كثيراً للأشياء اللطيفة والجميلة.

فإنْ أصرّ معاندٌ على أنّ هذه الرؤية رؤية بصَرية فذلك دليل آخر لنا على فساد الثالوث؛ لأنّ الله لايُرى بالأبصار في الدنيا حسب ماورد في كتب العهدين، ووقوع الرؤية البصَرية من عيسى لروح القدس تدلّ على أنّه ليس إلهًا ولم ينزل على إله، لأنّ كليهما واقع في دائرة المرئيات، وهذا أكبر دليل على نبوة المسيح ورسالته[٣].

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٦٨-٦٩، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٧٤ و٧٧، وإبراهيم أحمد: محمد في التوراة والإنجيل ص١١٨.

(٢) أبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص١٩.

(٣) انظر: المالكي السعودي: المنتخب الجليل ص٤٢ و٧٥، والعلمي: سلاسل المناظرة ص٧٣-٧٤، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص١٨، ومحمد مرجان: الله واحد أمْ ثالوث ص١٢١-١٢٤.

الوجه الرابع: إنْ كـان النازلُ هو الإله الثـالث فـلايصحّ أنْ يقـال في الآية ﴿**فأرسلنا**﴾؛ لأنّ الإرسال يقتضي مرسِلاً ورسولاً، والإله لايكون رسولاً، والمقام يقتضي كلمة (**فجاءها**)؛ لأنّ الإله يجيء بنفسه.

ثم كيف يصح لمريم أنْ تخاف من الإله وتستعيذ بالرحمن منه بقولها ﴿**إني أعوذُ بالرحمنِ منك إنْ كنتَ تقيّا**﴾[1]؟ ومن خاف اللهَ التجأ إليه واستعاذ به، ومن خاف المخلوقَ استعاذ منه بالله.

بل كيف يصحّ للإله أنْ يجيبها بقوله ﴿**إنّما أنا رسولُ ربّك**﴾[2]؟ والمفروض حسب الزعم الباطل أنْ يقول: إنما أنا الإلهُ الثالثُ أقنومُ الروحِ القدس لأنفخَ فيكِ أقنومَ الابن الإله الثاني، وأنْ لايتمثل لها، ولكن الذي خاطبها تمثَّل لها بشَراً سويّاً، والتمثل من صفات الملَك لا من صفات الله جل جلاله.

وليس في القرآن الكريم ولا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في سائر كتب الأنبياء أنّ روحَ القدس الذي أيّد اللهُ به المسيح هو إلهٌ، ولا هو صفةٌ من صفاتِ الله، ولا أنّه يخلُق ويرزُق[3].

والمطالعُ لقصة خطاب جبريل لمريم في إنجيل لوقا ١/٢٦-٣٨ لايبقى عنده أدنى شك في أنّ جبريلَ عليه السلام إنما خاطبها بصفته مرسَلاً من الله الواحد الأحد، وأنّ الموهوبَ لمريم إنسانٌ مخلوقٌ من غير أبٍ أنعم الله به عليها، وفيمايلي نصّ بعض فقرات القصة «(٢٦) وفي الشهر السادسِ أُرسلَ جبرائيلُ الملاكُ مِن الله إلى مدينةٍ من الجليلِ اسمُها ناصرةُ(٢٧) إلى عذراءَ مخطوبةٍ لرجُلٍ من بيت داودَ اسمُهُ يوسفُ. واسمُ العذراءِ مريمُ(٢٨) فدخلَ إليها الملاكُ وقال: سلامٌ لكِ أيّتُها المنْعَمُ عليها. الربُّ معك. مباركةٌ أنتِ في النساء(٢٩) فلمّا رأتْهُ اضطربتْ من كلامه وفكّرتْ ماعسى أَنْ تكون هذه التحيّةُ(٣٠) فقال

(١) سورة مريم آية ١٨.

(٢) سورة مريم آية ١٩.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٢٥٧.

لهـا الملاكُ: لاتخـافي يامـريمُ لأنّكِ قـد وَجدْتِ نعـمـةً عـند الله(٣١) وهـا أنتِ ستحبَلينَ وتلدِين ابنًا وتُسمّينَهُ يسوعَ».

وقـد تطابقت مـعـاني هذه الفـقـرات مع مـعـانـي آيات القـرآن الكريم[١]، قـال تعالى في سورة مريم آية ١٦-٢٢ **﴿واذكرْ في الكتاب مريمَ إذ انـتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا فاتّخذت من دونهم حجابًا فأرسلنا إليـها روحنا فتمثل لهـا بشرًا سويًا قالت إني أعوذ بالرحمن منكَ إنْ كنتَ تقيًا قال إنما أنا رسولُ ربّكِ لأهبَ لكِ غلامًا زكـيًا قالتْ أنّى يكونُ لي غـلامٌ ولمْ يمسَسْني بَشَرٌ ولمْ أكُ بغـيًا قال كذلكِ قـال ربُّكِ هو عليَّ هيّنٌ ولنجعلهُ آيةً للنّاسِ ورحمـةً منّا وكان أمرًا مقضيًا فحملتْهُ فانتبذتْ به مكانًا قصيّا﴾**.

صدَقَ اللهُ العظيم **﴿ومَنْ أصْدقُ من الله حديثا﴾**[٢] **﴿ومَنْ أصْدقُ من اللـه قيلا﴾**[٣]، وأشـهـد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، وأشـهـد أنّ روحَ القُدُسِ جبريلَ عبدٌ مخلوقٌ، وملَكٌ مقرّبٌ، ورسولُ الله إلى أنبيائه، وأشهدُ أنّ عيسى المسيحَ ابنَ مريم بَشَرٌ وعبدٌ مخلوقٌ، ونبيٌّ كريم، ورسولُ الله إلى بني إسرائيل، صلّى الله وسلَّمَ عليه وعلى نبيّنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسَلين وآلهم والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) انظر سورة آل عمران الآيات ٤٢ - ٦٤، وسورة مريم الآيات ١٦- ٤٠.

(٢)(٣) سورة النساء الآيتان ٨٧ و١٢٢.

مناقشة لنصّ قانون الإيمان

وضع مجمع نيقية سنة ٣٢٥م قانونًا للإيمان عند النصارى ويسمى قانون الإيمان الاثناسيوسي؛ لأنّ الذي تبنّاه اثناسيوس ضدّ آريوس، وفيمايلي نصّه:

«نؤمن بإله واحد الآب الضابط الكل، خالق كلّ الأشياء المنظورة وغير المنظورة. وبربّ واحد يسوع المسيح ابن الله، المولود من الآب المولود الوحيد أي من جوهر الآب، إله من إله، ونور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو الآب في الجوهر، الذي به خلق كل شيء في السماء وعلى الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسّد وصار إنسانًا تألّم وقام أيضًا في اليوم الثالث، الذي صعد إلى السماء ويأتي لِيَدينَ الأحياء والأموات. وبالروح القدس، ولكن الذين يقولون إنه وُجد زمان لم يوجد فيه وإنه لم يكن له وجود قبل أنْ وُلد وإنه خُلق من العدم أو يثبتون أنه من مادّة أخرى أو جوهر آخر أو أنّ ابن الله مخلوق أو أنه قابل التغيير أو متغير فالكنيسة الكاثوليكية تلعنهم»[(١)].

وقد زيد على هذا القانون حتى صار نصّه عند الأرثوذكس أطول منه عند الكاثوليك، وفيما يلي أنقل النصّ الذي يقبله الأرثوذكس، وهو كما يلي:

«نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكلّ خالق السماء والأرض مايُرى وما لايُرى. ونؤمن بربّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجْلنا نحن البشر ومن أجْل خلاصنا

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية ليوحنا لورنس هامش ص١٧١.

نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس، وصُلب عنّا على عهد بيلاطس البنطي وتألّم وقُبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين أبيه، وأيضًا يأتي في مجده ليَدين الأحياءَ والأمواتَ، الذي ليس لملْكه انقضاء. ونؤمن[1] بالروح القدس المحيي، المنبثق من الآب، المسجود له مع الآب والابن، الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجّى قيامةَ الأموات وحياةَ الدهر آمين»[2].

وبعد أنْ عرفنا الردَّ على ما توهّمه النصارى أنّه أدلّة لهم من الكتب السماوية على عقيدة التثليث وألوهية المسيح، وتبيّن لنا أنّ هذه الكتب كلها جاءت بوحدانية الله الخالصة البريئة من الشرك بجميع صوره، وأنّ المسيحَ نفسه نطق بتوحيد الله ربّه وخالقه، ولم يصدر عنه إلاّ مايؤكد عبوديته الخالصة لله تعالى وبراءته من كلِ مانسبه إليه المثلّثون- وعلى ضوء هذا أدخل في مناقشة موجزة لقانون الإيمان عندهم فأقول:

١- قولهم في القانون «نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض مايرى ومالايرى».

هذ حقّ لو ثبتوا عليه؛ لأنّه إفراد لله وحده بالألوهية والربوبية، فهو الإله الواحد خالق السماوات والأرض ومافيهنّ ممّا يُرى وممّا لايُرى.

والمسيحُ والروحُ القدس بنص هذا القانون مخلوقان؛ لأنهما إنْ كانا مرئيين أو غير مرئيين فهما من مخلوقات الله الواحد الأحد الضابط للكل، الخالق لما يُرى ولما لايُرى، لكنهم لم يثبتوا على هذا الحق ونقضوه بالباطل الآتي بعده.

---

(١) من عند عبارة (ونؤمن بالروح) إلى النهاية زيادة زادها مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، أما مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م فقد زاد مقدمة لقانون الإيمان كلها تعظيم وتأليه لمريم والدة الإله بزعمهم.

(٢) انظر نصوص هذا القانون في كتاب الدكتور أحمد حجازي السقا: أقانيم النصارى ص٥٩ نقلاً عن كتاب خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٩٩- ١٠١ لمؤلفه حبيب جرجس، وعن كتاب قضايا المسيحية الكبرى لمؤلفه إلياس مقار ص ٦٥-٦٦، وانظر: تاريخ الكنيسة المسيحية ليوحنا لورنس هامش ص ١٧١.

٢- قولهم «ونؤمن بربٍّ واحد يسوع المسيح».

هذا مخالف لما سبق من نصّ الأمانة على توحيد الألوهية والربوبية، ومخالف لما ثبت من أقوال المسيح ومن أقوال كتب العهدين- كما سبق- من النصّ الصريح على وحدانية الله، وهذا النصّ يعترف بإله وبربٍّ منفصليْن، وقد اعترف بولس بأنّ هذا الربّ هو أقل قليلاً من رتبة الملائكة، فهو يقول في رسالته إلى العبرانيين ٢/٩ «ولكنّ الذي وُضِع قليلاً عن الملائكة يسوعَ نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكيْ يذوقَ بنعمةِ اللهِ الموتَ لأجْلِ كلِّ واحدٍ»، فكيف يكون ربّاً وهو أقلّ رتبة من الملائكة؟!

ثم كونه يلقب بالمسيح يقتضي ماسحًا مسحه على عادة بني إسرائيل في مسْحِ الأنبياء والملوك والعلماء بالدهن والزيت، وهو بهذا كسائر البشر المُسَحاء، فإنْ قالوا إنّ الله مسحه، اقتضى ذلك حدوثه وبطلتْ ألوهيته وربوبيته، وبطلَ كونه مسيحًا كذلك؛ لما يلزم من اتحاد الماسح والممسوح.

٣- قولهم «ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور».

هذا يُشْعِر أنّه مخلوق حادث؛ لأنّ معنى البنوّة الوارد في قولهم (ابن الله الوحيد المولود) يقتضي التأخر والحدوث، وهو مناقض لاعتقادهم ألوهيته؛ لأنّهم إنْ قالوا إنّ المسيح الابن المولود كان قديمًا أزليّاً بطل كونه حادثًا، وإنْ قالوا بل هو مولود حادث بطل كونه إلهًا وربّاً؛ لأنّ من صفات الله القِدم وعدم الحدوث، فهو الأوّل بلا بداية، والآخِر بلا نهاية.

٤- قولهم «إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر».

لو كان المسيح إلهًا لكان يعلم الغيب ويعلم متى تقوم الساعة، ولَمَا اعترته النقائص البشرية، وكيف يكون الإنسان المكوَّن من اللحم والعظم والدم والشَّعر

والظُّفْر، ويبول ويتغوَّط، ويُصلَب حتى الموت بزعمهم - إلهًا حقّاً من الإله الحق الذي لم يلد ولم يولد وهو منزه عن النقائص وهو حي قيوم؟!

والحق أنّ المسيح عليه السلام الذي سمَّى نفسه ابن الإنسان هو إنسان مخلوق وعابد لله الحق.

وقولهم: «مولود غير مخلوق مساوٍ للآب» ظاهر التناقض؛ لأنّ مَن كان مولوداً فهو مخلوق، ومَن كان مخلوقًا لايساوي الخالق في شيء من الصفات.

وقد أخبر العلاّمة ولش في تاريخه عن تعليم آريوس أنه كان يقول: إنّ ابن الله خُلق من العدم، وإنّه وُجد زمانٌ لم يوجد فيه، فهو مخلوق عاقل متغيّر يختلف في جوهره عن جوهر الآب كليّةً، وباجتهاده وعمله المستطيل حصّل عادة الفضيلة، فاختار الله لابنه هذه الروح التي هي أفضل الأرواح المخلوقة، فهو ليس الله حقيقة، وليس أزليّاً ولا عالماً بكلّ شيء، وتوجد بعض أشياء غامضة عن إدراكه، ولايدرك جليّاً ماهو جوهر الآب ولا جوهر طبيعته، ولكنّ الله منحه بنعمته مواهب سامية بها صار ابن الله حتى حصل له اسم الله، ولكنْ ليس بمعنى العبارة الحقيقي. وبما أنّ تعليم آريوس هذا مخالف صراحة لقانون الإيمان؛ لذلك قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حرمان آريوس، وقال عنه: ليَكن أناثيما (أي محرومًا وملعونًا)، ونُفي آريوس إلى الليريكوم، واغتُصب أتباعُه على التسليم بقانون الإيمان الذي رتّبه المجمع[1].

٥- قولهم «الذي به كان كل شيء».

هذا كلام واضح البطلان؛ إذْ كيف يكون كل شيء قائمًا بالمسيح وهو مسبوق بالعوالم كلّها؟!

يقول متّى في مقدمة إنجيله ١/١ «كتابُ ميلادِ يسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية ليوحنا لورنس ص١٧١، وهامش ص١٧٣ و١٧٧.

إبراهيمَ» فكيف يكون المسيح قَبْل أبويه إبراهيم وداود وأمّه مريم وهم أسبق منه زمنًا ؟! ثم كيف يكون ابنهم وهو بزعم النصارى خالقهم؟!

ثم إذا كان به كلّ شيء فلماذا أخذه إبليس الكافر وجرّبه وطمع أنْ يسجد له ليعطيه ملْكَ العالَم؟! وهل يكون خالق العالَم منقاداً لكافر من كفار هذا العالَم؟!

٦- قولهم «الذي من أجْلِنا نحن البشر ومن أجْل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد».

لفظ المسيح يطلق على مجموع الجسد والكلمة، والكلمة وحدها لاتسمَّى مسيحًا، فبطل كون المسيح نازلاً من السماء لِمَا هو معلوم أنّ الجسد مأخوذ من مريم، ولو كان نازلاً من السماء لم يكن لتجسّده ثانية معنى؛ لأنّ تجسّد المتجسّد محال، كما أنّ تجسّد الكلمة وحدها محال؛ لأنّ كلمات الله كثيرة، فلماذا تجسّدت وحدها دون سائر الكلمات؟!

٧- قولهم «وتجسّد من الروح القدس».

هذا القول يُبْطِل ألوهيّةَ المسيح؛ لأنّه يُفيد أنّ المسيحَ شخصٌ، وروحَ القدس شخصٌ آخر، وقد نزل عليه الروح القدس - كما في إنجيل متى ١٦/٣- بعدما عمّده يحيى عليهما السلام، وكان عمر المسيح ثلاثين سنة، فكيف يكون متجسّداً من الروح القدس؟! ثم إنّ المسيح ليس من جنس الروح القدس حتى يصحّ تجسده منه؛ لأنّ الشيء يتجسّد من جنسه؛ فيتجسد الماء من الماء والنار من النار والتراب من التراب لما بينهما من المشاكلة، ولا مشاكلة بين المسيح وروح القدس.

ثم إذا سلّمنا بصحّة هذا التجسّد فيكون المسيحُ ابنَ الروح القدس، وهو مناقض لِما سبق من أمانتهم التي زعموا فيها أنّه ابن الله.

٨- قولهم «ومن مريم العذراء».

هذا حقّ وصدْق أنّ مريمَ والدةُ المسيح عليهما السلام، لكنها ليست والدة الإله الربّ المخلّص كما يزعمون؛ لأنّ جسد مريم هيكل، والله تعالى لايَسْكن في هياكل المصنوعات كما في سفر أعمال الرسل ٤٨/٧ - ٥٠ «(٤٨) لكنّ العليَّ لايَسْكُنُ في هياكلَ مصنوعات الأيادي كما يقول النبيّ(٤٩) السماء كرسيٌّ لي والأرضُ مَوْطِئُ لقَدَميَّ. أيَّ بيتٍ تَبنون لي؟ يقول الرب. وأيٌّ هو مكانُ راحتي(٥٠) أليستْ يدِي صنعتْ هذهِ الأشياءَ كلَّها».

ولمّا كان مكانُ راحةِ عيسى بطن أمّه مريم، ولمّا وُلد نالته أيدي الرجال، فكيف يكون إلهًا؟! والله تعالى لا مكان لراحته، ولايَسْكن في هياكلِ المصنوعات، ولاتناله أيدي الرجال.

٩- قولهم «وتأنّس وصُلِب عنّا على عهد بيلاطس البنطي[1] وتألم وقبر».

هذا دليل صريح على بشريّة عيسى؛ لأنَّ الصَّلْبَ والتألّمَ والموتَ والدفْنَ ممايعتري البشر، والإله منزّه عن كلّ ذلك، والإصرار على ألوهيّة عيسى يقضي بأنّ اليهودَ أمسكوا إلههم وإله العالَم وسبّوه وشتموه وبصقوا في وجهه وحقروه وصلبوه ثم طعنوه حتى مات ودفنوه، فمن دبّر العالَم أثناء صلْبه وموته ووجوده في قبره؟! أليس هذا القول يناقض قولهم إنه خالقُ كلّ شيء وبه كانت الأشياء كلّها؟! ألا يلزم منه أنّ اليهود تمكنوا من قتل خالقهم؟! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

١٠- قولهم «وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين أبيه».

هذا من الكذب المكشوف؛ لأنّ قولهم «وقام من الأموات» يوجب آخَرَ أقامه؛ لأنّ الميت لايقوم بنفسه، فلا بدّ من إلهٍ يردُّ إليه روحَه ويقيمُه من الأموات،

(١) عينته الحكومة الرومانية واليًا على فلسطين سنة ٢٩م وفي عهده رفع المسيح.

والذي تذهب روحُه ويموت لايستحقّ أنْ يكونَ إلهًا، بل الإله الواحد القهار هو الذي ردّ إليه روحه وأقامه.

وقولهم **«وجلس عن يمين أبيه»** : يجعلنا نطلب الشاهد الذي صعد إلى السماء ورآه عِيانًا وهو جالس عن يمين أبيه.

ثم إنّ جلوس أحدٍ عن يمين شيء أو جهة من جهاته دالّ على حدوثهما معًا، وفي ذلك تجسيم للبارئ سبحانه، وموافقة لليهود الذين يزعمون أنّ الله يشبه شيخًا كبيراً أبيض الرأس واللحية.

١١- قولهم «وأيضًا يأتي في مجده ليَدين الأحياء والأمواتَ الذي ليس لملْكه انقضاء».

هذا كلام في غاية الفساد والتناقض؛ لأنّ الذي جاء إلى الدنيا متجسّمًا وأُهين وصُلب ومات - كما يزعمون - ولم يخلّص نفسه، فكيف يستطيع في المرّة الثانية أنْ يَدين الأحياءَ والأموات؟! لعلّه يكون أعجز من المرة الأولى؛ لأنّ الذي لم يَدفعْ عن نفسه بعضَ أشرار اليهود لن يكون ديّانًا للأحياء والأموات.

وكيف لايكون لملْكه انقضاء وقد قضى اليهودُ على حياته بمؤامرة بسيطة؟!

١٢- قولهم «ونؤمنُ بالروحِ القدسِ المحْيي المنبثق من الآب»[1].

على حسب هذا القول يكون المسيحُ والروحُ القدس أخوين متساويين في أبوّة الله لهما، وهذا يناقض مامرّ من نصّ الأمانة على تجسّد المسيح من روح القدس، والكاثوليك يَعدُّون الروحَ القدس منبثقًا من الآب والابن معًا لا من الآب وحده[2]. فهل مازال المسيحُ والروحُ القدس أخوين أم أحدهما أبٌ والآخر ابن؟! وأيّهما الأبُ وأيّهما الابن له؟! ولو سلّمنا أخوتهما بالتساوي فبأي شيء

(١) هذا القول ومابعده زيد في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م.

(٢) د. أحمد حجازي السقا: أقانيم النصارى ص ٦٥ إشارة إلى كتاب تاريخ الأقباط لزكي شنوده ١/ ٢٧٧.

كان المسيحُ بِكْرَ الخلائق كلّها؟! ولماذا هو موجود قبْل كلّ الدهور وقد ساواه الروح القدس في بنوّته لله؟!

والفقرتان المبني عليهما تعليم الانبثاق أُخذتا من إنجيل يوحنا، وليس فيهما مايدلّ على ألوهية الابن ولا ألوهية الروح القدس، ففي إنجيل يوحنا ١٥/٢٦ «ومتى جاءَ المعزِّي الذي سأرسلُه أنا إليكم من الآب روحُ الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي»، وفيه ١٦/٧ «لأنّه إنْ لم أنطلقْ لايأتيكمُ المعزّي ولكنْ إنْ ذهبتُ أُرسِلُه إليكم». ورغم أنّ مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حدّد لاهوت الابن بكل وضوح وصراحة، لكنه ترك الكلام عن الروح القدس ملتبسًا، ولمّا نادى مكيدونيوس بإنكار ألوهية الروح القدس الْتأم مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م ووضح شهادة المجمع النيقاوي بأنها تعني ألوهية الروح القدس، وأضاف للقانون العبارة التالية:

«وبالروح القدس الربّ المحْيي المنبثق من الآب المسجود له والممجَّد مع الآب والابن الناطق بالأنبياء».

ثم بعد ذلك حدثت مباحثة في: هل نسبة الروح القدس للابن هي نفس نسبة الروح القدس للآب؟؛ فكثيرون قالوا: إنّ قانون سنة ٣٨١م لم ينف انبثاق الروح القدس من الابن، وهكذا علّم أثاناسيوس وباسيليوس والغريغوريوسيون، فهو تصريح فقط ضدّ آراء مكيدونيوس المنكر لألوهية الروح القدس، وكان بعض الآباء اليونانيين مثل أبيفانيوس وكيرلس الإسكندري- يعلّمون جهاراً بانبثاق الروح القدس من وحدة الآب والابن اللذين هما متساويان في الجوهر، وعلّم ثيودور المبسوستي وثيودورتيوس بانبثاقه من الآب وحده.

وقد ظهرت منازعة قوية في القرن الثامن الميلادي بين اللاتينيين واليونانيين على انبثاق الروح القدس من الآب والابن، وعلى إضافة كلمة (الابن) التي زادها اللاتينيون على قانون الإيمان، فهم يقولون بانبثاق الروح القدس من الآب

والابن معًا، ويقول اليونانيون بانبثاقه من الآب فقط، ووصلت القضية إلى مجمع جنتلي قرب باريس سنة ٧٦٧م، وهاجت المنازعة بين الفريقين، فحامى اللاتينيون عن رأيهم بقانون الإيمان القسطنطيني الذي وسّعه الإسبانيون والفرنساويون بزيادة لفظة (ومن الابن)، وأصرّ سفراء الملك اليوناني على تخطئة اللاتينيين، وتوبيخهم بأنهم تجاسروا على إفساد قانون الكنيسة بزيادة هذه العبارة، واضطرمت المنازعة أشد اضطرام في القرن التاسع، وتحولت من مجادلة شخصية إلى منازعة جمهورية بين الكنيستين اللاتينية واليونانية، وصارت المداولات في هذا الأمر في مجمع اكس لاتشابل سنة ٨٠٩م بأمر الملك كارلوس الكبير، ثم أرسل الملك معتمَدين من طرفه إلى الحَبْر الروماني البابا ليون الثالث، فاستصوب ليون التعليم بانبثاق الروح القدس من الابن أيضًا -أي من الآب والابن معًا- وهكذا اعتقد خلفاؤه، فبقيت الزيادة (ومن الابن) في مكانها، وقُبلت في كل الكنائس اللاتينية، ونتج عن ذلك انشقاق الكنائس اليونانية (الشرقية) وتسمّى الأرثوذكسيّة، عن الكنيسة اللاتينية (الغربية) وتسمّى الكاثوليكية(١).

١٣- قولهم «وبكنيسةٍ واحدةٍ مقدَّسةٍ جامعةٍ رسولية».

يعنون بهذا القول أنّهم يؤمنون بقرارات مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥م، ومنها نصّ هذه الأمانة، والواقع أنّ الإيمان بقانون الأمانة هو كفر بالله ورسوله عيسى عليه السلام، وخيانة للتوراة والإنجيل، فالمسيح ما دعا لغير توحيد الله وعبادته، ولم تأتِ التوراة والإنجيل إلاّ بذلك التوحيد لله والإخلاص له في العبادة.

١٤- قولهم «ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا».

إذا كان التعميدُ بالماء يغفر الخطايا فما الحاجة إلى صلْب المسيح وقتْله

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية ليوحنا لورنس ص ٢٩٨ و٣٢٧.

تكفيراً عن خطاياهم؟! ولو سلّمنا بوقوع الصلب والقتل للتكفير فلا حاجة لمغفرة الخطايا بالتعميد، وهذا تناقض واضح، وكلتا العقيدتين - أي التكفير عن الخطايا بقتْل المسيح وبالتعميد - تناقض التوراة، فقد جاء في الإصحاحيْن الرابع والخامس من سفر اللاويين أنّ التكفير عن الذنوب يكون بتقديم القرابين والذبائح من المذنب عند المذْبَح.

الباب الثاني

مناقشة المنصّرين في إنكارهم أنّ القرآنَ الكريمَ كلامُ الله تعالى

تمهيـــد

تحدّث الشيـخ رحمت الله في البـاب الخـامس من كـتـابه إظهـار الحق عن هذا الموضـوع، وقد قسّم البـاب إلى أربعـة فـصـول، تحدّث في الأول منهـا عن إعـجـاز القـرآن الكريم، وتحـدّث في الثـاني منهـا عن شبـهـات القـسـيـسين على القـرآن الكريم وردّ عليـهـا ، وتحدث في الثـالث منهـا عن صـحّة الأحاديث النبـوية، كـمـا تحدّث في الفـصل الرابع عن شبـهـات القـسـيـسين التي يوردونهـا على الأحـاديث النبوية وردّ عليها.

والفـصل الذي سأركّز عليـه في هذه الرسـالة هو الفـصل الثـاني الذي ذكـر فيـه الشيـخ رحمت الله شبهات القساوسة على القرآن الكريم؛ لأنّه الفصل الذي يمكن أنْ أتّخذَ منه منهاجًا للردّ على كلّ مايُلْقَى من شبهات المنصّرين والمستشرقين.

أمّا الفصل الأول الذي تحدّث فيه الشيخ رحمت الله عن إعجاز القرآن الكريم فإنه مطروق من قِبل مئات العلماء، وقد جاء هذا الفصل متسقًا مع كتابات مَن سبـقـوه في هذا المـوضـوع، وليس من مـهـمّتي في هذه الرسـالة الحديث عن نواحي إعجاز القرآن الكريم.

وأمّا بالنسـبـة للفـصليْن الثـالث والرابع اللذيْن خـصّصـهـمـا الشـيـخ رحـمت الله للكلام عن الحديث النبوي الشـريف فلم أر ضرورة البـحث فيـهـمـا ، لأنّ الطاعنين في الحـديث النبـوي الشـريف إنما يقـصـدون التـوصل بذلك إلى الطعـن في نبـوة محمد ﷺ ، وقـد خصّصتُ البـاب الثـالث من هذا القـسم للحديث عن نبـوته عليـه الصلاة والسلام وإثباتهـا من كـتب العـهدين وأقـوال علمـاء أهل الكـتـاب، وذلك

يكفي لمنْ أرادَ الحقَّ، فثبوت نبوته ﷺ يوجب الأخذ بكلامه الذي هو شارح للقرآن الكريم ومبيّن له، ومَنْ لم يؤمنْ بنبوّته عليه الصلاة والسلام فلن ينفعه الكلام عن الحديث النبوي الشريف.

وقد جاء الكلام في هذا الباب في فصلين:

الفصل الأول: الردّ على الشُّبه المورَدة ضدّ القرآن الكريم.

الفصل الثاني: الأدلّة العقلية على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى.

وأسال الله تعالى أنْ أكون قد وُفقتُ في التوصل إلى المقصود من هذا الباب.

الفصـــــل الأول

الردّ على الشبـه الموردَة ضدّ القـــــــــرآن الـكـريم

خصّص الشيخُ رحمت الله الفصل الثاني من الباب الخامس من كتابه (إظهار الحق) لمناقشة شُبَه المنصّرين التي يوردونها ضدّ القرآن الكريم، فذكر خمسًا من هذه الشُّبَه وردّ عليها ردّاً قويّاً مفحمًا، وقد قمتُ بتلخيصها متمشيًا مع منهج المناظرة، فاستبعدتُ ما لا مساس له مباشرة في الردّ، وأضفتُ ما لابدّ من إضافته ممايزيد الردَّ قوّةً، ويزيد الحجةَ وضوحًا وإلزامًا، وقد جعلتُ هذه الإضافات في الهامش، وإنْ كان لها مساس بصلب الكلام جعلتها بعد الانتهاء من كلام الشيخ رحمت الله، وميزتُ بين كلامه وكلامي بكلمة (ويضاف) حتى يبقى عمل الشيخ بارزاً.

ثم أضفتُ خمسَ شُبَه أخرى للمنصِّرين لم يذكرها الشيخ رحمت الله، وردَدْتُ عليها حسب اقتضاء المقام، وأعطيتُ هذه الشُّبَه العشر عناوين أساسية تزيد الناظر بصيرة بما تحويه كلُّ شُبْهة، فجاءت هذه الشُّبَه العشر في هذا الفصل الأول كما يلي بلسان مقالهم:

١ - عدم التسليم بأنّ عبارة القرآن في الدرجة القصوى من البلاغة.

٢ - مخالفة القرآن لكتب العهدين.

٣ - اشتمال القرآن على مضامين غير لائقة.

٤ - أنّ القرآن لايوجد فيه ماتقتضيه الروح وتتمناه.

٥ - أنّ في القرآن متناقضات.

٦ - إحراقُ عثمان المصاحف.

٧ - تغيير عمر وعثمان للآيات التي تنصّ على خلافة عليّ.

٨ - شُبْهة الأخطاء النحوية والبيانية.

٩ - شُبْهة الأخطاء التاريخية.

١٠- شُبْهة الأخْذ عن أهل الكتاب.

وفيما يلي الحديث عنها:

الشبهة الأولى

(عدم التسليم بأنّ عبارة القرآنِ في الدرجة القصوى من البلاغة)

يقول المنصّرون إنهم لايسلّمون بأنّ عبارة القرآن في الدرجة القُصوى من البلاغة الخارجة عن العادة، وإنهم لو سلّموا بذلك فيكون دليلاً ناقصًا على الإعجاز؛ لأنّه لايظهر إلاّ لمن كانت له معرفة تامّة بلسان العرب، ويلزم أنْ تكون من كلام الله جميعُ الكتب البليغة التي توجد في الألسن الأخرى مثل اليوناني واللاتيني وغيرهما، على أنّه يمكن أنْ تُؤَدّى المطالبُ الباطلةُ والمضامينُ القبيحةُ بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى[1].

وللجواب على هذه الشبهة لابدّ من تقسيمها إلى أقسام ثلاثة:

(أ) أمّا عدم تسليم كون القرآن في الدرجة العليا من البلاغة ومع التسليم يكون دليلاً ناقصًا على الإعجاز لظهوره للمتخصصين فقط والعارفين باللسان العربي دون غيره، فقد أجاب عنه الشيخ رحمت الله بأنّ هذا مكابرة محضة وظاهرة؛ لأنّه يمكن الاستدلال على أنّ القرآن في الدرجة العليا من البلاغة بعشرة وجوه[2]:

أوّلها: أنّ فصاحة العرب أكثرها في وصْف مايشاهدون، كوصف فرس أو ملك أو طعنة أو غارة، ومثلهم العجم، واللاحق منهم يستفيد من تدقيقات السابق ويتابعه في أغراض الكلام وفنونه من غزل ورثاء ومدح وهجاء وغيرها، وقد يظهر منه مضمون جديد.

بينما فصاحة القرآن ليست في بيان خصوص هذه الأشياء، ومضامينه ليست ممّا اتفق عليه العرب، بل هو على غير ماجرت عليه عادتهم.

(١) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ٨٢٩.

(٢) انظر هذه الوجوه العشرة في إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص٧٧٥-٧٨٥.

ثانيها: أنّ فصاحة العرب في شتى الأغراض والموضوعات لم تخل من الكذب، حتى قالوا: أحسنُ الشعر أكذبه، أمّا القرآن الكريم فجاء فصيحًا مع التنزّه عن الكذب، والْتزامه غاية الدقة والصدق في جميعه.

ثالثها: أنّ الشاعر قد يُنسب للفصاحة لبيتٍ أو بيتيْن في قصيدة له، وباقيها لايكون كذلك، أمّا القرآن فكلّه في غاية الفصاحة، والمتأمّل في قصة يوسف عليه السلام يعلم أنها مع طولها جاءت في الدرجة العليا من البلاغة.

رابعها: أنّ تكرار المضمون في قصة أو قصيدة لايجعل الكلام الثاني مثل الأول، بينما جاء تكرار المضامين القرآنية في غاية الفصاحة ودون ظهور تفاوت بينها، كما في قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والصفات الإلهية والأحكام، مع اختلاف العبارات إيجازاً وإطنابًا وغيْبة وخطاباً.

خامسها: أنّ الأوامر والنواهي ومسائل العقيدة والفقه جاءت في القرآن الكريم بعبارات بليغة وكلام فصيح، رغم أنّ الحديث في مثل هذه الأمور يوجب تقليل الفصاحة، والشعراء والبلغاء عاجزون عن إيراد مثل هذه المسائل بنفس الدرجة من البلاغة التي في سائر الفنون.

سادسها: أنّ الشاعر قد يَحسُن كلامه في فنّ ويضعف في غيره، فشعر امرئ القيس يحسن عند ذكْر النساء ووصف الخيل، والنابغة عند الخوف، والأعشى عند الطلب، وزهير عند الرغبة والرجاء.

أمّا القرآن الكريم فقد جاء في غاية الفصاحة في جميع الفنون ترغيبًا وترهيبًا، وزجراً ووعظًا، وأمراً ونهيًا وغير ذلك، وأوردُ بطريق الأنموذج آياتٍ في بعض الفنون:

ففي الترغيب مثل قوله تعالى في سورة السجدة آية ١٧ ﴿**فلا تَعلمُ نفسٌ ما أخفِيَ لهم من قرّةِ أعين**﴾.

وفي الترهيب مثل قوله تعالى في سورة إبراهيم آية ١٥-١٧ ﴿**وخاب كلُّ جبّار عنيد من ورائه جهنمُ ويُسقى من ماءٍ صديدٍ يتجرّعه ولايكادُ يُسيغه ويأتيه الموتُ من كلّ مكانٍ وماهو بميتٍ ومن ورائه عذابٌ غليظ**﴾.

وفي الزجر والتوبيخ مثل قوله تعالى في سورة العنكبوت آية ٤٠ ﴿**فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذَتْه الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرضَ ومنهم من أغرقنا**﴾.

وفي الوعظ مثل قوله تعالى في سورة الشعراء آية ٢٠٤-٢٠٧ ﴿**أفبعذابنا يستعجلون أفرأيتَ إنْ متعناهم سنين ثم جاءهم مّا كانوا يوعَدون ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتَّعون**﴾.

وفي صفات الله تعالى مثل قوله تعالى في سورة الرعد آية ٨-٩ ﴿**اللهُ يعلم ماتَحْمِل كلُّ أنثى وماتَغيضُ الأرحامُ وماتزدادُ وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار عالمُ الغيبِ والشهادةِ الكبيرُ المتَعال**﴾.

سابعها: أنّ الانتقال من مضمون إلى آخر، ومن قصة إلى أخرى، واشتمال الكلام على بيان أشياء مختلفة، يُضيع حُسْن الربط بين أجزاء الكلام ويُسقطه عن درجة البلاغة.

والقرآن الكريم فيه الانتقال من قصة إلى أخرى ومن مضمون إلى غيره، مع اشتماله على الأمر والنهي والوعْد والوعيد وتوحيد الله وإثبات النبوات والترغيب والترهيب وضرب الأمثال، لكنه جاء مع كمال الربط وفي غاية البلاغة التي لم يألفها العرب حتى حارت فيه عقولهم.

ثامنها: أنّ القرآن الكريم يأتي باللفظ اليسير المتضمن للمعنى الكثير، ففي أوائل سورة (ص) نجد في آيات قليلة كلامًا عن عناد الكفار وتقريعهم بإهلاك القرون مِن قبلهم، وبيان سبب تكذيبهم لمحمد ﷺ، وتهديد قريشٍ وسائر

المكذبين بخزي الدنيا والآخرة، وحثّ الرسولِ ﷺ على الصبر على أذاهم مذكّراً إيّاه بقصص الأنبياء مِن قَبْله.

وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٧٩ ﴿**ولكم في القِصاص حياة**﴾ فيه مطابقة بين متقابليْن هما القِصاص والحياة، حتى جعل القصاص المفوّت للحياة ظرفًا لها، ومع ذلك فاق في بلاغته وفصاحته كل الأقوال المشهورة عند العرب في هذا المعنى، والتي أخْصرها قولهم (**القتْلُ أنفى للقتْل**)، وقد بيّن الشيخ رحمت الله أنّ لفظ القرآن أفصح من هذا اللفظ بستة أوجه.

تاسعها: أنّ الجزالة والعذوبة بمنزلة الصفتين المتضادّتين، واجتماعهما على ماينبغي في كلّ جزء من أجزاء الكلام الطويل خلاف العادة المعتادة للبلغاء، فاجتماعهما في كل موضع من مواضع القرآن كلّه دليل على كمال بلاغته وفصاحته الخارجتين عن العادة.

عاشرها: اشتمال القرآن على ضروب البلاغة جميعها، من أنواع التأكيد وأنواع التشبيه والاستعارة، وحُسْن المطالع والمقاطع والفواصل، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل اللائق بالمقام، مع خلوِّه عن الكلام الركيك والشاذّ والنافر عن الاستعمال، ولو رام أبلغُ البلغاء جمْعَ ذلك في كلامه لم يتأتَّ له ذلك إلاّ في نوع أو نوعين مع وضوح التقصير فيهما، والقرآن محتوٍ عليها كلها.

ويضاف إلى ماتقدم تأليف القرآن العجيب وأسلوبه الغريب في المطالع والمقاطع والفواصل، مع اشتماله على دقائق البيان وحقائق العرفان، وحسْن العبارة ولطْف الإشارة، وسلاسة التركيب وسلامة الترتيب، والحِكْمة في هذه المخالفة أنْ لايبقى لمتعسف عنيد مظنّة السرقة، وأنْ يمتاز هذا الكلام عن كلامهم ويظهر تفوّقه، لأنّ البليغ ناظمًا كان أو ناثراً، يجتهد في هذه المواضع

اجتهاداً كاملاً ويُمدح ويُعاب عليه غالبًا فيها، وقد عيب على جميع فحول الشعراء مواضع لم يحسنوا فيها العبارة، أو كانت مسروقة عن غيرهم.

ثم ضرب الشيخ رحمت الله أمثلة ممّا عيب على امرئ القيس وجرير والبحتري وغيرهم، وذكر شهادة زعماء العرب وقادة المشركين بفصاحة هذا القرآن وأنّه ليس من كلام البشر، ثُمَّ اعترافهم بالعجز عن المعارضة(١).

ولمّا ثبت عجزُ العرب عن معارضته وشاع هذا بين أهل اللسان كلّهم - رغم مهارتهم وإحاطتهم بأساليب الكلام - ظهر قطعاً أنّه معجزةٌ بلاغية، والاعتراف بالعجز دليلٌ كامل عكس ماتوهّموا نقصانه(٢).

وأهلُ الإسلام لايدّعون أنّ كون القرآن كلام الله منحصر في بلاغته فقط، بل هي سبب من أسباب كثيرة موجبة لكونه كلام الله.

(ب) وأمّا الزعم أنّ الكتب التي توجد في الألْسن الأخرى كاللاتيني واليوناني إذا كانت بليغة فيلزم كونها من كلام الله:

فقد ردّ الشيخ رحمت الله بأنّ هذا قول غير مسلّم؛ لأنّ هذه الكتب لم تثبت بلاغتها في الدرجة القصوى باعتبار الوجوه العشرة التي مرّ ذكرها، كما أنّ مؤلّفيها لم يزعموا إعجازَها ولا ادّعوا عجْزَ فصحاء هذه الألسن عن معارضتها، وإن ادّعى أحدٌ إعجازها فعليه إثبات ذلك بمثل الوجوه المذكورة أو ببعضها، وإلاّ فادّعاؤه باطل.

ولايصحّ الاحتجاج علينا بشهادة بعض النصارى في حقّ هذه الكتب بأنّها

---

(١) انظر «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص٧٨٦-٧٩٩.

(٢) العوام يكفيهم اعتراف العلماء بالعجز عن المعارضة، وبه تقوم عليهم الحجة؛ لأنّ عجْزَ العلماء والفصحاء يوجب عجز غيرهم من باب أولى، ثم الأمم غير العربية يكفيهم اعتراف العرب بعجزهم عن معارضة القرآن الذي هو بلغتهم؛ فتقوم عليهم الحُجّةُ أيضًا، بالإضافة إلى أنّه يوجد في هذه الأمم مَن يتكلّمون العربية ويجيدون علومها أكثر من أهلها، فشهادتهم ببلاغة القرآن وأنّه كلام الله حجة على سائر أقوامهم؛ لأنّ مَنْ كان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها كان أعرف بإعجاز القرآن وفنون بلاغته.

في تلك الألْسن مثل القرآن في اللسان العربي، أي في الدرجة العليا من البلاغة؛ لأنّ هؤلاء النصارى لايميّزون غالبًا في لسان غيرهم بين المذكّر والمؤنث، والمفرد والجمع، والمرفوع والمنصوب والمجرور، فكيف نقبل حكْمَهم بتمييز الأبلغ من البليغ؟!

وعدمُ تمييزهم هذا غيرُ مختص باللسان العربي، بل وفي اللسان العبراني واللاّتيني واليوناني وغيرها، ومن المطاعن التي يأخذها بعضُهم على بعض أنهم إذا عرفوا ألفاظًا معدودة من لسان غيرهم ظنّوا أنهم تبحّروا في المعرفة، وأنّهم صاروا من أهل ذلك اللسان.

واستشهد الشيخ رحمت الله لكلامه هذا بأنّ الأب سركيس الهاروني مطران الشام جمع بإذن البابا أربانوس الثامن كثيراً من القساوسة والرهبان والعلماء ومعلّمي اللسان اليوناني والعربي والعبراني وغيرها، وطلب منهم إصلاح الترجمة العربية لكتب العهدين التي كانت مملوءة بالأغلاط الكثيرة والنقص الكبير، فاجتهدوا غاية الاجتهاد حتى أتمّوا ذلك العمل سنة ١٦٢٥م، ومع ذلك جاء عملهم بعد الإصلاح مليئًا بالنقص والأغلاط، فكتبوا مقدّمة يعتذرون فيها عن ذلك، ومما جاء فيها قولهم:

«ثم إنك في هذا النقْل تجدُ شيئًا من الكلام غير موافقٍ قوانين اللغة بل مضاداً لها، كالجنس المذكّر بدل المؤنّث، والعدد المفرد بدل الجمع، والجمع بدل المثنى، والرفع مكان الجر والنصب في الاسم، والجزم في الفعل، وزيادة الحروف عِوض الحركات، ومايشابه ذلك، فكان سببًا لهذا كلّه سذاجة كلام المسيحيين، فصار لهم نوع تلك اللغة مخصوصًا، ولكنْ ليس في اللسان العربي فقط، بل في اللاتيني واليوناني والعبراني تغافلت الأنبياء والرسل والآباء الأولون عن قياس الكلام؛ لأنّه لم يُرِدْ روحُ القدس أنْ يُقيّد اتساع الكلمة الإلهية بالحدود

المضيّقة التي حدّتها الفرائضُ النحوية؛ فقدّم لنا الأسرار السماوية بغير فصاحة وبلاغة»[1].

(جـ) وأمّا قولهم إنّه يمكن أنْ تُؤدَّى المطالبُ الباطلةُ والمضامينُ القبيحةُ بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى، فلا وجه له ألبتّة، ولا ورود له في حقّ القرآن الكريم؛ لأنّه من أوّله إلى آخره مملوء بالمطالب العالية، وليس فيه ممّا يزعمون مطلب واحد، ولاتخلو آية واحدة في القرآن الكريم عن ذكْر مطلب عالٍ حسَن، مثْل ذكْر توحيد الله وصفاته وأسمائه وتنزهه عن الشريك والنقائص، أو مثْل ذكْر الأنبياء وتنزههم عن عبادة الأوثان وسائر المعاصي، ومدْح المؤمنين بهم وذمّ منكريهم وطلب الإيمان بهم جميعًا، أو مثْل ذكْر الإيمان والكفر، والجنة والنار، والقيامة والجزاء، وذم الدنيا ومدح الآخرة، وبيان الحلال والحرام وسائر الفرائض والشرائع، ومحبّة الله وأوليائه، وبغض الكفرة والفسقة والنهي عن مصاحبتهم، والتأكيد على إخلاص النية لله، والنهي عن الرياء والأخلاق الذميمة.

(١) انظر «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص٨٣٢، وأقول هنا:

يجب على النصارى تقديم الشكر لروح القدس الذي عدَّ الفرائضَ النحوية حدوداً تقيّد اتساع الكلمة الإلهية، فقدّم لهم الأسرار السماوية بغير فصاحة وبلاغة حتى اختلط كلام الوحي الإلهي بكلام البشر، وطغى الأخير عليه، وسهل تغيير كلام الله وحذفه والزيادة فيه.

ثم- وهذه حال كتبهم- يتجرأون على النيْل من القرآن الكريم، فقد زعم فندر في ص ٣٤٥ من كتابه ميزان الحق أنّ الفحص الدقيق لدعوى إعجاز القرآن يبين بطلانها؛ لأنّ كتبًا كثيرة في العالم جاءت فصيحة مثل القيدا ومثل قصيدتيْ هوميروس (الإلياذة والأوديسة وهما باللغة اليونانية)، (انظر الجزيري: أدلة اليقين ص ٣٧٦).

أقول: حقّاً إن كبار المنصّرين لايميّزون بين الدعوى والدليل، فكلامه هذا هو دعوى وليس دليلاً على عدم إعجاز القرآن البلاغي؛ لأننا لو سلّمنا بفصاحة القيدا وقصائد هوميروس، فإنّ مؤلفيها لم يقولوا بإعجازها ولا أنّها في الدرجة القصوى من البلاغة، ولا زعموا أنّها منزّلة عليهم من الله، ولو كانت الدعوى تقبل بلا دليل لكان يصحّ لكل كاتب أنْ يدّعيَ إعجاز كتبه، ثم إنّ القسيس فندر ليس من أهل لغة تلك الكتب المذكورة حتى يحْكُم بهذا الحكم، ولم يستشهد لنا بقولٍ واحد عن أهل الهند واليونان يدل على إعجاز ماذكر، بينما شهد أهل اللغة العربية وأعداء محمد بالذات بإعجاز هذا القرآن، وأنّه ليس من جنس كلام البشر أو الجن، وثبت هذا بالتواتر عنهم وعمّن جاء مِن بعدهم من أهل صنعتهم.

ومن حقّنا في هذا المقام أنْ نسأل المنصّرين عن هذه المؤلفات التي يحتجّون بها أين هي؟ فما كان منها غير مترجم فلْيظهروها ولْيترجموها إلى العربية بغاية جهدهم؛ لنقابلها بكلام عوام العرب فضلاً عن فصحاء الرجال، وإلاّ فكلامهم احتجاج بمعدوم. (الجزيري: أدلة اليقين ص٣٧٦-٣٧٩، والبحراني: لسان الصدق ص٢٥٧ و٢٦٨-٢٦٩).

نعم إننا لانجد في القرآن مطلبًا واحداً مثل ماهو مذكور من ادعاءاتهم الباطلة في العهد العتيق من زنى لوط بابنتيه، وزنى داود بزوجة أوريًا وقتْله بحيلة، وعبادة هارون العجلَ، وارتداد سليمان في آخر عمره وبنائه المعابدَ للأوثان، وأنّ داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم أولاد زنا، وأنّ رأوبين ابن يعقوب زنى ببلها زوجة أبيه، وأنّ يهوذا بن يعقوب زنى بثامار زوجة ابنه، وأنّ يعقوب عليه السلام علم بهما ولم يعاقبهما بل دعا لأحدهما بالبركة، وأنّ أمنون بن داود زنى بأخته ثامار ولم يعاقبهما داود؛ لأنّه - حاشاه - كان بزعمهم مبتلى بعلة الزنا، إلى غير ذلك من المطالب الفاحشة التي توردها كتب العهد القديم في حق الأنبياء عليهم السلام، وماورد في هذه الكتب في حق الله تعالى أعظم فُحْشًا.

كما أنّ القرآن العظيم ليس فيه مطلبٌ واحد من المطالب المذكورة في العهد الجديد، مثل أنّ مريم والدة الإله، وأنّ العَشاء الرباني الذي يأكله الملايين في ليلة واحدة يتحول إلى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته، وأنّ السجود للصور والتماثيل حقّ، وأنّ الخلاص لايكون إلاّ بتكفير البابا ذنوب الفاسقين، وأنّ البابا معصوم من الخطأ[1]، وله حق التحليل والتحريم.

وقد علّق الشيخ رحمت الله بعد ذكر كثير من المضامين القبيحة والفواحش المنسوبة للأنبياء في كتب العهدين فقال:

«لعلّ هذه المضامين العالية[2] التي نقلتها وأمثالها لو وجدوها في القرآن لاعترفوا بأنّه كلامُ الله وقَبلوه، لكنهم لمّا وجدوه خاليًا عنها وعن أمثالها؛ فكيف يَعترفون ويَقْبلون؟! لأنّ المضامين الحسنة المألوفة عندهم هي هذه المضامين وأمثالها. لا المضامين التي ذُكِرَتْ في القرآن»[3].

---

(١) يعتقدون عصمة البابا ولايعتقدون عصمة الأنبياء.

(٢) قوله: (العالية): على سبيل التهكّم. انظر هذه المضامين وأمثالها في سفر التكوين إصحاحات ٩ و١٢ و١٩ و٢٠ و٢٦ و٢٧ و٢٩ و٣٠ و٣٥، وفي سفر الخروج إصحاح ٢ و٤، وفي سفر التثنية إصحاح ٣٢، وفي سفر الملوك الأول إصحاح ٢١، وفي سفر صموئيل الثاني إصحاح ٢١، وفي إنجيل لوقا إصحاح ٧ و٨، وفي إنجيل يوحنا إصحاح ١٣ و٢١.

(٣) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ٨٤٩.

الشبهة الثانية

(مخالفة القرآن لكتب العهدين)[1]

يدّعي النصارى أنّ مخالفة القرآن لكتب العهدين في مواضع كثيرة تجعلهم يجزمون أنّه ليس من كلام الله.

وقد أجاب الشيخ رحمت الله عن هذه الشبهة بجوابين:

الأول: أنّ كتب العهديْن لم تَثبتْ أسانيدُها المتّصلة إلى مصنّفيها، وثبت تحريفها واختلافها اختلافًا معنويّاً في مواضع كثيرة، وأنّ فيها أغلاطًا سهوية وقصدية لاتُحصَى، وبذلك يثبت كونها غير إلهامية، ومخالفةُ القرآن لها لاتعيبه، بل يُقْطع بصحّتِه وخطئها[2].

الثاني: قسّم الشيخ رحمت الله المخالفة التي بين القرآن الكريم وبين كتب العهدين والتي يركز عليها المنصّرون إلى ثلاثة أنواع:

(أ) باعتبار الأحكام المنسوخة:

وقد عرفنا في المناظرة الكبرى أنّ النسْخ لايختصّ بالقرآن، بل وُجد في الشرائع السابقة، وأنّ الشريعة العيسوية نَسختْ جميعَ أحكام التوراة إلاّ الأحكام العشرة، وقد وقع فيها التكميل أيضًا على زعمهم، والتكميل نوع من أنواع النَّسْخ، فصارت هذه الأحكام أيضًا منسوخة بهذا الوجه، فليس من شأن النصراني العاقل بعد ذلك أنْ يطعنَ على القرآن الكريم باعتبار هذا النوع[3].

(١) انظر هذه الشبهة وجوابها في «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص ٨٥٠-٨٧٦.

(٢) أُشبعتْ هذه النقطة بحثًا في القسم الأول من كتاب المناظرة الكبرى، وفي البابين الأول والثاني من كتاب إظهار الحق. وانظر: البحراني: لسان الصدق ص٢٧٧-٢٨٤.

(٣) لايقصد الشيخ رحمت الله أنّ عيسى عليه السلام نَسَخ شريعة التوراة؛ لأنّه كان عاملاً بها مطالبًا بأحكامها، لكنّه يقصد ما آل إليه أمر النصارى حيث نسخ بولس جميع أحكام التوراة إلاّ الأحكام العشرة وأربعة أحكام أخرى نسخها الباباوات من بعده.

(ب) باعتبار بعض الحالات المذكورة في القرآن الكريم دون ذكرها في كتب العهدين:

وقد ردّ الشيخ رحمت الله بأنّ هذه المخالفة لاتنفي كون القرآن الكريم من كلام الله، وذكر ثلاثة عشر شاهداً من كتب العهد الجديد وُجد في كلّ واحدٍ منها مالم يوجد في كتب العهد القديم، ولم يستلزم انفراد هذا الكتاب المتأخر بذكرها كونه معيبًا في نظرهم، وأكتفي بنقل ستة شواهد منها:

١- مخاصمة ميخائيل لإبليس المذكورة في رسالة يهوذا الفقرة التاسعة لم تُذكر في أيّ كتاب من كتب العهد القديم.

٢- في الرسالة العبرانية ١٢/٢١ عند ذكر بعض أحوال موسى أنّه قال:

«أنا مرتَعِبٌ ومرتَعِدٌ»، وهذا الحال مذكور في الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج، وليس فيه ولا في غيره من الأسفار هذه العبارة.

٣- في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٣/٨ «وكما قاوم يَنّيسُ ويَمْبِريسُ موسى»، وهذا الحال مذكور في الإصحاح السابع من سفر الخروج، وليس فيه ولا في غيره من الأسفار هذه العبارة، ولا أثر لهذيْن الاسمين في أيّ كتاب من كتب العهد القديم.

٤- في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥/٦ ظهور المسيح دفعة واحدة لأكثر من خمس مئة أخٍ، ولا أثر لهذا الخبر في الأناجيل ولا في سفر أعمال الرسل، مع أنّ لوقا أحرصُ الناس على تحرير أمثال هذه الأحوال.

٥- ذكر إنجيل متّى في الإصحاح الأول بعض الأسماء بعد اسم زربابل في بيان نسب المسيح ولا ذكر لهذه الأسماء في كتاب من كتب العهد العتيق.

٦- وجود ذكْر الجَنّة والجحيم والقيامة وجزاء الأعمال بشكل مجمل في

الأناجيل، ولاذِكْر لذلك في أسفار موسى الخمسة، بل كلّ ما فيها مواعيد دنيوية للمطيعين وتهديدات دنيوية للعاصين.

فثبت أنّ انفراد الكتاب المتأخّر بذِكْر بعض الأحوال التي لم تذكر في الكتب المتقدمة، لايلزم منه تكذيب الكتاب المتأخر، وإلاّ لزم كون الإنجيل كاذبًا؛ لاشتماله على كثير من الحالات التي لم تُذكر في كتب العهد العتيق، وثبت أنّ الكتاب المتقدِّم لايلزم اشتماله على كل الحالات المذكورة في الكتاب المتأخر.

(جـ) باعتبار مخالفة القرآن لكتب العهدين في بيان بعض الحالات:

وقد ردّ الشيخ رحمت الله بأنّ هذه المخالفة لا مطعن فيها كذلك؛ لوجود مثل هذه الاختلافات بين كتب العهدين نفسها مع أنّها كتب ديانة واحدة، فالأوْلى أنْ يطعنوا على كتبهم قبل أنْ يطعنوا على القرآن الكريم.

وذكر ستة وعشرين اختلافًا أكتفي بنقل سبعة منها:

١- أنّ الزمان من خلق آدم إلى الطوفان في التوراة العبرانية ألف وست مئة وست وخمسون سنة (١٦٥٦)، وفي اليونانية ألفان ومئتان واثنتان وستون سنة (٢٢٦٢)، وفي السامرية ألف وثلاث مئة وسبع سنين (١٣٠٧).

٢- أنّ الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم في التوراة العبرانية مئتان واثنتان وتسعون سنة (٢٩٢)، وفي اليونانية ألف واثنتان وسبعون سنة (١٠٧٢)، وفي السامرية تسع مئة واثنتان وأربعون سنة (٩٤٢).

٣- يوجد في التوراة اليونانية بين أرفخشد وشالح بطن واحد هو قينان، ولا ذِكْر له في العبرانية والسامرية ولا في سفر أخبار الأيام، أمّا لوقا فذكر قينان في بيان نسب المسيح، فيلزم النصارى اعتقاد صحة ما في اليونانية، وتغليط ما في العبرانية والسامرية؛ لئلا يلزم كذب إنجيلهم.

٤- أنّ موضع بناء الهيكل على حسب التوراة السامرية جبل جرزيم، وعلى حسب التوراة العبرانية جبل عيبال[١].

٥- أنّ الزمان من خلق آدم إلى ميلاد المسيح على حسب التوراة العبرانية أربعة آلاف وأربع سنين (٤٠٠٤)، وعلى حسب اليونانية خمسة آلاف وثمان مئة واثنتان وسبعون سنة (٥٨٧٢)، وعلى حسب السامرية أربعة آلاف وسبع مئة سنة (٤٧٠٠).

وفي المجلد الأول من تفسير هنري وإسكات أنّ هيلز أخذ التاريخ بعد تصحيح أغلاط يوسيفوس وأغلاط اليونانية، وعلى تحقيقه أنّ الزمان من خلق آدم إلى ميلاد المسيح خمسة آلاف وأربع مئة وإحدى عشرة سنة (٥٤١١)، ومن الطوفان إلى الميلاد ثلاثة آلاف ومئة وخمس وخمسون سنة (٣١٥٥).

ويكفي أنْ نعلم أنّ جارلس روجر بعد مقابلته التراجم الإنجليزية ذكر خمسة وعشرين قولاً للمؤرخين في بيان المدة من خلق آدم إلى ميلاد المسيح، ثم اعترف أنّه من المحال تمييز الغلط من الصحيح، وأنه لايتطابق منها قولان[٢].

فظهر أنّ كبار علمائهم يرجمون بالغيب، ويكتبون بالظنّ والتخمين، فأيها أوْلى بالشّكّ: كتاب الله القرآن الكريم أم كتبهم المحرفة؟! حاشا لكتاب الله أنْ يُشَكَّ فيه وهو المهيمن عليها، فصدّق حقّها، وكذّب المحرَّف فيها.

---

(١) جبل جرِزّيم (الآن جبل الطور) على طرف مدينة نابلس الجنوبي يرتفع ٢٨٤٩ قدمًا فوق سطح البحر، وجبل عيبال (الآن جبل السلامية) على طرفها الشمالي، سطحه صخري أقرع يرتفع ٣٠٧٧ قدمًا (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٨ و٦٤٨).

(٢) انظر هذه الأقوال في كتاب الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ٨٦٠.

٦- في سفر الخروج ١٢/ ٤٠ في التوراة العبرانية أنّ جميع ماسكن بنو إسرائيل في مصر أربع مئة وثلاثون سنة (٤٣٠)، وفي السامرية واليونانية أنّ جميع ما سكن بنو إسرائيل وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر أربع مئة وثلاثون سنة (٤٣٠)، والصحيح ما فيهما، وما في العبرانية غلط يقينًا.

٧- استخرج المحقق المشهور ليكلرك اختلافات بين التوراة السامرية والعبرانية، وقسمها إلى ستة أقسام، هي(١):

(أ) أحد عشر اختلافًا السامرية فيها أصحّ من العبرانية.

(ب) سبعة اختلافات تقتضي القرينةُ والسياقُ صحّة ما في السامرية.

(جـ) ثلاثة عشر اختلافًا توجد فيها زيادة في السامرية.

(د) سبعة عشر اختلافًا حُرّفتْ فيها السامرية والمحرِّف محقّقٌ فطِن.

(هـ) عشرة اختلافات السامرية فيها ألْطفُ مضمونًا.

(و) اختلافان السامرية فيهما ناقصة.

وقد أيّد المحققُ هورن المحققَ ليكلرك في بيان هذه الاختلافات، وليست هذه هي كلّ الاختلافات، فقد استخرج المحققون اختلافات كثيرة جداً فيما بين النسخ الثلاث للتوراة: العبرانية والسامرية واليونانية، وذكر الشيخ رحمت الله أنّه ترك الكلام عليها خوف الإطالة؛ لأنّ هذا القدر يكفي اللبيب، ويبيّن أنّ قول الطاعن في القرآن الكريم باعتبار النوع الثالث ساقط لا قيمة له بمثل سقوطه باعتبار النوعين الأوّلين.

(١) للتوسع انظر تفصيلها في: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ٨٧٢ - ٨٧٦.

الشبهة الثالثة

(اشتمال القرآن على مضامين غير لائقة)[1]

يوجد في القرآن الكريم أنّ الهداية والضلال من جانب الله تعالى، وأنّ الجنة مشتملة على الأنهار والحور والقصور.

ومثل هذه المضامين في زعم النصارى قبيحة تدل على أنّ القرآن ليس كلام الله، والجواب:

(أ) أجاب الشيخ رحمت الله عن المضمون الأول بأنّه وقع في مواضع من كتبهم أيضًا أنّ الهداية والضلال من جانب الله تعالى، فيلزم عليهم أنْ يعترفوا أنّ كتبهم ليست من جانب الله يقينًا، ومن هذه المواضع:

مافي سفر الخروج ٢١/٤ «وقال الربُّ لموسى عندما تذهبُ لتَرجعَ إلى مصر انظرْ جميعَ العجائبَ التي جعلتُها في يدِك واصنعْها قُدّام فرعون. ولكنّي أُشدّدِ قلبَه حتى لايُطْلِقَ الشَّعبَ»[2].

فظهر أنّ الله كان قد قسّى قلب فرعون حتى لايؤمن ولايطلق الشعب.

وفي سفر إشعياء ١٧/٦٣ «لماذا أضْلَلْتَنا ياربُّ عن طُرقك قسّيْتَ قلوبَنا عن مخافتك»[3].

وفي سفر حزقيال ٩/١٤ «فإذا ضَلَّ النبيُّ وتكلّم كلامًا فأنا الربَّ قد أضْلَلْتُ ذلك النبيَّ وسأمُدُّ يدِي عليهِ وأبيدُهُ مِنْ وَسَطِ شَعْبي إسرائيل».

وقد دعا إشعياء على بني إسرائيل بمايلي حسب ما في سفره ١٠/٦ «غلِّظْ

(١) انظر هذه الشبهة وجوابها في «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص٨٧٧ - ٨٨٨.

(٢) ومثلها في سفر الخروج ٣/٧، و١/١٠ و٢٠ و٢٧، و١٠/١١، وقد توسّع الجزيري في الإجابة عن هذه الشبهة في كتابه أدلّة اليقين ص ٤١٨-٤٢٥.

(٣) ومثلها في سفر التثنية ٤/٢٩، وسفر إشعياء ١٠/٦، وإنجيل يوحنا ٣٩/١٢ - ٤٠، والرسالة الرومية ٨/١١.

قلْبَ هذا الشَّعبِ وثقّل أُذنَيْهِ واطمسْ عينيهِ لئلاً يُبصِرَ بعينيهِ ويَسمعَ بأُذنيهِ ويَفهمَ بقلبهِ ويَرجعَ فيُشْفَى».

وفي إنجيل يوحنا ١٢/ ٤٠ عن بني إسرائيل «قد أعمَى عيونَهم وأغلظَ قلوبَهم لئلاّ يُبصروا بعيونهم ويَشعُروا بقلوبهم ويَرجعوا».

ويظهر من هاتين الفقرتين: أنّ الله تعالى هو الذي أعمى عيون بني إسرائيل، وأثقل آذانهم، وأغلظ قلوبهم؛ لئلاّ يتوبوا ويرجعوا.

وتُبيّن فقرات سفر الملوك الأول ٢٢/١٩-٢٣ أنّ الله يجلس على كرسيه ويعقد محفلاً يشاور فيه أجناد السماء للإضلال والإغواء، ثم يُرسِل روحَ الضلالة على الناس، فكيف ينجو هذا الإنسان الضعيف؟![1]

وهذه العبارات كافية لإثبات القدر وكون الهداية والضلالة من جانبه تعالى، حتى مال لوثر زعيمُ فرقة البروتستانت إلى القول بالجبر، كما يدل عليه كلامه في الصفحة ٢٧٧ من المجلد التاسع من كاثوليك هرلد.

وقال القسيس طامس انكلس الكاثوليكي في الصفحة ٣٣ من كتابه مرآة الصدق المطبوع سنة ١٨٥١م طاعنًا على فرقة البروتستانت:

«وعاظهم القدماء علّموهم هذه الأقوال المكروهة: **الأول:** أنّ الله موجد العصيان، **الثاني:** وأنّ الإنسان ليس بمختارٍ على أنْ يجتنب عن الإثم، **الثالث:** وأنَّ العمل على الأحكام العشرة غير ممكن»[2].

فظهر أنّ قولهم في القرآن مردود، وأنّه لا مطعن لهم بهذا المضمون.

(ب) وأما زعمهم أنّ القرآن ليس كلام الله لاشتماله على ذكْر الجنة والحور وغيرها، وأنّ هذا المضمون قبيح: فليس بصحيح؛ لأنّ أهل الإسلام لايقولون-كما يتقوّل عليهم المنصّرون تغليطًا للعوام - إنّ نعيم الجنة جسماني فقط، بل هو روحاني أيضًا، فقد ورد في القرآن ذكر النعيم الجسماني

(١) وانظر كذلك الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي ٢/ ١١، والرسالة الرومية ٩/ ١١- ٢١.
(٢) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص٨٨٤، والشيخ البحراني: لسان الصدق ص ٣١١.

والروحاني معًا، ويحصل كلا النوعين للمؤمنين:

ففي سورة التوبة آية ٧٢ قوله تعالى **﴿وعَدَ الله المؤمنين والمؤمناتِ جنات تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ومساكنَ طيّبة في جناتِ عدْنٍ ورضوانٌ من اللهِ أكبرُ ذلك هو الفوزُ العظيم﴾**.

وهذا دالٌّ على أنّ النعيم الروحاني برضوان الله عنهم أعظم من سائر اللذاتِ الجسمانية.

فإنْ قالوا: إنّ هذا المضمون قبيح في أعينهم، أرجعناهم إلى ما في كتبهم ممّا هو مخالف للقرآن الكريم، ففي سفر التكوين ١٨/٦-٨ أنّ الملائكة الثلاثة الذين ظهروا لإبراهيم عليه السلام أكلوا ماقدّمه لهم من لحم وسمن ولبن.

وفي سفر التكوين ١٩/٣ أنّ الملَكين اللذيْن جاءا إلى لوط عليه السلام أكلا خبزاً وفطيراً.

وعندهم كذلك أنّ المسيح إله وما انفكّ عن الأكل وشرب الخمر، ولكن هذا الطعن هو دأبهم[1].

(١) زعم القسيس فندر في كتابه ميزان الحق ص٢٠٤ أنّ ذكْر النعيم الجسماني والعذاب الأليم في القرآن دالٌّ على كونه ليس من عند الله، وأنّ خلوّ الإنجيل من هذا يجعله أرقى من القرآن كما أنّه أرقى من التوراة؛ لأنّه يَعِد المؤمنين بنعيم روحاني فقط. (انظر: أدلة اليقين للجزيري ص ٣٤١ و٣٤٩-٣٥٨).

وهو بذلك يوجب أنْ يكون الوحي المتأخر أرقى من الوحي المتقدم، فالإنجيل أرقى من التوراة، ومابعده أي القرآن الكريم معاب بذكر النعيم الجسماني الذي هو بزعمه نقيصة تدلّ على أنّه ليس كتابًا سماويًا، فليس هو أرقى من الإنجيل.

وكان الأجدر بالمنصّرين قبْل أنْ ينتقصوا القرآن الكريم بذلك أنْ ينتقصوا كتبهم التي تنسب إلى الله وملائكته ورسله مايتنزه عنه فسقَتُهم وجهّالهم، وهذا ليس ببعيد من طبعهم، فقد حرّموا على الرهبان الزواج واتخاذ الأبناء وزعموه لله، ورموا الأنبياء بالزنا وشرب الخمر وعبادة الأصنام، وجعلوا اشتمال كتبهم على ذلك من المحاسن، وجعلوا ذكْر القرآن لنعيم الجنة الجسماني منافيًا لرحمة الله وعدله وقداسته. (الشيخ البحراني: لسان الصدق ص ٣٠٦ - ٣٠٧).

وعلى مقياسهم هذا تكون المنافاة أظهر في إعطاء أنواع النعيم في الدنيا للمؤمنين والكافرين على السواء؛ لأنّ الكافر لايستحق رحمة الله، فيكون تنعم المؤمنين باللذات الجسمانية في الآخرة هو مقتضى القداسة والعدل والرحمة.

يقول المهتدي الشيخ زيادة- وكان نصرانياً ثم أسلم: «وكان يقتضي للنصارى أنْ يتعجبوا من كتابهم حيث دلّ على أنّ الملائكة الثلاثة الذين ضافوا عند سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أكلوا عنده، ويفسرونهم بأنهم أقانيم الله، تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً، وذلك محلّ التعجب لامتناع أكْلِ الملائكة كما دلّ عليه القرآن العظيم في هذه القصة، بخلاف أكل البشر في الجنة؛ لأنهم بحسب طبيعتهم يأكلون». (انظر كتاب: مختصر الأجوبة الجلية للشيخ الطيبي - الملحق بإظهار الحق، ج٢ ص١٨٣ من طبعة سنة ١٣٠٩هـ).

الشبهة الرابعة

(أنّ القرآن لايوجد فيه ماتقتضيه الروحُ وتتمنّاه)[1]

يزعم النصارى أنّ القرآن ليس من كلام الله؛ لأنّه يخلو من كل ماتقتضيه الروح وتتمناه.

وقد أجاب الشيخ رحمت الله عن هذه الشبهة بجواب مختصر فقال: إنّ ماتقتضيه الروح وتتمناه أمران:

الاعتقادات الكاملة، والأعمال الصالحة، والقرآن مشتمل على بيان كلا النوعين على أكمل وجه[2].

ثم قال إنه سمع مشركي الهند من البراهمة يقولون: إنّ ذبح الحيوان للأكل خلاف مقتضى الروح، وغير مستحسن عند العقل، ولايتصور أن يسمح الله بذلك، والكتاب المشتمل على ذلك لايكون من جانب الله، ويعيبون التوراة والإنجيل لاشتمالهما على ذلك، وخلوهما مما تقتضيه الروح وتتمناه.

فكما لايلزم عند أهل الكتاب نقصان التوراة والإنجيل من عدم الأمر الذي هو مقتضى الروح على زعم البراهمة، فكذلك لايلزم نقصان القرآن الكريم من عدم بعض هذه الأمور التي هي مقتضى الروح على زعم النصارى.

(١) انظر «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص٨٨٨.

(٢) بالنسبة لأمر الاعتقادات الكاملة فإنّ التوراة الحالية تصف الله بصفات المخلوقين، والأناجيل الحالية تصف المخلوق بصفات الله، ولانجد التوحيد الحقيقي لله في ذاته وأسمائه وصفاته إلاّ في القرآن الكريم، فإنّ فيه أنّ الله واحد أزلي أبدي قادر سميع بصير متكلم حكيم خبير رحيم رحمـٰن صبور غفور قدوس محيي مميت ذو الجلال والإكرام وغيرها، وفي القرآن تنزيه الله عن جميع المعايب والنقائص مثل العجزْ والجهل والظلْم والحدوث والفقر وغيرها.

وفي القرآن الدعوة إلى التوحيد الخالص، والنهي عن الشرك- والتثليث فرع منه، وتحريم جميع الوسائل والأسباب المؤدية للكفر، سواء في القول أو العمل أو الاعتقاد.

وبالنسبة للأعمال الكاملة فقد تحلّل اليهود من جميع فرائض التوراة وغيّروا فيها، وكذلك نسخ النصارى جميع محرماتها، وأوّلوا جميع فرائضها بأنّها تعني الإيمان بالمسيح، بل قالوا ببطلان جميع أحكامها بعد مجيئه، وليس عند الفريقين في الآخرة جزاء على العمل الصالح، ولانجد اكتمال ذلك إلاّ في القرآن الكريم، ولايتسع المجال لتفصيله.

الشبهة الخامسة

(أنّ في القرآن متناقضات)[1]

يزعم المنصّرون أنّ في القرآن اختلافات معنوية وتناقضات دالّة على كونه ليس من كلام الله.

وقد ضرب الشيخ رحمت الله مثَلَيْن لأعظم هذه الاختلافات في زعم القسّيسين:

أولهما: مثْل قوله تعالى في سورة البقرة آية ٢٥٦ ﴿**لا إكراهَ في الدِّين**﴾، وقوله تعالى في سورة النور آية ٥٤ ﴿**قل أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ فإنْ تولَّوا فإنّما عليه ماحُمِّلَ وعليكم ماحُمِّلتم وإنْ تُطيعوه تهتدوا وما على الرسولِ إلاّ البلاغُ المبين**﴾، وقوله تعالى في سورة الغاشية آية ٢١-٢٢ ﴿**فذكِّر إنّما أنتَ مُذَكِّر لستَ عليهم بمصيطر**﴾.

وهذه الآيات في زعم القسيسين تخالف الآيات التي تأمر بالجهاد.

وقد أجاب الشيخ رحمت الله عن هذا الاختلاف المزعوم أنّه ليس باختلاف، بل كان هذا الحُكْم قبل الجهاد، فلمّا نزل حُكْمُ الجهاد نَسخ هذا الحُكْمَ، والنسخ ليس باختلاف معنويّ، وإلاّ يلزم أنْ يكون بين الإنجيل والتوراة في جميع الأحكام المنسوخة اختلاف معنويّ، وكذا في نفس أحكام التوراة، وكذا في نفس أحكام الإنجيل، على أنّ قوله تعالى ﴿**لا إكراهَ في الدّين**﴾ ليس بمنسوخ[2].

(١) انظر هذه الشبهة وجوابها في «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص٨٨٨ - ٨٩٠.

(٢) ذكر القرطبيُّ في تفسير قوله تعالى ﴿**لا إكراهَ في الدين**﴾ عن ابن مسعود وغيره القول بأنّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة التوبة آية ٧٣ وفي سورة التحريم آية ٩ ﴿**ياأيّها النبيُّ جاهدِ الكفار والمنافقين واغلظْ عليهم**﴾.

وذكر عن قتادة والشعبي والحسن والضحاك القول بأنّها غير منسوخة؛ لأنّها نزلت في أهل الكتاب خاصّة، وأنّهم لايُكْرَهون على الإسلام إذا أدّوا الجزية، وأنّ الآية التي تأمر بجهاد الكفار والمنافقين خاصة بالمشركين الوثنيين.

وعلى كلا القولين فلا مناقضة بينها وبين آيات الأمر بالقتال. ==

وثانيهما: ورود آياتٍ في القرآن تدلُّ على أنّ المسيحَ إنسانٌ ورسولٌ عابدٌ لله(١)، وورود آياتٍ أخرى تدلّ على أنّه ليس من جنس البشر.

وقد أجاب الشيخ رحمت الله عن هذا الاختلاف بجواب مختصر فقال: إنّه لايوجد في القرآن مايدلّ على أنّ عيسى ليس من جنس البشر، وفهْمُ هذا المعنى من القرآن وهْمٌ صرف وظنٌّ فاسد(٢).

= وأمّا بالنسبة لآية سورة النور فليس فيها ناسخٌ ولامنسوخ، وهي أمرٌ بطاعة الرسول الذي لايملك لقومه إلا البلاغ، فلا مناقضة بينها وبين آيات الأمر بالقتال. وأمّا بالنسبة لآية سورة الغاشية فقد ذكر القرطبيُّ أنّه إنْ جُعل الاستثناءُ منقطعًا فيكون معناها: لستَ بمسلّط عليهم فتقتلهم، ثم نسختها آية السيف، وإنْ جُعِل الاستثناءُ متّصِلاً فيكون معناها: لستَ بمسلّط إلاّ على مَنْ تولّى وكفر فأنتَ مسلّطٌ عليه بالجهاد، وعلى هذا التقدير فلا نسْخ فيها.

وعلى كل حال فلا مناقضة بين هذه الآية وبين آيات الأمْر بالقتال؛ لأنّه إنْ قيل بعدم نسْخها، فعدم المناقضة واضح؛ لأنّ الرسولﷺ لايملك هدايتهم، وإنْ قيل بنسْخها فعدم المناقضة واضح كذلك؛ لأنّه لم يُسَلّط عليهم بالقتال في مكة وسلّطه الله عليهم بعد ذلك في المدينة. (انظر: تفسير القرطبي م١ ج٣ ص٢٨٠-٢٨١، وم٦ ج١٢ ص٢٩٦، وم١٠ ج٢٠ ص٣٧، وتفسير ابن كثير ١/ ٣١٠ و٣/٢٩٩ و٤/٥٠٤، والشيخ البحراني: لسان الصدق ص٣٠٧ - ٣١٠).

(١) انظر الأقوال: الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الفصل الأول من الباب الأول ص٣٥- ٤١.

(٢) يقول القسيس فندر في ص٤٠٠ من ميزان الحق: «ويوجد نوع مهمٌّ آخر من التناقض في القرآن يجب على المسلمين ملاحظته يختصّ بما في القرآن عن التوراة والإنجيل، فقد رأينا آنفًا أنّ القرآن يصرّح أنّه أُنزل مصدّقًا لسائر الكتب وليحفظها من التغيير والتبديل، ولكنّه في أمور كثيرة يناقضهما معًا، ومن هذه المناقضات التامّة تعاليم جوهرية في الإنجيل، مثلاً موت المسيح على الصليب إتماما للنبوات، وكفارته عن خطايا العالَم كلّه، ولاهوته، وقيامته، وأنّه وحده القادر على تخليص العالَم».

وقال في ص٤٠٤ «وإذا كان القرآنُ آخِرَ وأتمَّ وحْي للإنسان فلابدّ أنْ يبين لنا أحسن من الإنجيل عن قَداسة الله وعدْله».

ويفهم منه أنّ فندر يجعل خلوّ القرآن الكريم من الشرْك وتأليهِ المسيح وسائر العقائد الباطلة دليلاً على أنّ القرآن ليس من كلام الله، وأوْلى به أنْ يجعل التوراة كذلك؛ لأنّها قطعًا خالية عمّا ذكر، وكيف يجعل هذه العقائد الباطلة من قداسة الله وعدله والقرآن إنما جاء بتنزيه الله عن جميع النقائص، وبإقامة العدل والميزان بالقسط، وبقطع دابر الشرك والوثنية؟!

ثم إنّ الإنجيل كذلك يخلو عن كثير ممّا في التوراة، فهما أوْلى بنسبة النقص والعيب إليهما من القرآن الكريم الذي جاء مشتملاً على صحيحهما، ومبيّنًا لما دخلهما من الباطل.

(الجزيري: أدلة اليقين ص ٣٤٩ و ٣٦٠).

****

ومن المتناقضات التي زعمها فندر في كتابه ميزان الحق ص ٣٩١-٣٩٢ قوله: إنّ آية سورة النساء رقم ٤٨ ورقم ١١٦ ﴿**إنّ الله لايَغفرُ أنْ يُشْرَكَ به ويَغفِرُ مادُونَ ذلك لمن يشاء**﴾ تُناقض ماورد عن قصة إبراهيم في سورة الأنعام.

وزعم أنّ قوله تعالى في سورة الواقعة آية ١٣-١٤ ﴿**ثلّة من الأوّلين وقليلٌ من الآخِرين**﴾ يناقض قوله تعالى في نفس السورة آية ٣٩- ٤٠ ﴿**ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخِرين**﴾.

والواقع أنّ مثْل هذا الزعم لايستحقُّ الردَّ عليه؛ لأنّه لاتناقض بين عدم مغفرة الله للمشرك وبين دعوة إبراهيم قومه إلى==

ثم تعجّب الشيخ رحمت الله من عقلاء النصارى الذين لايرون الاختلافات والأغلاط التي وقعت في أسفارهم كما هي موضّحة في الفصل الثالث من الباب الأول من كتاب «إظهار الحق».

= توحيد الله وترك عبادة الشمس والقمر والنجوم، وإبراهيم نفسه لم يعبدها.

وكذلك لا مناقضة بين آيات سورة الواقعة لورودها في فريقين هما:

(أ) فريق السابقين الذين هم ثلّة من الأوّلين وقليل من الآخِرين، والثّلّة: الجماعة من الناس.

(ب) فريق أصحاب اليمين الذين هم ثلّة من الأولين وثلّة من الآخِرين.

وعدم تمييز القسيس فندر ذلك إمّا وهْمٌ منه أو إيهام، وعلى كلّ حال فهو متناقض كسائر زملائه المنصّرين الذين يطعنون في القرآن بزعم وجود التناقض والاختلاف، بينما هم يستدلّون بهذا التناقض الواضح في كتبهم على إلهاميتها، فهو يقول في ميزان الحق ص١٠١ بخصوص ما في التوراة من تناقض صريح:

«فوجود شيء من هذا القبيل في أسفار التوراة مع سكوت اليهود عنه وعدم تجاسرهم على تسويته لَدليلٌ قويٌّ على تمسّكهم بالمتون الأصلية».

(الجزيري: أدلة اليقين ص ١٥٣ وص٤٠٢ - ٤٠٧).

كما زعم صاحب كتاب (ذيل مقال في الإسلام) أنّ القرآن متناقض، واستدل بقوله تعالى في سورة آل عمران آية ٧ ﴿**منْهُ آياتٌ محكمات هنَّ أمُّ الكتابِ وأخَرَ متشابهات**﴾، وعلّل كلامه بأنّ القرآن العربي المبين لايكون عربياً مبينًا مع وجود المتشابهات فيه.

ويقال في الجواب عن هذا الزعم: إن للعلماء أقوالاً كثيرة في المقصود من المتشابه ذكر القرطبي في تفسيره أنّ أحسنها القول: إنّ المتشابه هو ما استأثر الله بعلمه دون خلقه، مثْل قيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل السور، ووجود المتشابه في القرآن لايمنع من كونه عربياً مبينًا فصيحًا. (انظر: تفسير القرطبي م٢ ج٤ ص١٠، والجزيري: أدلة اليقين ص٤٨٤).

الشبهة السادسة(١)

(إحراق عثمان المصاحف)

من الشُّبه التي يُثيرها المنصرون والمستشرقون شبهة جمع القرآن زمن أبي بكر وإحراق عثمان المصاحف؛ وذلك لأنّ أبا بكر رضي الله عنه أمر زيد بن ثابت بجمع القرآن، ومن المحتمل- بزعمهم- أنّه لم تكن توجد وقتئذٍ نسخة كاملة للقرآن سوى تلك التي جمعها زيد، ولايؤْمَن من وقوع التحريف فيها، ثم إنّ عثمان أصلح القرآنَ وحرّره، وأحرقَ النُّسَخ القديمةَ كلّها إلاّ نسخة حفصة.

ويردُّ على هذه الشبهة بأنّ القرآن الكريم كان في زمن الرسول ﷺ مكتوبًا على الرقاع والعُسُب، ولم يكن مجموعًا في مصحف واحد؛ لأنّ مهمة كتّاب الوحي كانت مجرد التسجيل الكتابي فقط على متفرقات العظام والحجارة والجلود وغيرها، وكانوا يضعون مايكتبونه من القرآن في بيت رسول الله ﷺ، وقد حال ضيق الفترة الزمنية بين آخر آية أنزلت منه وبين وفاة النبيّ ﷺ دون جمْعه في مصحف واحد في حياته ﷺ(٢).

ولما استحرّ القتل بحفّاظ القرآن يوم اليمامة خشي عمر رضي الله عنه أنْ يموت أشياخُ القراء، فأشار على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن وحفْظه بين دفتين، واستنساخه في صفحات مرتبة مجتمعة، وقد شبَّه الإمامُ أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي هذا الجمع بمنزلة أوراقٍ وُجدتْ في بيت رسول الله ﷺ، فيها القرآن منتشرٌ، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لايضيع منها شيء(٣).

وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه المكلّف بجمعه من قِبَل أبي بكر رضي الله

(١) الشُّبَه الخمس التالية من السادسة إلى العاشرة لم يذكرها الشيخ رحمت الله في كتابه «إظهار الحق».

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ط٢، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م/ ج١ ص٢٣٨، والبوطي: من روائع القرآن، ط٢، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٣٩٠هـ، ص ٤٠.

(٣) انظر صفحتيْ المرجعين السابقين إشارة إلى كتاب فهْم السنن للمحاسبي.

عنه لايكتب شيئًا في المصحف المجموع إلاّ بعد المطابقة التامّة بين المكتوب في الرقاع والعُسُب في زمان النبي ﷺ وبين المحفوظ في صدور عشرات الرجال الحفّاظ، فليس المكتوب وحده معتمَداً عليه ما لم يطابق المحفوظ، ولا المحفوظ وحده معتمَداً عليه إنْ لم يتطابقا، ولايُتصوّر أنّ هذا الجمع في زمان أبي بكر رضي الله عنه كان للتنقيب عن أجزاء أو سور ضائعة، إنما كان لحفظ القرآن الكريم بين لوحين، وبخاصة أنّ بعض الكلمات قد تقرأ على عدة أوجه لعدم التنقيط، فحفّاظ القرآن الذين تلقوه من فم رسول الله ﷺ هم أعرف الناس بنطْق هذه الكلمات، ورواية زيد بن ثابت المكلّف بالجمع توضح هذا(١).

أمّا في زمن عثمان رضي الله عنه فقد حصل اختلاف بين المسلمين في قراءة القرآن بسبب اتساع الفتوحات ودخول الأعاجم في الإسلام، وغذّى هذا الاختلافَ عدمُ التنقيط والشكْل، واختلافُ العرب في اللهجة والرسم الكتابي، فأراد عثمانُ رضي الله عنه أنْ يجمع الناس على مصحفٍ واحد بحيث يكون رسمه موافقًا للهجة قريش، لكنّه منقول بنصّه عن المصحف المجموع في عهد أبي بكر رضي الله عنه، والذي لايخالف ما في الرقاع واللخاف المكتوبة زمن النبي ﷺ، ولايخالف كذلك ما عند الحفّاظ، والقصد أنّ مصحف عثمان رضي الله عنه لم يكن فيه تغيير في السور أو الألفاظ حذفًا أو زيادة، تقديمًا أو تأخيراً، كما يحاول أعداء الله أنْ يُوهموا الجهّال، إنما كان تدوينًا للقرآن بنصّه كما أنزل، لكنه برسم يوافق لهجةَ قريش.

وبهذا يظهر أنّ جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه لايعني الزيادة والنقص فيه، ولا تغيير ترتيب آياته وسوره التوقيفي، إنما هو جمْعٌ له في

(١) ابن حزم: الفصل ٢/٧٦- ٨٠، والبحراني: لسان الصدق ص ٩٥، والجزيري: أدلّة اليقين ص ٨٣- ٨٧ و٣٨٤- ٤٠١، ومحمد عزة دروزة: القرآن والمبشرون، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٨٦-٨٧ و٣٦٦، وانظر رواية زيد بن ثابت رضي الله عنه في سبب جمع القرآن الكريم زمن أبي بكر رضي الله عنه في فتح الباري ٩/١٠ كتاب فضائل القرآن، باب ٣ جمع القرآن، حديث رقم ٤٩٨٦.

مصحف واحد؛ لزيادة المحافظة على القرآن في ترتيبه بسوره وآياته وكلماته، على حسب مادوّنه كتبةُ الوحي الذين تلقّوه من فم رسول الله ﷺ، وعثمان رضي الله عنه لم يجمعه، لكنّه أَمَرَ بنسْخه في المصاحف بلهجة قريش لتوزيعه على الأقطار الإسلامية، وهو رضي الله عنه إنما فعل أمراً فيه زيادة خير للمسلمين؛ حيث جمعهم على لهجة قريش أفصح لهجات العرب، ودوّن المصحف بالرسم الكتابي الموافق لهذه اللهجة، فلمْ يحصُل أيّ ضَرر أنْ قام بحرق المصاحف المكتوبة برسم يخالف لهجة قريش[١]، حتى لاينبني على رسمها خلافٌ بتوسع البلدان وكثرة دخول الأعاجم في الإسلام ونشوء جيل التابعين.

وماهي الأغلاط التي حرّرها عثمان رضي الله عنه وعنده مصحفان: مصحف كتبة الوحي المكتوب زمن النبيﷺ، والمصحف المجموع زمن أبي بكر رضي الله عنه بإشراف مئات الحفاظ وموافقتهم التامّة على كل حرف فيه؟!

والحديث الذي رواه البخاري يبيّن أنّ الاختلاف ليس في الزيادة والنقص، وإنما هو اختلاف لهجات، (فعن أنس بن مالك أنّ حذيفة بن اليمان قدِم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين: أدركْ هذه الأمّة قبل أنْ يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أنْ أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك. فأرسلتْ بها حفصة إلى عثمان فأمر زيدَ بن ثابت وعبدَالله بن الزبير وسعيدَ بن العاص وعبدَالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء

(١) بيّن الشيخ البحراني أنّ ما أحرقه عثمان هو مصاحف فيها ألفاظ تفسيرية لبعض الكلمات، وأن المصاحف التي نُسخت زمن عثمان لاتخالف مصحف زيد المجموع زمن أبي بكر، ولاتخالف الصحف المكتوبة زمن النبي ﷺ على العسب واللخاف، ومايقال: إنّ سورة الأحزاب كانت أطول من سورة البقرة لايلتفت إليه ولايعوّل عليه، ثم علّق قائلاً: «فمن أين جاء الإسقاط المذكور في (دبستان فاني) الذي تعلّق به النصراني». (انظر كتابه: لسان الصدق ص ٩٥-٩٦).

من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصُّحُفَ في المصاحف ردّ عثمانُ الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كلّ أفقٍ بمصحف، وأمر بماسواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أنْ يُحرق)[1].

والحقُّ أنّ تمسّك المنصرين بهذه الرواية هو حجة عليهم لا لهم؛ لأنّها تفيد ضبْطَ القرآن بالكتابة بلهجة قريش ولسانها، ولايفهم منها حقُّ الزيادة والنقص في كتاب الله.

وبعد كتابة هذه النسخ وإرسالها إلى الأقاليم كان الحفّاظ يملأون بلاد الإسلام، فلو وجدوا حرفًا واحداً زائداً أو ناقصًا لَثارت ثائرتهم ولم يترددوا في لوم عثمان على ذلك، بل ولأحرقوا مصحفه. وقد تعلّل الناقمون على عثمان رضي الله عنه بأسباب واهية ولم يذكروا منها هذه الشبهة، ولو كان لهم في ذلك مستمسك لقالوا به ولأبرزوا مصاحفهم المباينة[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

«فإنّ القرآن لايتوقف نقله على المصاحف، بل القرآن محفوظ في قلوب ألوف مؤلّفة من المسلمين لايُحصِي عددَهم إلا الله عز وجل، فلو عُدم كلّ مصحفٍ في العالم لم يقدحْ ذلك في نقل لفظ من ألفاظ القرآن... وإنّ القرآن إذا كان منقولاً بلغة واحدة وذلك اللسان يحفظه خَلْقٌ كثير من المسلمين فكان ذلك ممايبيّن أنّ القرآن لايمكّن أحداً أنْ يغيّر شيئًا من ألفاظه»[3].

وقد أشاد د. موريس بوكاي بالطريقة التي تمّ بها جمعُ القرآن الكريم؛ لأنّها طريقة علمية موثّقة تمّ فيها الاستعانة بالحفظة وبالنصوص القرآنية المدوّنة زمن النبيﷺ، ثم علّق قائلاً:

---

(١) انظر: فتح الباري ٩/ ١١ كتاب فضائل القرآن، باب ٣ جمع القرآن، حديث رقم ٤٩٨٧.

(٢) روى القرطبي عن عمير بن سعيد عن علي رضي الله عنه قال: «لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان». (انظر تفسير القرطبي ١/ ٥٤).

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٥.

«وهكذا ظهر الحافظون الذين كانوا يعرفون كلَّ القرآن حفظًا وينشرونه، ولقد اتضحت القيمة الثمينة لذلك المنهج المزدوج في حفظ النص بالكتابة وبالذاكرة... وقد تمّت عملية تحقيق صحة النص هذه بمنتهى الدقة»[1].

وما جرى في المناظرة الكبرى في مبحث التحريف من القسم الأول من هذه الرسالة يبين لنا مدى ما نالته كتب العهدين من عناية الروح القدس إذْ يزعم المنصّرون أنّ تقديمه لهذه الكتب متناقضة دالٌّ على إلهاميتها، ويكفي لنفي إلهاميّتها أنْ نعلم أن بعض الفرق النصرانية تردّ كتبًا برمّتها من التوراة والإنجيل، بل وتكفي المقارنة بين طبعتيْن للكتاب المقدس لفرقة واحدة في زمنين مختلفين؛ ليظهر مافيهما من التبديل والإصلاح، فضلاً عن طبعتين لفرقتين متباعدتين في العقيدة من فرقهم المشهورة.

يقول الدكتور موريس بوكاي:

«ولم يتعرّض النص القرآني لأيّ تحريف من يوم أنْ أنزل على الرسول ﷺ حتى يومنا هذا. أمّا فيما يخصّ العهد القديم فإنّ تعدُّد كتّاب نفس الرواية، بالإضافة إلى تعدُّد المراجعات لبعض الكتب على عدة فترات قبل العصر المسيحي، هو من أسباب الخطأ والتناقض. وأما فيما يخصّ الأناجيل فلايستطيع أحد أنْ يجزم بأنّها تحتوي دائمًا على رواية أمينة لرسالة المسيح، أو على رواية لأعماله تتفق بدقّة تامّة مع الواقع. إنّ عمليّات التحرير المتوالية تبين كما رأينا افتقار هذه النصوص إلى الصحة، وزيادة على ذلك فليس كتّاب هذه النصوص شهود عيان... ويختلف الأمر بالنسبة للقرآن، ففور تنزيله وأوّلاً بأوّل، كان النبيّ ﷺ والمؤمنون مِن حوله يتلونه عن ظهر قلب، وكان الكتبة من صَحْبِه يُدَوّنونه. إذن فالقرآن يتمتع منذ البداية بعنصريْ الصحة هذين اللذين

(١) انظر كتابه: دراسة الكتب المقدسة ص ١٥٥.

لاتتمتع بهما الأناجيل، وظلّ الأمر هكذا حتى موت النبيّ ﷺ، وفي عصرٍ لايستطيع فيه الكلّ أنْ يكتب - وإنْ كان يستطيع أنْ يحفظ عن ظهر قلب - تصبح التلاوة ذات فائدةٍ لاتقدّر، وذلك لإمكانيات التحقيق العديدة التي تعطيها ساعة التثبيت النهائي للنصّ»[1].

(١) انظر كتابه: دراسة الكتب المقدسة ص ١٥١-١٥٢.

الشبهة السابعة

(تغيير عمر وعثمان للآيات التي تنصّ على خلافة عليّ)[1]

من الشُّبَه التي يلقيها المنصّرون قولهم: إنّ فريقًا من الشيعة يعتقدون بتغيير عمر وعثمان رضي الله عنهما لجملة من الآيات القرآنية التي تنصّ على خلافة عليّ، وعلى وجوب حصر الخلافة في ذريته رضي الله عنهم.

ويجاب عن هذه الشبهة فيقال: إنّ القرآن الكريم قد تواتر نصّه في عهد النبي ﷺ، وانتشر حفّاظه في البلاد قبْل وفاته، ومايوجد بين الدفتين الآن هو المنقول إلينا تواتراً جيلاً بعد جيل بالحفظ الكامل عن ظهر قلب في الصدور، والضبط التام بالكتابة في السطور، حتى إنّه يستحيل زيادة حرف واحد فيه أو نقصه منه، وصغار الصبيان يردّون كبار العلماء إذا أخطأوا في قراءته؛ لأن كلماته لم تغيّر ولم تبدّل، فلاتحريف فيه أصلاً، وإنه الآن على مانزل أوّلاً، ولنا على ذلك دليلان نقلي وعقلي:

فالنقلي: قوله تعالى ﴿**لاتبديل لكلمات الله**﴾[2]، وقوله تعالى في وصف القرآن ﴿**وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطلُ من بيْن يديه ولا مِن خَلْفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد**﴾[3]، ولو أنّ القرآنَ غُيّرت ألفاظُه وبُدّلتْ لكان الباطلُ قد أتاه من جميعِ جهاته، وتحقّق كذبُ خبرٍ واجب الصدق عقلاً وسمعًا، وهو محال، ومثْل الآيتين في المعنى غيرهما آيات أخرى في القرآن الكريم.

والعقلي: أنّا قد علمْنا عجز بلغاء العرب عن إنشاء كلامٍ يشبه القرآن في نظْمه وأسلوبه ويشتمل على معنى معتدٍّ به مع بذل جهدهم في ذلك، وتوفّر

(١) الجزيري: أدلّة اليقين ص ٨٣.

(٢) سورة يونس آية ٦٤.

(٣) سورة فصلت آية ٤٢.

دواعيهم عليه، وذلك يقضي بعدم قدرتهم على ذلك، وأصحاب النبي ﷺ ليسوا بأبلغ منهم، فلو غيّر أحدٌ منهم ألفاظ القرآن لتغيّر أسلوبه ونظمه بذلك، وقد قال الله تعالى ﴿إنّا نحن نزلنا الذكْر وإنّا له لحافظون﴾(١) أي إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، فالقرآن عندنا هو ما بين الدفتين، وهو بالإجماع كما أنزله الله على نبيّه، لم يُزدْ فيه شيء ولم يُنقص منه(٢).

فإذا كان عمر وعثمان قد غيّرا كتاب الله ومنع الخوفُ عليّاً أنْ يُظهر ذلك في حياتهما، فلماذا لم يظهره أثناء خلافته؟! وكانت مدة خلافته كافية لأنْ يعيد كتابة القرآن وإظهار المبدل والمحذوف مهما كان كثيراً.

ثم كيف يتصور عاقل لبيب أنّ عثمان رضي الله عنه أسقط الآيات الواردة في شأن عليّ رضي الله عنه مع كونها معروفة بين الصحابة؟! ولماذا لم ينكر عليه في إسقاطها أحد منهم حتى أمير المؤمنين عليّ وخواص الصحابة مثل سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وخزيمة وحذيفة وأضرابهم مع إنكار الناس عليه فيما هو أدنى من هذا؟!(٣).

وقد أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف بإسناد حسن عن عبد خير قال: «سمعت عليّاً يقول: أعظم الناس في المصاحف أجْراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أوّل من جمع كتاب الله»(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«فلمّا كان العام الذي قُبض فيه (يعني النبي ﷺ) عارضه (يعني جبريل عليه السلام) به مرتين، والعرضة الأخيرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) انظر كتاب: لسان الصدق جوابًا لميزان الحق ص ٨٨-٩٤.

(٣) المرجع السابق ص ٩٤-٩٥.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر ٩/١٢ كتاب فضائل القرآن، باب ٣ جمع القرآن، وانظر أقوال عليّ وذريته في مدح أبي بكر وعمر وعثمان في كتاب إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ٩٣٧ - ٩٤٠.

التي أمر الخلفاءُ الراشدون - أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ - بكتابتها في المصاحف، وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف، أمر زيدَ بن ثابت بكتابتها، ثم أمر عثمانُ في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار، وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة عليّ وغيره»[1].

وفي هذا الزمان كثرت المطابع وكثر أعداء هذا القرآن، وباستطاعتهم أن يطبعوا ملايين المصاحف، ومع ذلك فإذا وُجدت غلطة واحدة في الشكل تقوم قيامة الحفّاظ من أجْلها، ولا يهدأ لهم بال حتى تُجمع هذه المصاحف وتُعدم، فما ظنّك بحرفٍ أو كلمةٍ أو آيةٍ زيادة أو نقصًا ؟!

وكان الحال على هذا في كل أجيال المسلمين. وما أظنّ جراءة المنصّرين على القول بالزيادة والنقص في القرآن الكريم إلاّ لظنهم أنّ قراءته كانت حكْراً على نفر يسير من الصحابة - كما هو حال الإنجيل عند طوائفهم القديمة حيث سهل تغييره وتبديله، لكنّ الطريقة التي تمّ بها جمعُ القرآن وتدوينه تبطل هذا الظنّ، وتفيد اليقين التامّ في عدم نقص حرف واحد منه أو زيادته فيه، ولو أنّ عمر وعثمان فكّرا بذلك - حاشا لله - لوجدا آلاف المسلمين من الكتبة وعشرات الآلاف من حفّاظ القرآن الكريم يظهرون المغيَّر والمحذوف، وعلى فرض أنّ جميع الشيعة يقولون بهذا فلا مستمسك فيه للمنصّرين، إذْ يُجاب على ذلك فيقال[2]:

ذكر المؤرخ موشيم في المجلد الأول من تاريخه أنّ الفرقة الأبيونية التي ظهرت في القرن الأول، كانت تعتقد أنّ عيسى عليه السلام إنسان متولّد من مريم ويوسف النجار مثل سائر الناس، وأنّ العمل بالتوراة واجب على النصارى، وهو ضروري للنجاة، وقد ذمّت هذه الفرقة بولس وحقرته لإنكاره وجوب العمل بالتوراة لغير اليهود، فخاصمها مخاصمة شديدة.

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ط١، دار العربية - بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٣/٣٩٥.

(٢) انظر الأقوال الآتية في كتاب إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص٩٢٥-٩٢٨.

وذكر لاردنر في الصفحة ٣٧٦ من المجلد الثاني من تفسيره أنّ هذه الفرقة كانت تردّ رسائل بولس.

وذكر بِلْ في تاريخه أنّها ما كانت تسلّم من كتب العهد القديم غير التوراة، ولا تسلِّم من كتب العهد الجديد غير إنجيل متّى، لكنها حرّفته وأخرجت منه الإصحاحَيْن الأوّلَيْن.

كما ذكر بِلْ عن الفرقة المارسيونية أنّها كانت تعتقد بإله للخير وإله للشرّ، وأنّ كتب العهد العتيق من عند إله الشرّ، وأنّ هذه الكتب مخالفة لكتب العهد الجديد، وكانت تعتقد أنّ عيسى نزل إلى الجحيم وأنقذ الأرواح الشريرة مثل أرواح أهل سدوم، وأبقى أرواح الأنبياء والصالحين، وأنّ هذه الفرقة ما كانت تسلّم من كتب العهد الجديد غير إنجيل لوقا بعد أنْ حذفت منه الإصحاحين الأوّلَيْن، وسلّمت بعشر رسائل من رسائل بولس.

وذكر أكستاين أنّ فرقة ماني كيز كانت تعتقد أنّ الذي أعطى التوراة لموسى وبعث أنبياء بني إسرائيل ليس بإله لكنّه شيطان، وأنّها تقرّ بوقوع الإلحاق في أسفار العهد الجديد فتأخذ منها أو تترك على هواها، وترجّح الكتب الكاذبة على غيرها، ولاتسلّم بأسفار العهد العتيق، ومثل ذلك قال عنها لاردنر.

وبناء على أقوال هذه الفرق الثلاث نسأل المنصّرين فنقول: هل تتمّ أقوال هذه الفِرق على سائر النصارى أم لا؟

فإنْ كانت تتمّ عليهم فيلزمهم جميعًا الاعتقاد بأقوال هذه الفرق المخالفة لهم، وإنْ كانت لاتتمّ عليهم فيلزمهم عدم الالتفات إلى طعن بعض الشيعة وأقوالهم الشاذة بخصوص القرآن الكريم والصحابة كما لايلتفتون إلى طعن هذه الفرق في كتبهم، علمًا أنّ طعن بعض الشيعة معارَض بنص آيات القرآن الكَريم، وبنفس أقوال عليّ وذريته الثابتة عنهم رضي الله عنهم.

الشبهة الثامنة

(شبهة الأخطاء النحوية والبيانية)[1]

يزعم المنصّرون أنّ في القرآن أغلاطًا نحوية وبيانية لو وردت في غير القرآن من الكتب لعدّها العلماء أغلاطًا لا محالة. وفيما يلي بعض هذه المزاعم:

١- قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٩٦ ﴿**تلك عشَرة كاملة**﴾، والصواب: تلك عشْرٌ كاملة.

٢- قوله تعالى في سورة الأعراف آية ١٦٠ ﴿**اثنتَيْ عشْرةَ أسباطًا**﴾، والصواب: التذكير في الأول والإفراد في الثاني، أي: اثنيْ عشَرَ سِبْطًا.

٣- قوله تعالى في سورة النساء آية ١٦٢ ﴿**والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة**﴾، والصواب: والمقيمون الصلاة.

٤- قوله تعالى في سورة المائدة آية ٦٩ ﴿**والصابئون والنصارى**﴾، والصواب: والصابئين.

٥- قوله تعالى في سورة المنافقون آية ١٠ ﴿**وأكنْ من الصالحين**﴾، والصواب: وأكونَ، بالنصب.

٦- قوله تعالى في سورة آل عمران آية ٥٩ ﴿**ثم قال له كن فيكون**﴾، والصواب: فكان.

٧- قوله تعالى في سورة الصافات آية ١٣٠ ﴿**سلامٌ على إلْياسين**﴾، والصواب: إلياس.

٨ - قوله تعالى في سورة التين آية ٢ ﴿**وطور سينين**﴾ والصواب: سيناء.

---

(١) الجزيري: أدلة اليقين ص ٤٧٥-٤٨٣ نقلاً عن ميزان الحق لفندر ص ٣٥٨.

٩- قوله تعالى في سورة الحج آية ١٩ ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾، والصواب: اختصما في ربهما.

١٠- قوله تعالى في سورة الحجرات آية ٩ ﴿**وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾، والصواب: اقتتلتا. أو: بينهم.

١١- قوله تعالى في سورة الأنبياء آية ٣ ﴿**وأسرّوا النجوى الذين ظَلموا**﴾، والصواب: وأسرّ النجوى.

وقد أيّد المنصّرون القسيسَ فندر في هذه الشبهة، ظانّين أنّهم ينالون بذلك من قدسية القرآن الكريم.

والطلاب الصغار يسْخرون من هذه الشُّبْهة ويردّون عليها، ولمْ أُوردْها إلاّ لبيان أقصى ما عند المنصّرين من شُبَه حول القرآن الكريم، ولبيان جهلهم باللغة العربية وعلومها، وأنّ مَن كان كذلك لايحقّ له إصدار الحكْم على كتاب ربّ العالمين، ولكنّ فندر يحاول إيهام العوام والمبتدئين بإظهار أنّه يعرف اللغةَ العربية وعلومَ النحو والصرف وقواعدَ التفسير؛ ليتوصلَ بذلك إلى تغليط المفسّرين المسلمين، ولينصّبَ من نفسه حَكَمًا على القرآن الكريم.

وقد عاب فندرُ على مَن يبادر بالترجمة والتفسير بمجرّد معرفة اللسان، وذكر أنّه لابدّ للمفسّر من الوقوف على مطْلب الكتاب وصفات مصنّفه وحالات أيّامه وعادات قومه، كما أنّ على المفسّر معرفة تسلسل المطالب لكي لايُفسد علاقة الأقوال اللاحقة بالسابقة، ثم زعم أنّ مَنْ سلك مسلك الإنصاف وتجنّب الاعتساف علَمَ أنّ أقوال فندر في القرآن الكريم هي الصحيحة لا مايفسّره ويقوله علماء المسلمين[(١)].

ولو طبّقْنا هذه القواعد على فندر نفسه لَعلمنا أنّه كان جاهلاً جهلاً تامّاً بالعلوم العربية وعلوم التفسير، وأنّه بمجرد معرفته البسيطة باللسان العربي

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الثالث من ميزان الحق ص ٢٣٧-٢٣٨.

بادر بالتفسير والحُكْم على القرآن الكريم من الناحية النحوية والبيانية، والدليل على هذا مايلي:

(أ) أنّ هذا القسيس بدأ الجلسة الثانية للمناظرة مع الشيخ رحمت الله بقراءة آيات من القرآن الكريم كانت مكتوبة بخطّ كبير ومشكولة، ومع ذلك كان يخطئ في ألفاظ هذه الآيات حتى غضب المسلمون جميعًا، وقام القاضي محمد أسد الله فطلب من فندر الاكتفاء بذكْر المعنى دون القراءة المبدِّلة للّفظ والمعنى، فقال له فندر:

«سامحونا فهذا من قصور لساننا»[1].

فإذا كانت هذه حال معرفته باللسان العربي فكيف ينصّب من نفسه حَكَمًا على القرآن الكريم؟! وكيف يزعم أنّ التفسير الصحيح لآيات القرآن مايقوله هو لا مايقوله علماء المسلمين؟!

(ب) أنّ هذا القسيس كتب في آخر كتابه ميزان الحق في نسختيه الفارسية والأردية هذه العبارة بالعربية:

«تمّتْ هذه الرسالة في سنة ثمانية ماية ثلاثون والثلاث بعد الألف مسيحي وبالمطابق مايتان وأربعين ثمانية بعد الألف هجري»[2].

كما كتب في آخر كتابه مفتاح الأسرار في النسخة الفارسية هذه العبارة بالعربية:

«تمّتْ هذه الأوراق في سنة ثمانية ماية وثلاثون السابعة بعد الألف مسيحي وفي سنة مايتان اثنا وخمسين بعد الألف من هجرة المحمدية»[3].

فهل يصحّ لمن هذه حال عربيته أنْ يتشدق بزعم وقوع الغلط في القرآن الكريم؟!

(١) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ٨٦، الشاهد الأول.

(٢) (٣) المرجع السابق، ط١، ص ٨٧، الشاهد الثاني.

ولابدّ من الجواب على ماأورده ضمن هذه الشُّبهة فيقال:

١- في النقطة الأولى المعدود هو الأيام، وهي جمع يوم، واليوم مذكر.

٢- وفي النقطة الثانية لأنّ تميز ﴿اثنتي عشرة﴾ ليس هو ﴿أسباطًا﴾، بل هو مفهوم من قوله تعالى ﴿وقطعناهم﴾، والمعنى اثنتي عشرة قطعة أي فرقة، وهذا التركيب في الذروة العليا من البلاغة، حيث حذف التمييز لدلالة قوله ﴿وقطعناهم﴾ عليه، وذكر وصْفًا ملازمًا لفِرق بني إسرائيل وهم الأسباط بدلاً من التمييز.

وعند القرطبي أنّه لـمّا جاء بعد السبط ﴿أممًا﴾ ذهب التأنيث إلى الأمم، وكلمة ﴿أسباطًا﴾ بدل من ﴿اثنتي عشرة﴾، وكلمة ﴿أمَمًا﴾ نعت للأسباط[(١)].

وأسباط يعقوب مَن تناسلوا من أبنائه، ولو جعل الأسباط تمييزاً فقال: اثني عشر سبطًا، لكان الكلام ناقصًا لايصحّ في كتاب بليغ؛ لأنّ السّبْط يصْدق على الواحد، فيكون أسباط يعقوب اثنيْ عشر رجلاً فقط، ولهذا جمع الأسباط وقال بعدها ﴿أممًا﴾؛ لأنّ الأُمّة هي الجماعة الكثيرة، وقد كانت كل فرقة من أسباط يعقوب جماعة كبيرة.

٣- وفي النقطة الثالثة قال: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ أيْ وأمدحُ المقيمين الصلاة، وفي هذا مزيد العناية بهم، فالكلمة منصوبة على المدح[(٢)].

٤- وفي النقطة الرابعة لفظ إنّ ينصب المبتدأ لفظًا ويبقى مرفوعًا محلاً، فيصحّ لغةً أنْ تكون ﴿الصابئون﴾ معطوفة على محل اسم إنّ سواء كان ذلك قبْل مجيء الخبر أو بعده، أو هي معطوفة على المضمر في ﴿هادوا﴾[(٣)].

٥- وفي النقطة الخامسة يقال: إنّ الكلمة ﴿وأكن﴾ تقرأ بالنصب والجزم، أمّا النصب فظاهر؛ لأنّها معطوفة على ﴿فأصدّقَ﴾ المنصوب لفظًا في جواب

---

(١) انظر: تفسير القرطبي م٤ ج٧ ص ٣٠٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبي م٣ ج٦ ص١٣.

(٣) ذكر القرطبي في رفعها عدة وجوه، انظر تفسيره م٣ ج٦ ص ٢٤٦.

﴿لولا﴾، وأمّا الجزم فلأنّ كلمة ﴿فأصدّق﴾ وإنْ كانت منصوبة لفظًا لكنها مجزومة محلاً بشرط مفهوم من قوله ﴿لولا أخّرتني﴾، حيث إنّ قوله ﴿فأصدّق﴾ مترتب على قوله ﴿أخّرتني﴾، فكأنّه قال: إنْ أخّرتني أُصدّقْ وأكنْ.

وقد وضع العلماء قاعدة فقالوا: إنّ العطف على المحل المجزوم بالشرط المفهوم مما قبْله جائز عند العرب، ولو لم تكن الفاءُ لكانت كلمة أُصدّقْ مجزومة، فجاز العطف على موضع الفاء[1].

٦- وفي النقطة السادسة قال ﴿فيكون﴾ للإشارة إلى أنّ قدْرَةَ الله على إيجاد شيءٍ ممكن وإعدامه لم تَنْقَضِ، بل هي مستمرة في الحال والاستقبال في كل زمان ومكان، فالذي خَلق آدمَ من تراب فقال له ﴿كن﴾ فكان، قادر على خلْق غيره في الحال والاستقبال ﴿فيكون﴾ بقوله تعالى ﴿كن﴾.

وقد نقل المنصّرون هذا من كتب التفسير: أي إنّ المعنى: فكان، فظنوا لجهلهم بفنّ التفسير أنّ قول المفسرين بذلك لتصحيح خطأ وقع في القرآن، وأنّ الصواب: فكان، بصيغة الماضي.

قال القرطبي: «فكان. والمستقبل يكون في موضع الماضي إذا عرف المعنى»[2].

٧ و٨- وفي النقطتين السابعة والثامنة يعدّ المنصّرون ذلك من الأخطاء الواقعة لمراعاة الرويّ، فيقال لهم: إنّ اسم إلياس معرّب عن العبرية، فيصحّ لفظه إلياس وإلياسين، ولايُعترَض على أهل اللغة بما اصطلحوا على النطق به بوجه أو بأكثر[3].

وكذلك لفظ سِيناء يُنطق سِينِين وسَيْنين وسَيْناء بفتح السين وكسرها

(١) انظر: تفسير القرطبي م٩ ج١٨ ص١٣١.
(٢) انظر: تفسير القرطبي م٢ ج٤ ص١٠٣.
(٣) المرجع السابق م٨ ج١٥ ص١١٨.

فيهما[1].

٩و١٠- وفي النقطتين التاسعة والعاشرة يعدّ المنصّرون ذلك من الأخطاء الواقعة في الضمائر، فيقال لهم: قوله ﴿**خصمان**﴾ لأنّ الخصام جرى بين فريقين، وقوله ﴿**اختصموا**﴾ للدلالة على أنّ كُلاً من الخصمين جماعة كبيرة، ولو قال اختصما لدلّ على التثنية الحقيقية، والضمير قد يُلاحَظ فيه لفظه أو معناه، ومثله قوله تعالى ﴿**وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾[2].

١١- وفي النقطة الحادية عشرة يقال: إنّ التركيب مطابق لقواعد اللغة العربية باتفاق علماء اللغة وإن اختلفوا في الفاعل الذي أُسند إليه الفعل، والجمهور على أنّه مسنَد للضمير، والاسم الظاهر بدل منه[3].

قال الشيخ عبدالرحمن الجزيري رحمه الله تعالى:

«ومنه يتّضح للقراء صدْق ماذكرناه غير مرّة من جُرأة هؤلاء الناس على الحقائق العلمية، ونزولهم إلى ميادين المناظرات وهم عزل من كلّ سلاح، مجرّدون من كلّ دليل، لا هَمّ لهم إلاّ التهويش والتضليل، ظنّاً منهم أنّ ذلك يؤثّر على نفوس الضِّعاف فيقعون في حبائلهم التي يصطادون بها الجهلة والأحداث»[4].

وخلاصة القول في الردّ على شبهة الأخطاء النحوية والبيانية في القرآن الكريم أنّه يكفي لبيان بطلانها الرجوع إلى كتب اللغة والنحو والبلاغة، فيتضح أنّ مازعموه أخطاءً هو موافق لنسق اللسان العربي وليس مخالفًا له، ولو كان مثل ذلك يُعَدّ خطأً لَسَبَقَهم العرب المشركون وأهل الكتاب إلى إظهاره والتمسك به، وكانت دواعيهم لذلك متوفرة، ولكن الذي حصل أنهم اعترفوا بإعجازه، وخضعوا لفصاحته وبلاغته.

(١) انظر: تفسير القرطبي م ١٠ ج ٢٠ ص١١٢-١١٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبي م٦ ج١٢ ص٢٦، وم٨ ج١٦ ص٣١٦.

(٣) المرجع السابق م٦ ج١١ ص٢٦٨.

(٤) انظر كتابه: أدلة اليقين ص ٤٨٤.

الشبهة التاسعة

(شبهة الأخطاء التاريخية)[1]

أورَد المنصّرون شُبْهةً زعموا فيها أنّ في القرآن أخطاء تاريخية، ولايملك الدارسُ لهذه الشُّبهةِ إلاّ أنْ يضحك عَجَبًا من سفاهتهم وجرأتهم على الله وكتابه الكريم، في الوقت الذي اعترف كبار محققيهم بوجود أخطاء تاريخية وعلْمية فاحشة جداً في كتب العهدين.

وقد رأيتُ أنْ أُورِدَ هذه الشُّبْهة حتى لايَظنّ ظانٌّ أنني أخفيتُ شيئًا ممايتعلق به وهْمُ المنصّرين.

١- زعم مؤلّف ميزان الحقّ في الصفحة ٣٨٤ أنّ عاداً وثمودَ ليسوا من قبائل العرب، ولم يَرِد ذكرهما إلاّ في كتب اليونان، وأنّ هوداً وصالحًا وشعيبًا من المحتمل أنْ يكونوا منصّرين مسيحيين من بلاد العرب كانوا يكْرِزون[2] بالإنجيل؛ لأنّ التوراة لم تذكر شيئًا عن عاد وثمود.

ويقال في جواب هذا الكلام: إنّه لا مانع أنْ تكون قد وردت أخبار في وثائق تاريخية يونانية تؤيّد ما ورد في القرآن الكريم عن عاد وثمود؛ لأنّ ذكرهما شاع بين العرب وغيرهم، ومحمد ﷺ لم يعرف اللغة اليونانية، ولانقل أحد له ذلك من كتبهم، وذكْر الحقائق التاريخية ليس محجوراً على كتاب بعينه أو قوم بعينهم، ولايقول أحدٌ: إنّ التوراة مشتملة على كل أخبار العالَم.

وقد كانت مساكن عاد في الأحقاف مابين عُمان وحضرموت، وكانت مساكن ثمود في الحِجْر مابين الحجاز والشام، وهما من قبائل العرب، ويرجع نسبهما إلى سام بن نوح، وكان العرب يعرفون عن هود وصالح وقومهما، وقد حذّرهم

---

(١) الجزيري: أدلة اليقين ص٤٨٥-٥١٢.

(٢) يكْرزون: يبشّرون بالإنجيل وينشرونه.

القرآن الكريم[١] أنْ يصيبهم مثلُ ما أصاب قومَ هود أو قومَ صالح، ولو كان العرب لايعرفون عاداً وثمودَ لَمَا تردّدوا في إنكار الاحتجاج عليهم بما لايعرفون، ولقالوا: إنّه لا ذِكْر لهود وصالح وقومهما بين قبائل العرب.

٢- زعم فندر في الصفحة ٣٨٥ من ميزان الحق أنّ قصة إلقاء إبراهيم في النار وخروجه منها سالمًا هي خرافة يهودية لم يَردْ ذكرها في التوراة، وقد سمّى القرآنُ أبا إبراهيم آزر واسمه في التوراة تارَح.

فنسأل المنصرين السؤالين التاليين:

كيف تكذّبون محاولة إحراقِ إبراهيم الإنسان في النار وتصدّقون بصَلْب الإله ودخوله لجّات الجحيم؟!

وكيف تؤمنون بوقوع المعجزات لبعض أتباع المسيح ولاتؤمنون بقدرة الله على إنقاذ خليله ورسوله من النار؟!

وبما أنّ القرآن الكريم كتاب مستقل عن التوراة، فلا يضره انفراده بقصة إحراق إبراهيم في النار، ولايصحّ تمسك المنصرين بعدم وجود هذه القصة في التوراة؛ لاحتمال أنّها كانت فيها لكن أيدي العابثين حذفتها لظنّهم أنها خرافة كما يزعم المنصّرون، ولايُشترط أنْ يكون الكتاب السابق مشتملاً على كل الأخبار والقصص المذكورة في الكتاب اللاحق.

وأمّا بالنسبة لاسْم والد إبراهيم فقد ذكر القرطبي[٢] وغيره من المفسّرين أكثر من عشرة أقوال في اسم آزر أشهرها أنّ والد إبراهيم له اسمان: آزر وتارَح، مثل إسرائيل ويعقوب.

ولايخفى أنّ أقوال المفسّرين إنما هي للتوفيق بين رواية التوراة ورواية القرآن بافتراض صحّة ماورد في التوراة، والواقع أنه لايصح التعويل على التوراة في

(١) قال تعالى في سورة فصلت آية ١٣ ﴿فإنْ أعرضوا فقلْ أنذرتُكم صاعقة مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمود﴾.

(٢) انظر: تفسير القرطبي م٤ ج٧ ص٢٢-٢٣ تفسير آية ٧٤ من سورة الأنعام، وتفسير البيضاوي ص ١٨٠.

ذلك، وبخاصة إذا خالفت القرآن والسنّة، فقد ورد فيهما التصريح باسْم آزر[١]، وذكر المؤرخ يوسيفوس أنّ اسم والد إبراهيم (آثر)، وهو قريب جداً من آزر، وبعيد جداً من تارح.

٣- ومن مزاعم المنصّرين ماردّده أسلافُهم القدماء أنّ القرآن لم يفرّق بين مريم ابنة عمران أخت هارون وموسى، ومريم ابنة عمران أم عيسى، وبينهما أكثر من ألف وثلاث مئة سنة.

وترديد المنصّرين لهذه الشبهة دليل على شدّة جهلهم وقلّة علْمهم، وإلاّ فكيف يظنّ بالقرآن الكريم الذي كان مثلاً أعلى في الدقّة العلْمية والتاريخية أنْ لايفرّق بينهما وهو الذي أظهر كلّ مافي التوراة من الأغلاط التاريخية؟!

ولم يَفتْ نصارى نجران الاستفسار عن ذلك، لكنهم كانوا أعقل من منصّري اليوم، فعن المغيرة بن شعبة قال:

«لمّا قدمتُ نجرانَ سألوني فقالوا: إنكم تقرأون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذاَ وكذا، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ سألتُه عن ذلك فقال: إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبْلَهم»[٢].

وقد ذكر القرطبي أنّ للمفسرين أقوالاً في ذلك أشهرها[٣]:

(أ) أنّها مثْل هارون عليه السلام في العبادة فنُسِبتْ إلى أخوّته؛ لأنّ كليْهما من خَدَمة التوراة وحماتها.

(ب) أنّها كانت من نسل هارون عليه السلام فنُسِبتْ إليه، كما تقول للعربي: يا أخا العرب، وللتميمي: يا أخا تميم.

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٤، وانظر فتح الباري ٣٨٧/٦ حديث رقم ٣٣٥٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١٦٨٥/٤ كتاب الآداب رقم ٢١٣٥ باب بيان مايستحبّ من الأسماء.

(٣) انظر: تفسير القرطبي م٦ ج١١ ص١٠٠-١٠١ عند تفسير آية ٢٨ من سورة مريم، والجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦٩/١.

(جـ) أنّ هارون رجل صالح من قومها ومنقطع للعبادة مثْلها فنُسِبتْ إلى أخوّته؛ لأنّها على طريقته في الصّلاح.

والمعنى أنهم عنّفوها وقالوا لها: أنتِ يا مَنْ تتظاهرين بالعبادة والغَيْرة على الدّين حتى ظن الناسُ أنّكِ مثْل هارون.

وهذا ماتؤيّده اللغةُ العربية، فقد تستعمل كلمة الأخ في أُخوّة الإيمان، كما تستعمل في الصاحب والنظير.

٤- ومن مزاعم المنصرين المفضوحة قولهم: إنّ القرآن الكريم ذكر أنّ الذي صنع العجْل لبني إسرائيل هو السامريّ، وهذا في ظنّهم خطأ تاريخي واضح؛ لأنّ مدينة السامرة المنسوب إليها السامريّ لم تكن موجودة آنذاك، بل هي بعد موسى بمئات السنين.

وهذا الوهم قائم على أساس أنّ اسم السامريّ لم يكن معروفًا إلاّ بعد بناء مدينة السامرة، وأنّه منسوب إليها.

والواقع أنّ اسم سامر كان معروفًا قبل بناء مدينة السامرة، وقد اشترى عُمْرِي أحدُ ملوك بني إسرائيل مكان هذه المدينة بوزنتين من الفضة من شخص اسمه سامر، ولم يكن اسمها معروفًا، وبعد بناء هذه المدينة سمّاها الملك: السامرة، باسْم من اشتراها منه، ثم جعلها عاصمة مملكة إسرائيل(١).

وبهذا تكون الياء في كلمة (السامريّ) من أصل الكلمة ومُلْحَقة بها؛ لأنّ نقْل الأسماء من لغة إلى لغة أخرى لايسْلَم من مثل هذا التصرف، فالسامرة منسوبة لسامر وليس العكس، ولايصحّ للمنصرين أنْ يقولوا: إنّ هذا الاسم لم يُعرَف إلاّ بعد بناء مدينة السامرة، ولا أنْ يقولوا: إنّه منسوب إليها.

ولعلّ الذي دعاهم لهذا التأويل الفاضح إصرارهم على صدْق ما في التوراة

(١) انظر: سفر الملوك الأول ١٦/٢٣-٢٤ و٢٨ - ٢٩.

من أنّ الذي ارتدّ وصنع العـجْلَ لبني إسـرائيل وعـبَدَه مـعـهـم هو هارون[١] عليـه السلام.

وبهـذا يظهـر لنا أنّ المنصّرين قـد نـثـروا كنانتـهـم، وأخـرجـوا كـامل مـا في جعبتهم، فلم يقفْ شيء منها أمام النقد العلمي الصحيح.

وقد بيّن د. موريس بوكاي أنّ في التوراة والأناجيل أخطاءً تاريخية، وكذلك في سلاسل الأنساب، ثم قال:

«ولايجـدُ قـارئُ القـرآنِ أخطاء في الأسـمـاء كـتلك التي يجـدها في الأناجيل»[٢].

وقـارَن د. موريس بوكـاي بين روايتيْ قـصـة الطوفـان في القـرآن وفي التـوراة، وبين معطيات العلم الحديث، وخرج بنتيجة هي:

عدم اتفـاق رواية التـوراة في تقديمهـا للطوفـان بزمنه ومدته مع مكتـسـبات المعرفـة الحديثـة، بينمـا رواية القرآن الكريم شاملة، وتخلو من أيّ عنصـر مـثـير للنقد الموضوعي.

وهذه النتيجة جعلتْه يقطع بحدوث التعديلات على الكتب المقدسة، وبسلامة القرآن من هذه التـعديلات، وجَعَلَ ذلك استدلالاً عقليّاً على صحّة القرآن الكريم وأنّه كلام الله، حيث إنّه لم يأتِ كتـابٌ بعد التـوراة إلى عصر نزول القـرآن يُلقي النورَ التـامّ على قـصـة الطوفـان، والعـواملُ الإنـسـانيـة لاتسـتطيعُ إزالـة التـناقـض الوارد في التـوراة بشأن هذه القـصـة، فـدلّ ذلك على أنّ القـرآن الكريم وحْيٌ منزّل من عند الله جاء بعد التـوراة فـصـحّح الأخطاءَ الواردةَ فـيـهـا بشـأن رواية قـصـة الطوفان وغيرها[٣].

(١) انظر: سفر الخروج ٣٢/١-٦.

(٢) انظر كتابه: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٤٢.

(٣) انظر كلامه على قصة الطوفان في كتابه: دراسة الكتب المقدسة ص٢٤٤-٢٤٨.

وبمثل هذا الاستدلال استدلّ باختلاط أخبار قصة فرعون وخروج موسى في التوراة على حصول التعديل فيها، واستدلّ باتفاق أخبار هذه القصة في القرآن وبالمقارنة مع معطيات العلم الحديث على صدْق كون القرآن من عند الله، حيث إنّه في عصر محمد ﷺ كان كل شيء عن هذا الأمر مجهولاً، فالنصوص الواردة في التوراة بخصوص فرعون وخروج موسى لاتتفق مع التاريخ، وتواريخها غلط بحيث لاتنطبق على فرعون موسى، وأيدتْ الاكتشافاتُ الحديثةُ وجودَ الأخطاء الاسمية والتاريخية في التوراة، ولم يعطِ صورة صحيحة لذلك إلاّ القرآنُ الكريمُ؛ حيث إنّ ما جاء فيه يوافق المكتشفات الحديثة والتاريخ القديم[1].

وقد ركّز د. بوكاي على هذه النتيجة في خاتمة كتابه فقال :

«إنّ مقارنة عديدٍ من روايات التوراة مع رواية نفس الموضوعات في القرآن تُبْرزُ الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علميّاً، وبين مقولات القرآن التي تتوافق تمامًا مع المعطيات الحديثة، ولقد رأينا دليلاً على هذا من خلال روايتيْ الخَلْق والطوفان»[2].

فهل بقي بعد شهادة كبار العلماء المحققين - وهذا أحدهم - حجة لطاعن في القرآن بزعم وجود الأخطاء التاريخية فيه؟!

لاشكّ أنّ الأجدر بمن يتجه للطعن في القرآن أنْ يترك التعصب، ويطعن في كتب العهدين المملوءة بالأخطاء والتناقضات العلمية والتاريخية والدينية.

(١) انظر كلامه على قصة فرعون وخروج موسى في كتابه: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٤٩-٢٧١.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٦.

الشبهة العاشرة

(شبهة الأخْذِ عن أهل الكتاب)

هذه الشُّبهة هي أقدمُ الشُّبَه وأساسُها، وقد ركّز القرآنُ الكريمُ على نفيها وإبطالها؛ لأنّها الشُّبهة التي اشترك مشركو العرب مع أهل الكتاب في عصر النبوة في ترديدها دون سأم أو ملل، وقد اعتمد عليها المنصّرون والمستشرقون للطعن في القرآن الكريم.

تقول هذه الشُّبْهة: إنّ رجلاً أعجميّاً له علْم بالكتب السابقة هو الذي كان يعلّم محمداً القرآن.

وأمّا صياغة هذه الشُّبهة في قالبها الحديث فله شكلٌ آخر، حيث يزعم المنصّرون أنّ محمداً ﷺ رحل في طلب العلم، وكان مِن جملة مَن تلقى العلم عنهم: ورقة ابن نوفل وسلمان الفارسي وبحيرى الراهب.

ويضيف القسيس فندر أساتذة جدداً تمّ تعيينهم من خياله وعلى حسب هواه وهم: مارية القبطية، وعبدالله بن سلام، وزيد بن حارثة الذي هو بزعم فندر مبشر نصراني من سوريا[1].

وأما المنصّر يوسف الحداد فقد قسم القرآن إلى ثلاثة أقسام:[2]

القسم الأول منه: كان إنجيليّاً توراتيّاً في مواضيعه ومصادره وقصصه وجدله، وكان محمد ﷺ يستشهد على صدق ما جاء به بأهل الكتاب وكتبهم.

والقسم الثاني هو: الذي حصل فيه التردّد والاستطلاع.

والقسم الثالث هو: الذي كان بعد الهجرة إلى المدينة، حيث استقل محمد ﷺ

(١) الجزيري: أدلة اليقين ص ٣٤٥-٣٤٨، والبحراني: لسان الصدق ص ٢٧٤.

(٢) دروزه: القرآن والمبشرون ص ٩٤-٩٥ و١٤٢-١٤٣.

عن أهل الكتاب، وأخذ يحاربهم ويطلب منهم الدخول في دينه أو دفع الجزية.

والمعنى أنّ محمداً ﷺ تتلمذ على أهل الكتاب بادئ الأمر وكان معهم في مكة، لكن السياسة أغرتْه بالانفصال عنهم في المدينة.

ولابدّ من الردّ على هذه الشبهة ردّاً إجماليّاً وتفصيليّاً:

أما الردّ الإجمالي فهو ماذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أنّه يمكن الاستدلال بخمسة أوجه عقلية[1] تفيد أنّ محمداً ﷺ لم يتعلّم من بَشَرٍ شيئًا من العلم، وألخّصها فيمايلي:

١- أنّ أعداءه من قومه كانوا أحرص الناس على إبطال أمره مع كمال علْمهم واطّلاعهم على حاله، فيمتنع في العقول لو علموا تعلّمه من بَشَر أنْ لايقدحوا فيه، ولو قدحوا فيه يمتنع أنْ لايظهر ذلك.

٢- تواترت الأخبارُ عن قومه بقولهم إنّه لم يكن يجتمع به من يعلّمه ذلك.

٣- لو كان علْمه مسنداً لأهل الكتاب لنقلوا ذلك وأظهروه؛ لتوفّر هممهم على ذلك وشدة عداوتهم له، ويمتنع تواطؤهم على كتمانه.

٤- أنّه حيث بُعث كان الناسُ إما مشركين أو كتابيين، وليس أحد منهم على دينه، وقد دعاهم لدينه فعادوه وكذبوه، فلو كانوا يعرفون مما في القرآن شيئًا أو يعْلمون أنّه تعلّم من غيره لأظهروا ذلك واحتجّوا به ضدّه.

٥- أنّ التعلّم إنْ خفي على عامة الناس فلن يخفى على خواصّه المقربين منه، ولابدّ أنْ يشيع ذلك ولو تواصوا بكتمانه، كما شاع أمر الفِرق الباطنية، ولكان تصديقهم الظاهري له لايمنع تكذيبهم له في الباطن، فكيف وقد كان أخصّ أصحابه والمقربين منه وأعلمهم بحاله أعظمهم حبّاً له ظاهراً وباطنًا؟!

وبذا يظهر اتفاق المسلمين والمشركين والكتابيين المعاصرين لمحمد ﷺ على أنّه

(١) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٢٥ و٥٤-٥٥.

لم يتعلّم من بَشَرٍ شيئًا، وأجمعوا على أنّه أمّيّ.

ويُضاف إلى ماتقدّم وجه آخر وهو أنْ يُقال: إنّ القرآن الكريم صحّح كثيراً من العقائد والأخبار في كتب العهدين، فلو كان منقولاً عنهما فلابدّ أنْ يتأثر بهما ولو في أمر بسيط من الأمور، لكنّ القرآن الكريم أعلن بكل صراحة مخالفته لما فيهما من العقائد الباطلة والأحكام المحرَّفة، ووصَفَ أهلَ الكتاب باللبس والكتمان، وأخبر عن مذاهب النصارى المختلفة في المسيح ولم يكن أحد غيرهم يعلم من ذلك شيئًا، وهذا يحتاج إلى بحث طويل وجهد كبير وعلم غزير.

ولمّا ثبت بإجماع الطوائف كافة أنّ محمداً ﷺ لم يعقد مجمعًا نصرانيّاً في مكة أو في المدينة أو في الشام للترجيح بين كتب أهل الكتاب ولإظهار مافيها من الأغلاط، ومابينها من الاختلافات والتناقضات، ورحلة تجارية واحدة لاتكفي لمثل هذا العمل، ثبت كون القرآن كلام الله العليم الحكيم الخبير[1].

وهذا مايعبّر عنه بعض الكتّاب باستقلال الشخصية الذاتية للقرآن الكريم[2]؛ لأنّه دعا اليهودَ والنصارى، وبشّرهم وأنذرهم، وحلّ خلافاتهم، وصحح انحرافاتهم، فيكون من التعسف والتمحّل القول إنّ القرآن صورة عن الكتب السابقة أو منقول عنها أو أُلِّف على نسقها أو متأثر بها.

وقد ذكر د. موريس بوكاي أنّ اليهود والمسيحيين الغربيين يُجْمعون على الزعم بدون دليل أنّ محمداً ﷺ كتب أو استكتب القرآن الكريم محاكيًا التوراة والإنجيل، وأنه لم يفعل أكثر من أنْ نقل منهما، وقصْدهم بذلك تكذيب وحيه المنزل عليه من الله.

ثم علّق على ذلك متسائلاً: لماذا لم يتّهم أحدٌ المسيح بأنّه ردّد نفس الأمور

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٤/٥، والقاضي أبو الفضل عياض اليحصبي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ١/ ٢٧٠، والبحراني: لسان الصدق ص ٢٧٦، ومحمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص١٢٧، ود. دراز: النبأ العظيم ص٥٩-٦٢، والهمذاني: تثبيت دلائل النبوة ص ٩١.

(٢) محمد عزة دروزه: القرآن والمبشّرون ص ٩٦-١٠٣.

التي في التوراة؟ ولماذا لانجد مفسّراً واحداً تعنّ له فكرة نزع صفة الرسالة عن المسيح لذلك السبب؟!

ثم جزم د. بوكاي أنّ دعوى نقْلِ القرآن الكريم عن التوراة والإنجيل والدعوى القائلة إنّ راهبًا مسيحيّاً قد علّمه تعليمًا دينيّاً متينًا، ليس عليهما دليل[1].

وأما الردّ التفصيلي:

١- أمّا بالنسبة لورقة بن نوفل فلم يكن داعية للنصرانية، وقد عَرض عليه محمدﷺ ماجرى معه في الغار، فبشّره بأنّه نبي ثم لم ينشب ورقة أنْ توفي[2].

فمن أين لمحمدﷺ هذه العلوم والمعارف عن الأولين واللاحقين والحال أنّ جميع سنوات بعثته(٢٣) ثلاثٌ وعشرون سنة عاشها بعد موت ورقة؟!

والعرب الذين هم على صلة دائمة بورقة لم يكونوا يطّلعون منه على شيء يقوله يشبه ما في القرآن، لذلك فرّوا إلى نسبة هذا القرآن إلى رجل أعجمي؛ لعلمهم القطعيّ أنّه لايوجد في العرب أحد يمكن أن يُنسبَ القرآنُ إليه.

٢- وأما بالنسبة لرحلات محمدﷺ إلى بلاد الشام فيقال:

إنه لم يسافر إلى بلاد الشام غير مرتين:

الأولى منهما: كان وقتها طفلاً صغيراً مع عمّه وأقاربه، وقد حصل بينه وبين بحيرى لقاء قصير جداً، استفهم منه بحيرى عن بعض شئونه، وكان ذلك اللقاء بحضرة عمّه وسائر الوفد، ثم رجع به عمّه قبْل تمام الرحلة، ولم يُعهد في بني البشَر أنّ لقاءً قصيراً بطفل صغير يمنحه علومًا كثيرة[3].

أما الثانية منهما: فعندما سافر في تجارة لخديجة رضي الله عنها وكان عمره خمسة وعشرين عامًا، وقد وصل إلى سوق بصرى مع قافلة كبيرة، وكان

(١) انظر كتابه: دراسة الكتب المقدسة ص ١٤٩ و١٧٣.

(٢) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ط٩، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٣٩٩هـ، ص٩٦، والجزيري: أدلّة اليقين ص ٣٤٧.

(٣) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٩٥.

العرب في مثل هذه الرحلات التجارية يهتمون بأمور بضائعهم ولا يهتمون بسؤال أهل الكتاب؛ لأنّ الحفاظ على الأرواح والأموال يوجب الالتزام بالقافلة ومواعيد حركتها، وقد ربح ﷺ فيها ربحًا كثيراً.

ثم إنّه ﷺ كان مصحوبًا بعدد من التجار الذين لم يرووا أنّه تلقى العلم عن أحد من أهل الكتاب، ولو كان تلقى فيها علْمًا فإنّ فترة خمسة عشر عامًا- المدة الواقعة بين هذه الرحلة ومبدأ النبوة- كفيلة بأنْ تطوي هذا العلْم في صحائف النسيان، وبخاصة أنّه لم يجدّد هذه الرحلة، ولم يقل بهذا العلْم فور رجوعه من رحلته، ولا ظهرت عليه آثار التعلّم قبل النبوّة[1].

ولو ثبت أنّه تجاوز سوق بصرى أو تلقى من أهل الكتاب علومًا لكان ذلك منفذاً كبيراً لمشركي قومه وللحريصين على إبطال دعوته للطعن فيه وعدم المتابعة له، بل ولكان ذلك حُجّة لأهل الكتاب لمقاتلته واعتباره عاقّاً لهم.

٣- وأمّا بالنسبة للغلام الرومي الذي تضاربت الروايات في اسمه ومهنته فهو أعجميٌّ لايتكلّم العربية فضلاً عن أنْ يكون كلامه فيها فصيحًا، والرسول ﷺ لم يكن يتكلّم بغير العربية، فكيف تلقى عن هذا الأعجميّ كتابًا بليغًا بلسانٍ عربيّ مبينٍ أعْجَزَ البلغاء؟!

وهذه حُجّة عقلية دامغة ذكرها القرآن بقوله تعالى: ﴿**ولقد نعلَمُ أنهم يقولون إنّما يُعلّمه بَشَرٌ لسانُ الذي يُلْحِدون إليه أعجميٌّ وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين**﴾[2].

فهل يصحّ في العقول أنْ يتعلّم رجلٌ فصيحٌ من رجلٍ أعجميّ ألْكن؟! فضلاً عن أنْ يتلقّى منه قرآنًا في الدرجة العالية من البلاغة ومحتويًا على العلوم الكثيرة النافعة في العقيدة والأخلاق والتشريع والسياسة والاقتصاد والمعاملات وأحوال المبدأ والمعاد وقصص الأنبياء ومصارع المشركين وغيرها؟!

---

(١) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ١٠٠، والبحراني: لسان الصدق ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) سورة النحل آية ١٠٣.

وكفى بالمتعصّبين عاراً وخزيًا أنْ يَنسبوا القرآن الكريم إلى غلامٍ حدّاد لايتقن غير الضرب بالمطرقة!! ولعلّ واحداً منهم يستخِفّه العنادُ فيقول: إنّ المعلومات من الغلام الأعجمي والصياغة من محمد بلسان عربي فصيح.

فيقال له أوّلاً: إنّ معارف القرآن وعلومه وأخباره عن الغيوب الماضية والمستقبلة وفصاحته، كلها فوق مستوى العقول البشرية أنْ تأتي بمثلها.

ويقال له ثانيًا: ما الذي منع العرب إذنْ أنْ يتلقّوا عن هذا الغلام الأعجميّ كما فعل محمد بزعمكم؟! أليس فيهم من كان عنده بعض الاطّلاع على الكتب السابقة ويعرف القراءة والكتابة؟!

ويقال له ثالثًا: ما الذي منع هذا الغلام أنْ يَنسب القرآن لنفسه ويحظى هو بشرفه؟! وهذا الغلام قد أسْلم وكان يتردّد إلى النبي ﷺ ليتعلّم منه، فهل تنعكس الموازين ويصبح المتعلّم أستاذاً لمعلِّمِه إلاّ عند العقول الجاحدة والقلوب المنكوسة؟!

لاشكّ أنّ مشركي العرب كانوا حريصين على إبطال الدين الجديد، ولكنهم كانوا أذكى من جميع المنصّرين والمستشرقين - الذين سمحوا لأنفسهم بتعيين الأساتذة خبط عشواء - فاشترطوا في المعلِّم شرطيْن ينفيان كلَّ مَن عيَّنَ المنصّرون أسماءهم، وهذان الشرطان هما: أنْ يكون المعلِّم كتابيّاً، وأنْ يكون من سكان مكة المقيمين فيها الذين عرفوا محمداً ﷺ وجالسوه، وكان العرب يعرفون ورقة بن نوفل وبحيرى وغيرهما، لكنّ الشرطين الأساسيين لم يتوفرا إلاّ في غلام أعجميّ اللسان، عاميّ الفؤاد والبصيرة، لايعلم من الكتب السابقة إلاّ أمانيّ، فوجد المشركون متنفسًا لهم في نسبة هذا التعليم إليه، وقد ردّ القرآنُ الكريم عليهم، وسمع الغلامُ هذا الردّ دون أنْ يعترض على تبرئة محمد ﷺ من تعليم البَشَر، بل ربما سخِر الغلامُ كثيراً من سفاهة عقول المشركين وعمى

بصائرهم وشدة تعصّبهم(١).

٤- وأما بالنسبة للأساتذة الذين عيّنهم فندر وهم زيد بن حارثة ومارية القبطية وسلمان الفارسي وعبدالله بن سلاّم رضي الله عنهم، فيجاب عليه بمايلي(٢).

أمّا زيدٌ فكان من مشركي العرب، اختُطف صغيراً وبيع في مكة، فاشترته خديجة رضي الله عنها وأهدته لمحمد ﷺ، ولـمّا تعرّف عليه أبوه قبل البعثة أراد الرسول ﷺ ردّه إلى أبيه، لكنه فضّل الإقامة مع رسول الله ﷺ.

فهل هناك أشدّ جهلاً ممن يقول إنّه مبشّر نصراني من سوريا ؟! والقائل بهذا يضيف لجهله بتاريخ العقائد والأديان جهله بالأنساب والأوطان.

وأمّا مارية وسلمان وابن سلاّم رضي الله عنهم فما رأوا الرسول ﷺ إلاّ بعد الهجرة في المدينة المنورة، وأسلموا على يديه، لكنْ أقول: على عادة النصارى وهواهم، لعلّ المستشرقين وربائبهم من المنصّرين قد اطّلعوا على أحوال محمد ﷺ بعد وفاته بعدة قرون فعثروا على أسماء معلّمين كثيرين له، لم يكن يعرفهم اليهود والمشركون الذين هم ألْصق الناس بمحمد ﷺ وأكثر الناس آنذاك حربًا له وحرصًا على إبطال دينه وكتابه، وكانوا قد اجتهدوا كثيراً في بثّ الشُّبه حول القرآن الكريم، لكنهم كانوا أعقل من أنْ يسمحوا لأنفسهم بتعيين الأساتذة؛ لعلْمهم ببوار سعيهم في ذلك، وعدم تصديق الناس لهم فيه.

وقد كان الأشخاص المنسوب إليهم التعليم في مكة وفي المدينة يعيشون بين أظهر العرب ويكلّمونهم طيلة حياتهم، ولم يُحْكَ عن أحد منهم شيء من مثل ماجاء به محمد ﷺ.

---

(١) د. محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم، ط٢، دار القلم، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص ٦٣-٦٦، والجزيري: أدلة اليقين ص٣٤٧-٣٤٨.

(٢) الجزيري: أدلة اليقين ص ٣٤٥-٣٤٧.

الفصل الثاني

الأدلة العقلية على كون القرآن الكريم كلام الله تعالى

بعد الانتهاء من سرد عشر شبه للمنصّرين والإجابة عليها، رأيتُ من المناسب أنْ أُتْبِعَ الإجابة على هذه الشبه بفصل أذكر فيه الأدلّة العقلية المستنبَطة من القرآن الكريم نفسه، والتي تدلّ على كون هذا القرآن من عند الله تعالى، وليس من كلام محمد ﷺ ابتداء[1].

ولا أعني بالأدلّة العقلية ماعناه المعتزلة من إسناد كلّ شيء إلى العقل، حتى جعلوا العقلَ حاكمًا على الشرع ومقدَّمًا عليه، وقالوا بالحسْن والقبْح العقليّيْن، وإنما أعني إبراز الأدلّة السمعية التي نبّهت العقلَ وسلكتْ به أقرب الطرق وأيسرها لبيان حقيقة هذا القرآن وأنّه ليس من كلام البشر؛ لأنّ دلالة آيات القرآن ليست خبرية فقط كما يزعم أعداء القرآن، بل هي سمعية عقلية، والقرآن الكريم مليء بالدلائل العقلية ضمن الآيات السمعية الخبرية.

وقد جاء الكلام في هذا الفصل عن ستة أدلّة عقلية كمايلي:

١- حصولُ بعض الحوادث المقتضية للقول الفصل، ولكنْ يتأخّر نزول الوحي في ذلك.

٢- نزولُ القرآنِ الكريم في بعض الأحيان يعاتب النبيَّ ﷺ.

٣- إعلانُ محمدٍ ﷺ تحدّي العالَم كلِّه جنِّه وإنسِه بهذا القرآن.

٤- افتراقُ أسلوبِ الكلام في القرآن الكريم عن أسلوب كلام محمدٍ ﷺ.

٥- شهادةُ محمدٍ ﷺ وإقراره بأنّ هذا القرآن ليس من كلامه.

٦- تكلّمُ محمدٍ ﷺ بهذا القرآن فجأة وبعد سنّ الأربعين.

وفيما يلي تفصيلها:

الدليل العقلي الأول: حصول بعض الحوادث المقتضية للقول الفصل، ومع ذلك تمضي الأيام والليالي ولاينزل الوحي فيها على رسول الله ﷺ بشيء من القرآن.

---

(١) يمكن أنْ يكون هذا الفصل نواة لبحث واسع في هذا المجال، وهو في نظري يعتمد على معرفة أسباب النزول ومايتعلق بذلك من علوم القرآن.

انظر إلى قصة خبر الإفك وإرجاف المنافقين به وإبطاء الوحي وخوض الناس في ذلك شهراً كاملاً، ولم يَزِدْ رسول الله ﷺ على القول لأحبّ زوجاته إليه: «فإنْ كنتِ بريئة فسيبرئك الله، وإنْ كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله»[1].

هذا كلام محمد ﷺ الرسول البشر الذي لايعلم الغيب، وفي وقت هو أحوج مايكون فيه إلى قرآن يتلى على مسامع أصحابه؛ ليظهر براءة زوجته ممّا نسبه إليها المنافقون، ويتأخّر نزول الوحي بالقرآن لحسم الأمر شهراً كاملاً، رغم دقة الموقف وحساسيته وخوض المنافقين فيه، فماذا كان يمنع محمداً ﷺ لو كان القرآن من عنده أنْ يقول كلمة الفصل ويحسم الأمر في بدايته؟! ولماذا يَدَع زوجته مدة طويلة تكابد هموم هذا الخبر حتى مرضت من سماعه[2]؟!

الدليل العقلي الثاني[3]: نزول القرآن الكريم في بعض الأحيان على غير مافعله رسول الله ﷺ، بل كان يعاتبه على بعض الأفعال التي تصدر منه، مثل تحريمه أمراً حلالاً ابتغاء مرضات زوجاته[4]، ومثل إخفائه أمراً أطلعه الله عليه بخصوص زيد وزوجته زينب[5]، ومثل فدائه أسرى بدر[6]، ومثل اهتمامه بوفد مشركي قريش دون عبدالله بن أم مكتوم الأعمى[7].

فلو كان القرآن من عنده ﷺ هل يقول هذا العتاب في حق نفسه؟! ثم لو قاله هل يعلنه للناس ويتلوه عليهم؟! ثم لو أعلنه وتلاه لماذا لم ينسخه قبل وفاته؟!

الدليل العقلي الثالث: إعلان محمد ﷺ تحدّي العالَم كلّه جنّه وإنسه بهذا

(١) انظر: فتح الباري ٤٥٢/٨ كتاب التفسير، حديث رقم ٤٧٥٠ باب ٦، وصحيح مسلم ٢١٢٩/٤ كتاب التوبة، حديث رقم ٢٧٧٠ باب في حديث الإفك.

(٢) دراز: النبأ العظيم ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٥-٢٧.

(٤) سورة التحريم آية ١.

(٥) سورة الأحزاب آية ٣٧.

(٦) سورة الأنفال آية ٦٧.

(٧) سورة عبس آية ١-١١.

القرآن، وتلاوته على مسامع جميع أعدائه قولَه تعالى في سورة البقرة آية ٢٣-٢٤ **﴿وإنْ كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدِنا فأتوا بسورةٍ منْ مثْله وادْعوا شهداءَكم من دونِ الله إنْ كنتم صادقين فإنْ لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النّار التي وَقودها الناسُ والحِجارة أعدِّتْ للكافرين﴾**، وقولَه تعالى في سورة الإسراء آية ٨٨ **﴿قل لئِن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لايأتون بمثلِه ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾**.

فقوله **﴿ولن تفعلوا﴾** وقوله **﴿لايأتون بمثله﴾** فيهما نفيٌ مؤكَّد وحُكْم مؤبَّد بعدم قدرة العالَم كله على الإتيان بمثْل هذا الكتاب، والجزم بهذا النفي المؤكَّد والحُكْم المؤبَّد لايصدر إلاّ من واثقٍ أنّ كتابه هو كلامُ الله لا من كلام البشر؛ لأنّ العاقل لايستطيع تأبيد حُكْمٍ وهو يَعْلَمُ أنّ باب المعارضة مفتوح، ودواعيه متوفرة عند الأعداء، وأنّ المتأخّر يتعقب كلام المتقدّم بالاستدراك والتكميل، فالعقل يحيل إقدام محمدﷺ - وهو أعقل العقلاء - على مثل هذا التحدّي والجزم بالنفي لو كان القرآنُ من عنده[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا لايُقْدِمُ عليه عاقلٌ مع اتفاق الأمم المؤمن بمحمد والكافر به على كمال عقله ومعرفته»[٢].

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: «وثانيها إقدامه ﷺ على هذا الأمر وإسجاله الخلائق إسجالاً عامّاً إلى يوم القيامة أنّهم لن يفعلوا ذلك أبداً، فهذا لايُقْدِمُ عليه ولايُخْبِر به إلاّ عن علْمٍ لايخالجه شكّ مستندٍ إلى وحي من الله تعالى، وإلاّ فعلْم البشر وقدرته يضعفان عن ذلك»[٣].

الدليل العقلي الرابع: افتراق أسلوب الكلام في القرآن الكريم عن أسلوب كلام محمدﷺ؛ لأنّ الكلام صورة عن نفسية ومواهب المتكلِّم، ومهما اختلف

(١) د. محمد دراز: النبأ العظيم ص٤٤، وتفسير الرازي ٢/ ١٢٠ عند تفسير آية ٢٤ من سورة البقرة.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٤/٦٦.

(٣) ابن القيم: بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ٤/١٣٥.

كلام الشخص الواحد إلاّ أنّه يبقى له طابع خاص لصدوره من شخص واحد، فلو كان القرآن صورة لمواهب محمد ﷺ ونفسيته لوجب انطباع هذه الصورة على سائر كلامه؛ لأنّ النفْسَ لاتكون نفْسَيْن.

والدارس للقرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف يرى ضربين متباعدين من الكلام، هذا مع اختلاف الحديث النبويّ عن سائر كلام الناس، فكلام الرسول ﷺ في قمّة الفصاحة البشرية ونهاية البلاغة الإنسانية، لكنه لايخرج عن كونه ضربًا من كلام البشر مع اختلاف الأسلوب والبيان، وقد يحصل للمتخصصين التباس بين كلام الرسول ﷺ وبيْن كلام غيره؛ فيستعينون بالنقل للتمييز بينهما، أمّا كلام القرآن الكريم فإنه ضرب له طابع خاص لايلتبس بغيره، ولايطمع أحد أنْ يحوم حول حماه.

قال الشيخ علي البحراني: «ووجه آخر من هذا الطريق أيضًا يُعلم به أنّ القرآن ليس من كلام النبي ﷺ: وهو أنّ كلام النبي ﷺ في محاوراته وخطبه ورسائله وتعاليمه قبْل المبعث وبعده قد سُمع وحُفظ ودُوِّنَ في الكتب، وهو بحمد الله موجود في أيدي المسلمين مثبت في كتبهم، وقد أبصره وسمعه غيرهم من الفِرق، ولم يكن شيء منه على ما اشتمل عليه من الفصاحة الواصلة إلى الغاية والبلاغة البالغة إلى النهاية يشْبه كلام القرآن في نَظْمه وأسلوبه ونهجه وطريقته، ولو كان القرآن من كلامه لَتكلّم عن نفسه بما يشبهه في النظم والأسلوب وقتًا من الأوقات، وفي عدم وقوع ذلك منه دليل بيّن على أنّه بنفسه غير متمكّن من الإتيان بكلام يوازن القرآن في البلاغة والأسلوب»[1].

وقد اعترف بهذا الدليل العقلي المستشرق الفرنسي (د. ماريدش) في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن الكريم سنة ١٩٢٦م فقال:

«أمّا أسلوب القرآن فإنه أسلوب الخالق جلّ وعلا، فإنّ الأسلوب الذي ينطوي

---

(١) الشيخ البحراني: لسان الصدق ص ٢٥٠ وانظر ص ٢٦٠، وانظر د. دراز: النبأ العظيم ص ٩٨-١٠١.

على كُنْه الكائن الذي صدر عنه هذا الأسلوب لايكون إلاّ إلهياً. والحق الواقع أنّ أكثر الكتّاب ارتيابًا وشكّاً قد خضعوا لسلطان تأثيره»[1].

الدليل العقلي الخامس: وورود آيات نقلية يجزم قارئُها أنّ القرآن الكريم ليس من كلام محمد ﷺ، مثل قوله تعالى في سورة الأعراف آية ٢٠٣ **﴿وإذا لم تأتِهم بآيةٍ قالوا لولا اجتبيتَها قل إنما أتّبع مايوحَى إليّ من ربي﴾**، ومثل قوله تعالى في سورة يونس آية ١٥ **﴿قلْ مايكونُ لي أنْ أبدِّله من تلقاءِ نفسي إنْ أتّبع إلاّ مايوحَى إلي﴾**، ومثل قوله تعالى في سورة الأعلى آية ٦ **﴿سنقرئك فلا تنسى﴾**، ومثل قوله تعالى في سورة القيامة الآيات ١٦-١٩ **﴿لاتحرّك به لسانك لتعْجَل به إنّ علينا جمعَه وقرآنَه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنَه ثمّ إنّ علينا بيانه﴾**.

وآيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم تتضمن شهادة محمدﷺ على نفسه وإقراره بلسانه أنّ هذا القرآن ليس من كلامه، وإنما هو من كلام الله تعالى، وهذه الشهادة حصلت بأعلى درجات البيّنات وهي: الإقرار والاعتراف التامّ-وفي أكثر من موطن- ببراءته من نسبة هذا القرآن إليه، وهي شهادة مقبولة عند العقلاء ولو كانوا من أشدّ الأعداء، فإنّ عاقلاً لاينسب ماهو له لغيره، وبخاصة إنْ كان يريد الزعامة والمصالح الدنيوية، ونسبة مثل هذا الأمر لنفسه تزيده رفعةً وشأنًا في نظر الأعداء، وتقلّل من استنكارهم أنْ يرسل اللهُ وحيًا إلى البشر، فإعراضه عن ذلك دليل عقلي كامل على كون مايتلوه هو كلام الله[2].

الدليل العقلي السادس: قوله تعالى في سورة القصص آية ٨٦ **﴿وماكنتَ ترجو أنْ يُلقَى إليكَ الكتابُ إلاّ رحمةً من ربك﴾**، وقوله تعالى في سورة يونس آية ١٦ **﴿قلْ لو شاءَ اللهُ ماتلوتُه عليكم ولا أدراكم به فقدْ لبثتُ فيكم عمُرًا من قبلهِ أفلا تعقلون﴾**، وقوله تعالى في سورة العنكبوت آية ٤٨ **﴿وما كنتَ تتلو**

(١) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٢٦.

(٢) د. محمد دراز: النبأ العظيم ص ٢١- ٢٢.

من قبْلهِ من كتابٍ ولاتخُطّه بيمينِك إذًا لارتاب المبطلون﴾.

والمعنى أنّ محمداً ﷺ مكَث أربعين سنة في قومه لم يَظهر منه أيّ كلام من جنس القرآن، ولا كان يتوقع نزول القرآن عليه، ولا ظهرتْ عليه أطوارُ التعليم، فإنّ من يرغب في التعلّم يكون في باديء الأمر باحثًا عن مصدره، ثم مبتدئًا فيه، ثم متوسطًا، ثم ماهراً، وكلام المبتدئ والمتوسط لايخلو من ركاكة وأخطاء، وتأليفه لايخلو من النقص في مواضع، وعدم الاتساق في مواضع أخرى.

والناظر في القرآن الكريم يجده في غاية البلاغة والاتساق، مع خلوّه من الأخطاء العلْمية والتاريخية وغيرها، وقد تكلّم به محمدﷺ فجأة ودون سابق استعداد وتمرّس، وهذا يدلّ دلالةً قاطعةً على أنّ القرآن الكريم ليس من كلامه، وبخاصة أنّه قاله بعد سنّ الأربعين، والذي يتعرض لمثل هذا الأمر يكون في أول عمره لا بَعْدَ سن الأربعين[١].

قال الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر آل معمر:

«فكلّ ذي عقل سليم يعرف أنّ هذا لايحصل إلاّ بالوحي من الله تعالى، ولمّا كان علْم ذلك ضرورياً وكان إنكار المعلوم بالضرورة يقدح في صحة العقل، قال تعالى ﴿**أفلا تعقلون**﴾ فتأمّل صحة هذا الدليل، وحسن تأليفه، وظهور دلالته»[٢].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا:

«أفلا يعقلون أنّ من عاش أربعين سنة لم يصدر عنه علْم ولا عرفان ولابلاغة لسان، لايمكن أنْ يصدر عنه بعد الاكتهال ما لم يكن له أدنى نصيب منه في سن الشباب»[٣].

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٤/ ٣٠، ومحمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص١٢٤، والهمذاني: تثبيت دلائل النبوة ص ٨٧.

(٢) انظر كتابه: منحة القريب المجيب في الردّ على عبّاد الصليب ص ١٩١.

(٣) انظر كتابه: الوحي المحمدي ص ١٣٧.

الباب الثالث

مناقشة المنصّرين في إنكارهم نبوة سيدنا محمد ﷺ بنصوص كتب العهدين

تمهيـــد:

اعتاد العلماءُ المتعرّضون لإثبات نبوة محمد ﷺ أنْ يستدلّوا على نبوته بطريقة توافق المؤمنين المصدّقين بنبوته عليه الصلاة والسلام، سالكين في ذلك عدّة مسالك أشهرها إظهار معجزة القرآن الكريم، وهي معجزة عقلية خالدة تدلّ دلالة قاطعة على صدْق نبوته عليه الصلاة والسلام.

ومن هذه المسالك إظهار المعجزات الحسيّة الكثيرة التي أجراها الله تعالى على يديه: كنبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وشفاء المرضى، وانشقاق القمر، وحنين الجذع، وحديث العجماوات، وغيرها من المعجزات الوقتيّة.

ومنها: إظهار ماذكره من المغيبات الماضية والحاضرة والمستقبلة، والتي حصلت كما أخبر عنها ﷺ.

ومنها: ذكر أنواع من الحالات التي صاحبت بعض المشركين- أفراداً وجماعات- عندما أرادوه بسوء، والتي أظهرتْ نصر الله وتأييده له.

ثم تعرّض العلماءُ بطريقتهم هذه إلى ذكر أحوال الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها، مثل ذكر نَسَبه وولادته ونشأته وأخلاقه وصفاته ومعاملته للمسلمين والمشركين وأهل الكتاب بما يؤيد كونه نبيّاً صادقًا.

وقد استدلّ كثير من مفكري الغرب بأخلاق محمد وصفاته على صدْق نبوته عليه الصلاة والسلام، وألّفوا في ذلك مؤلفات كثيرة، ومن ذلك مانقله «سيل» في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن الكريم(١).

(١) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص١٠٧٣ إحالة إلى مقدمة ترجمة معاني القرآن الكريم الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٠م، وقد جمع كثيراً من أقوال مفكري العالم في الثناء على رسول الله ﷺ أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه: الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ص١٢٩-١٩٨، وألف د. عز الدين فراج كتابًا مستقلاً سماه: نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي.

وبعد استدلال العلماء على نبوة محمد ﷺ بالطريقة السابقة كانوا ينقلون مايؤيدون به كلامهم من أقوال علماء اليهود والنصارى وملوكهم- من أسلم منهم أو لم يُسْلِم- في الشهادة لمحمد ﷺ بالنبوة، كالنجاشي وهرقل والمقوقس وعبدالله بن سلام وسلمان ومخيريق وهوذة وصفية بنت حيي بن أخطب وكلام عمها وأبيها، وهي كلها قصص دالّة على اعترافهم بنبوّة محمد ﷺ.

ولم يخرج الشيخ رحمت الله في المسالك الخمسة الأولى من فصله الأول من الباب السادس عن مثل هذه الأمور، فذكر من معجزات محمد ﷺ الدالّة على نبوته سبعين معجزة، واستدل على صدق نبوّته أيضًا بأخلاقه وصفاته، وما اشتملت عليه شريعته الغراء، وظهور دينه على سائر الأديان.

وهذا أمر يركّز عليه العلماءُ المسلمون وكتّاب السيرة، ويكاد لايخلو كتاب باحث في العقيدة أو في السيرة النبوية من هذا الأمر، ولكنّ الشيخ رحمت الله في كتابه «إظهار الحق» لم يكتف بهذه الطريقة النقلية في الاستدلال، بل سار أيضًا على نهج علماء المسلمين الذين استدلّوا على الخصم بما يعترف به من نصوص كتبه.

ولايعني الاستدلال على الخصم من كتبه أنّ دلائل صدق نبوة محمد ﷺ محصورة في كتب أهل الكتاب فحسب، بل النبيُّ الصادق له من دلائل الصدق مايكفي لإقناع جميع الناس، بحيث لايكفر من يكفر به إلاّ عناداً واستكباراً.

والبشارات الواردة في كتب أهل الكتاب هي إحدى دلائل الصدق على نبوّة محمد ﷺ لا كلّها، وفائدة هذه البشارات هي لفْتُ نظر أهل الكتاب وحثهم على المسارعة إلى الإيمان بهذا النبيّ أكثر من فائدتها للمسلمين المصدّقين بنبوّته، وأهلُ الكتاب هم أوْلى وأحقّ بفهم هذه البشارات من غيرهم، وما استدلالنا عليهم بما في كتبهم إلاّ من قبيل الإلزام، ولايحقّ لهم أنْ ينقضوا صحة استدلالنا عليهم بنصوص كتبهم باعتقادنا تحريفها؛ ذلك لأنّ استخراجنا مايقيم

الحجّة عليهم من كتبهم المحرفة أقوى في الإلزام، حيث إنها لو لم تحرّف لكانت البشارات فيها أوضح وأبْيَن[1].

ثم لو فُقِدت البشارات المحمدية من كتب أهل الكتاب نهائيّاً، فلا يلزم من ذلك عدم التبشير به على لسان أنبيائهم؛ لاحتمال أنهم بشّروا به ولم يُنْقَل، أو نُقِل وحُرِّف، أو أنّ المنقول مازال في كتب لايطّلع عليها إلا الخاصة[2].

وهذا التبديل والكتمان ممكنٌ عقلاً، وحاصلٌ فِعْلاً، ومن عادة أهل الكتاب، كيف لا وهم قد تواطؤوا على تبديل دينهم، فلو قالوا: إنّه لاذكْرَ لرسول الله ﷺ ولا لعلامة من علاماته في كتبهم المعاصرة، فلا يلزم من ذلك كونه غير مذكور في كتب أسلافهم؛ لأنّ أسلافهم حرّفوا وتواصوا بالكتمان، حتى اشتهر المحرَّف واختفى الصحيح من كتبهم، وذلك في غاية الإمكان بل هو الحق والواقع، أليس قد اشتهر عند السامريين توراة غير توراة العبرانيين والبروتستانت، وهما غير التوراة اليونانية (السبعينية) التي عند نصارى الكاثوليك، وكلٌّ منهم يدّعي أنّ نسخته هي الصحيحة وغيرها محرَّف، وواقع الأمر أنّهم كلهم متمسكون بنُسخ محرّفة كتبها الأحبار بعد موسى بزمن طويل، والنسخة الصحيحة قد أُبيدتْ، وقلْ مثل ذلك في الإنجيل.[3]

وقد خصّص الشيخُ رحمت الله الباب السادس من كتابه إظهار الحق للحديث عن نبوة محمد ﷺ، وجاء الكلام في هذا الباب في فصلين:

أمّا الفصل الأول:

فهو في إثبات نبوّته ﷺ. وفيه ستة مسالك:

(١) للتوسع انظر: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٧٠، وأدلة اليقين للجزيري ص ٢٥٧-٢٥٩.

(٢) كما في إنجيل برنابا الذي اكتشف بعد المسيح بزمن طويل، حيث كان ينتقل بين خاصة النصارى من واحد إلى واحد مبالغة في إخفائه؛ لما فيه من الحق والتصريح بتوحيد الله تعالى، وببشرية عيسى وأُمِّه مريم عليهما السلام، وبنبوة محمد ﷺ.

(٣) ابن القيم: هداية الحيارى ص ١٠٧ و٢٢٠.

المســــلك الأول: استدلّ فيه على نبوته ﷺ بالمعجزات التي أخبر بها أو جَرَتْ على يديه، وتحدّث الشيخ رحمت الله عن سبعين منها.

المســــلك الثاني: استدلّ فيه على نبوته ﷺ بأخلاقه وصفاته.

المســــلك الثالث: استدلّ فيه على نبوّته ﷺ بما تشتمل عليه شريعته الغرّاء.

المســــلك الرابع: استدلّ فيه على نبوّته ﷺ بظهوره بين قوم لا كتاب لهم.

المسلك الخامس: استدلّ فيه على نبوّته ﷺ بظهوره في وقت كان الناسُ في حاجة إليه.

المسلك السادس: استدلّ فيه على نبوّته ﷺ بإخبار الأنبياء المتقدّمين عليه عن نبوّته.

وأما الفصل الثاني:

فقد ردّ فيه الشيخ رحمت الله على أربعة مطاعن طعن بها المنصّرون في نبوّته عليه الصلاة والسلام.

ونلاحظ أنّ المسالك الخمسة الأولى التي ذكرها الشيخ رحمت الله في الفصل الأول قد كَتب فيها كثير من العلماء قديمًا وحديثًا، ولايكاد أحد يحصي ماكُتب في هذا الموضوع، وندر أن تجد كاتبًا تعرّض للحديث عن نبوّة محمدﷺ دون الإشارة لهذه المسالك أو بعضها.

ولمّا كان المنصّرون لايؤمنون بهذه المسالك ولايفيدون من الحديث عنها، أرى أنّه من غير المناسب مخاطبتهم بما لايصدّقون أو الاستدلال عليهم بماينكرون.

وكذلك الفصل الثاني الذي خصّصه الشيخ رحمت الله لدفْع مطاعن القسيسين والمنصّرين التي يوردونها على نبوّة نبينا ﷺ فلن أتحدّث عنها أيضًا؛ لأنّ المُورد لهذه المطاعن ما أوردها إلاّ لعدم إيمانه بنبوة محمدﷺ، ولن ينفعه ردّ هذه المطاعن الفرعية التابعة للمطعن الأكبر وهو إنكار نبوّته عليه الصلاة

والسلام، فإذا دُحضت حُجّةُ المنكرين وثبتتْ نبوته ﷺ بدلائل يقينيّة؛ كانت هذه المطاعن الفرعية باطلة تلقائيّاً ومردوداً عليها بالتبعية.

ولهذا ولأجْل التمسّك بمنهاج المناظرة حسبما وعدْتُ التقيّد به، رأيتُ الاقتصارَ في هذا الباب على إثبات نبوّته عليه الصلاة والسلام بالبشارات الواردة في كتب العهدين، والتي تحدث عنها الشيخُ رحمت الله في المسلك السادس من الفصل الأول[1].

وسأسيرُ في هذا الباب على منهجي في البابين السابقين من هذا القسم الثاني، حيث إنني سأنقل البشارة وأختصر تعليق الشيخ رحمت الله عليها، وما كان من كلام زائد على ماأورده الشيخ وفيه تقوية للمقصود سأجعله بعد كلام الشيخ في الهامش أو في المتن، مع الفصل بين الزيادة وبين كلام الشيخ رحمت الله بكلمة (ويضاف)، وذلك حسب اقتضاء المقام، وما كان من بشارات زائدة على ماذكره الشيخ رحمت الله في «إظهار الحق» سأذكرها في آخر البشارات المذكورة في هذا الباب.

والبشارات بنبي الإسلام في كتب العهدين وردت في نصوص مختلفة، فهي في كتب ردود العلماء المسلمين السابقين تختلف عمّا نقله الشيخ رحمت الله في كتابه إظهار الحق، وهي في إظهار الحق تختلف كذلك عمّا في الطبعات الحديثة لكتب العهدين، وذلك على عادة القوم في التحريف المستمر، حتى زادت هذه البشارات خفاءً في الطبعات اللاحقة عن الطبعات السابقة، لذلك آثرتُ الاكتفاء بنقل نصوص هذه البشارات من الطبعات الحديثة فقط، دون نقل نصوصها من إظهار الحق خشية الإطالة، لكنني سأشير للنصّ في إظهار الحق أو في النسخ القديمة إذا كان بين النصّيْن خلافٌ كبير ذو قيمة في البحث.

وإذا كانت البشارة مذكورة في كتب علماء أسلموا حديثًا واستشهدوا بها

(١) انظر المسلك السادس «إخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته ﷺ» في إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص١٠٧٨.

مثل إبراهيم خليل أحمد وبشرى زخاري ميخائيل نبّهْتُ على ذلك في موضعه؛ إلزامًا للخصم بمدلولها الذي وافقَنا عليه المنْصفون من أهل الكتاب ومَن هداهم الله للإسلام، وقد ذكر معظم هذه البشارات المهتدي عليّ بن ربّن الطبري المتوفى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، في كتابه الذي ألّفه بعد إسلامه وسمّاه: الدين والدولة في إثبات نبوّة النبيّ محمد ﷺ.

ولـمّا كان غرضي في هذا الباب وضع منهج للمناظرة في موضوع إثبات نبوة محمد ﷺ بنصوص كتب العهدين، لذلك تصرّفت في هذه البشارات بماتقتضيه طبيعةُ المناظرة والالتزام بمنهجها، فحذفتُ البشارة الثانية عشرة في كتاب إظهار الحق؛ لصعوبة الاستدلال بمضمونها، وحذفتُ من كلام الشيخ رحمت الله على البشارات الأخرى ما لايتسع له البحث أو يخرجني عن المنهج الذي الْتزمته.

وإذا كان عدد من البشارات يشير لموضوع واحد جعلتها كلها بشارة واحدة(١)، واختصرتُ الاستدلالات الكثيرة بكلام موصلٍ للغاية، غير مخلٍّ بالموضوع ولاملٍّ للقارئ، ويُلزِم الخصمَ قبل تشعب الأفكار.

وقد ذكرتُ البشارات التي فيها إشارة لمكة المكرمة أو لصفات أمّة محمد ﷺ، لعلاقتها بالبشارات الأخرى وارتباطها بها، فهي كلّها تكوّن وحدة متكاملة في التبشير بمحمد ﷺ؛ لأنّ فضْلَ أمّته وشرفَها وفضْلَ مكة وشرَفَها مرتبط بفضل المبعوث المبشَّر به وشَرَفه.

وبهذا المنهج جاءت البشارات الثماني عشرة المذكورة في كتاب إظهار الحق بتسع بشارات فقط، وأضفتُ خمس بشارات أخرى لم تُذكر في إظهار الحق، وأعطيتُ كلَّ بشارة عنوانًا ينبئ القارئ والسامع عن معنى البشارة ومضمونها قبل الخوض في تفصيلاتها.

---

(١) سأوضح ذلك خلال الحديث عن البشارات في مواضعها.

وقد جاء الكلامُ في هذا الباب على أربع عشرة بشارة من أمّهات البشارات التي أجمع المسلمون وأهل الكتاب على كونها بشارات وإن اختلفوا في شخصية النبيّ المبشَّر به فيها، وهي كمايلي:

البشارة الأولى: (من إخوتهم نبيّاً مثلك) وهي بشارة بمحمد ﷺ والوحي إليه.

البشارة الثانية: (فأنا أُغِيرهم بماليس شَعْبًا) وهي بشارة بأمّة محمد ﷺ.

البشارة الثالثة: (الاستعلان من جبل فاران) وهي بشارة بنبوّة محمد ﷺ وبما يوحَى إليه.

البشارة الرابعة: (البَركة بإسماعيل) وهي بشارة بمحمد ﷺ.

البشارة الخامسة: (حتى يأتي شِيلُون) وهي بشارة بمحمد ﷺ.

البشارة السادسة: (سيف ذو شفرتين) وهي بشارة بجهاد محمد ﷺ ورياسته والأذان.

البشارة السابعة: (ولادة العاقر) وهي بشارة بمكة المكرمة وشَعبها.

البشارة الثامنة: (بشارة الملَكُوت) وهي بشارة بنقل النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل عليه السلام.

البشارة التاسعة: (بشارة الفارقليط) وهي بشارة بمحمد ﷺ.

البشارة العاشرة: (رئيس السلام والرياسة على كَتِفه) وهي بشارة بمحمد ﷺ.

البشارة الحادية عشرة: (وحْيٌ من جهة بلاد العرب) وهي بشارة بمحمد ﷺ راكب الجمل.

البشارة الثانية عشرة: (غنم قِيدار وكِباش نبايوت) وهي بشارة بمكة المكرمةِ ومجدِها العظيم المنتظَر لها.

البشارة الثالثة عشرة: (إيليّا المزمع أنْ يأتي) وهي بشارة بمحمد ﷺ.

البشارة الرابعة عشرة: (الأمين الصادق) وهي بشارة بمحمد ﷺ وجهاده.

ثم ذكرتُ بعد ذلك تعقيبًا للردّ على بعض الاعتراضات التي يوردها أهلُ الكتاب على نبوّته ﷺ، فجاء الكلام في هذا التعقيب ضمن العناوين التالية:

(أ) ترجمة الأسماء بمعانيها.

(ب) هل يشترط الإخبار التفصيلي عن النبي الآتي؟

(جـ) تحذير المسيح عليه السلام من الأنبياء الكَذَبَة.

(د) هل اليهود أحْكَمُ قاضٍ في كتبهم؟

(هـ) محمد ﷺ أعقلُ أهل الأرض.

(و) عدم تحذير الأنبياء السابقين منه ﷺ وعليهم.

(ز) ادّعاء ختم النبوة قول خطير.

وفيما يلي الحديث عن البشارات المحمدية في كتب العهدين.

بشارات كتب العهدين

البشارة الأولى

(من إخوتهم نبياً مثلك)[1]

وهي بشارة بمحمد ﷺ والوحي إليه

ورد في سفر التثنية ١٨/١٨-٢٠ «(١٨)أقيمُ لهم نبيّاً من وَسْطِ إخوتهم مثْلَك وأجعلُ كلامي في فمه فيُكلّمُهم بكُلِّ ما أوصيه به(١٩) ويكونُ أنَّ الإنسانَ الذي لايَسْمعُ لكلامي الذي يتكلّم به باسْمي أنا أطالبه(٢٠) وأمّا النبيُّ الذي يُطْغِي فيتكلّم باسْمي كلامًا لم أُوصِه أنْ يتكلّم به أو الذي يتكلّمُ باسْم آلهةٍ أُخْرى فيموتُ ذلك النبيُّ».

زعم اليهود أنّ هذه البشارة تدلّ على يوشع، وزعم النصارى أنّها تدلّ على عيسى عليه السلام، وقد أبطل الشيخُ رحمت الله هذا الزعم، وأثبتَ أنها بشارة بمحمد ﷺ، واستدل على ذلك بعشرة أوجه، أُجملها في سبعةٍ كمايلي:

١- أنّ اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيّاً آخر مبشّراً به، وهو غير عيسى وغير يوشع[2].

(١) أشار إلى هذه البشارة ممن أسلموا بشرى زخاري ميخائيل في كتابه: محمد رسول الله هكذا بشّرت به الأناجيل، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ص٦٤، وإبراهيم خليل أحمد في كتابه: محمد في التوراة والإنجيل ص ٣٨.

(٢) لمّا ظهر يحيى عليه السلام سأله اليهودُ: «أأنت النبي أأنت المسيح» كما في إنجيل يوحنا ١٩/١-٢٥، والألف واللام في لفظ النبيّ للعهد، أي النبيّ المعهود الذي أخبر عنه موسى عليه السلام في هذه البشارة، وعليه فلايكون يوشع هو النبي الموعود؛ لأنّه كان معاصراً لموسى، ولا هو عيسى أيضًا؛ لاستمرار انتظار اليهود لهذا النبي بعد المسيح، بل هو نبيٌّ آتٍ من بعد يحيى وعيسى عليهما السلام، ولمّا ظهر محمد ﷺ فمن اليهود من أنكر أنّ هذه بشارة دالّة على ظهور نبيّ، وجعلوها من قبيل الاستفهام الإنكاري وأنّ أداة الاستفهام محذوفة، والتقدير: أأقيم لبني إسرائيل نبيّاً من إخوتهم مثلك؟! لا أفعل هذا. وهذه عادتهم في التحريف والافتراء على الله. ومن اليهود من جعلها بشارة دالّة على نبي =

٢- وقع في هذه البشارة لفظ «مِثْلَك»، ويوشع وعيسى لايصحّ أنْ يكونا مثل موسى لأمرين:

(أ) لأنّهما من بني إسرائيل، وقد نصّت التوراة على عدم قيام نبيّ من بني إسرائيل مثل موسى، ففي سفر التثنية ٣٤/ ١٠ «ولمْ يَقُمْ بَعْدُ نبيٌّ في إسرائيل مِثْلُ موسى»(١).

(ب) لأنّ موسى عليه السلام صاحبُ كتابٍ وشرعٍ مستقل وليس كذلك يوشع، ولا كذلك عيسى؛ فإنّه وإنْ كان صاحب كتاب وهو الإنجيل إلا أنّ الإنجيل خالٍ عن التشريع، بينما تشتمل التوراة على الحدود، وأحكام الحلال والحرام، والغسل والطهارات وغيرها، وعيسى ويوشع مطالَبان بالعمل بها.

ثم إنّ عيسى عليه السلام كان بزعم النصارى إلهًا صُلِب ومات تكفيراً عن خطايا البشر، ولم يكن مُطاعًا في قومه، وليس مثله موسى الذي هو عبد مخلوق، ولم يُصْلَب لتكفير الخطايا، وكان مُطاعًا في قومه يأمرُ ويَنهى ويَحْكُم(٢).

= مازالوا ينتظرون خروجه إلى الآن. وهم إنما ينتظرون المسيح الدجال. (شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢٩٣/٣، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١١٠ و١١٢، والشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص١٠٨٠-١٠٨٢.

(١) تكملة الفقرات يوضح معنى المماثلة المقصودة، ففي سفر التثنية ٣٤/ ١٠-١٢ «(١٠) ولمْ يقُمْ بَعْدُ نبيٌّ في إسرائيل مِثْلُ موسى الذي عَرَفه الربُّ وجهًا لوجْه(١١) في جميعِ الآياتِ والعجائب التي أرسلهُ الربّ ليعْملَهَا في أرض مصر بفرعون وبجميعِ عبيدهِ وكلِّ أرضه(١٢) وفي كلِّ اليدِ الشديدة وكلِّ المخاوفِ العظيمةِ التي صَنَعها موسى أمامَ أعينِ جميعِ إسرائيل».

ويظهر من هذه الفقرات امتياز موسى على سائر أنبياء بني إسرائيل بأمور:

١- تكليم الله لموسى. ٢- قيامه في بيئة تغلب عليها الوثنية. ٣- جهاده في سبيل الله ومقارعته الشدائد، حتى تغلّب في النهاية على أعدائه، ونشرَ الدين الصحيح والشريعة العادلة.

ومن معنى المماثلة هذا يتبين عدم صدقها في نبي بعد موسى غير محمد ﷺ. (الجزيري: أدلّة اليقين ص ٢٦٦).

(٢) مسائل المشابهة بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كثيرة، فكلاهما صاحبُ شرع مستقلّ نَسخ ماقبْله، وكلاهما عبدٌ رسول ذو والدين، وتزوجا النساء، وجاهدا الكفار، وكلاهما كليمُ الله، فقد كلّم اللهُ تبارك وتعالى محمداً ﷺ ليلة المعراج، ويدلّ على هذه المشابهة قوله تعالى في سورة الأعراف آية ١٥٧ ﴿**الذين يتبعون الرسولَ النبيَّ الأُمّيَّ الذي يَجِدونه مكتوبًا عندهم في التوراةِ والإنجيل**. . . ﴾ وقوله تعالى في سورة المزمل آية ١٥ ﴿**إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شاهدًا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا**﴾. =

٣- وقع في هذه البشـارة لفظ «مِنْ وسَطِ إخْوتهم»[١]، والأسباط الاثنا عشر كانوا موجودين في ذلك الوقت مع موسى، فلو كان النبيُّ المبشَّر به منهم لقال: منهم أو من أنفسهم لا من إخوتهم، وقد ورد في التوراة استعمال هذا اللفظ للدلالة على إسماعيل، ففي سفر التكوين ١٢/١٦ «وأمامَ جميعِ إخوته يَسكُنُ» والمراد بالإخوة هنا هم بنو إسحاق من ولديْه عيسو ويعقوب؛ لأنّ إسَماعيل أخو إسحاق بن إبراهيم، وأمّا يوشع وعيسى فهما من بني إسرائيل لا من إخوتهم؛ لأنّ نسبهما يرجع إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فلاتصْدق هذه البشارة عليهما[٢].

٤- وقع في هذه البشارة لفظ «سوف أقيم»[٣]، ويوشع كان حاضراً عند موسى وقت البشارة وداخلاً في بني إسرائيل، فكيف يصْدق عليه هذا اللفظ؟! وواضح أنّ هذا اللفظ يصْدق في محمدﷺ صدْقًا بيّنًا.[٤]

= وعبارة التوراة لاتدلّ على أنّ الرسول الموعود خاصٌ ببني إسرائيل بل هي صريحة في أنّه رسولٌ لهم ولغيرهم من العرب والعجم. (ابن القيم: هداية الحيارى ص١١١، والشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب ص٨٦، والجزيري: أدلة اليقين ص٢٧٣-٢٧٦، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ١٤٠).

(١) قد ينقل المنصّرون هذه العبارة بلفظ (من بينك من إخوتك) فيزيدون لفظ (من بينك) لحصر البشارة في بني إسرائيل، وعلى فرض صحة الزيادة فلاينفي ذلك كونها في محمدﷺ، لأنّه هاجر إلى المدينة وبها تكامل أمره، وكان بها وحولها عدد من قبائل اليهود، فكأنّه قام من بينهم. (الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص١١١٨).

(٢) لايعقل أنْ يكون بنو إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل؛ لأنّ الإنسانَ لايكون أخًا لنفسه، فلو كان المبشّر به من بني إسرائيل لقال: منهم أو من أنفسهم، وقد شاع في التوراة استعمال لفظ الإخوة في بني الأعمام كما في سفر العدد ٣/٢٠ وسفر التثنية ٤/٢ وغيرهما من المواضع، ولهذا جاز إطلاق لفظ الإخوة على بني إسرائيل وبني عيسو وبني إسماعيل؛ لأنّ جدّهم واحد هو إبراهيم عليه السلام، فأمّا بنو عيسو فلم يظهر فيهم نبيّ إلا أيوب عليه السلام، ولاتنطبق عليه هذه البشارة؛ لأنه ظهر قبل زمن موسى عليه السلام، وأمّا عيسى فهو بزعم النصارى إلهٌ وابنُ إله، فكيف يكون أخًا لبني إسرائيل لتكون هذه البشارة منطبقة عليه؟! أما انطباقها على محمدﷺ فظاهر؛ لأنّه من بني إسماعيل إخوة بني إسرائيل، ثم على رواية «من وَسْطِ إخوتهم» فلاشك أنّه ﷺ من أوسط العرب نسبًا وشرفًا باعتراف عدوّه وصديقه، وبذلك أجاب أعداؤه هرقلَ والمقوقس عند سؤالهما عنه ﷺ. (شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/٩٣-١٠٠، والقرطبي: الإعلام ص٢٦٤، والخزرجي: مقامع الصلبان ص١١٩، وابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى، المؤسسة السعيدية، الرياض، ١/١١١، والجزيري: أدلّة اليقين ص ٢٦٨-٢٦٩، والبحراني: لسان الصدق ص٢٠١-٢٠٤).

(٣) أي بصيغة الاستقبال، وكذلك لفظ (أقيم) أو (يقيم).

(٤) وردت هذه البشارة في الترجمات المختلفة بألفاظ: يقيم، أقيم، سوف أقيم، سيقيم، وكلها دالة على الاستقبال، فلاتصدق في يوشع، وقد جاء في سفر أعمال الرسل ٣/٢٢-٢٤ «(٢٢) فإنّ موسى قال للآباء إنّ نبيّاً مثْلي سيقيمُ لكم الربُّ إلهُكم من إخوتكم له تسمعون في كلِّ مايكلّمكم به(٢٣) ويكونُ أنّ كُلّ نفسٍ لاتسمع لذلك النبيّ تُبادُ من الشعب =

٥- وقع في هذه البشارة لفظ: «أجعل كلامي في فمه» وفيه إشارة لأمّية النبيّ المبشَّر به وحفْظه للكتاب المنزَل عليه، وهو لايصْدق على يوشع؛ لانتفاء كلا الأمرين عنه(١).

٦- وقع في هذه البشارة أنّ الإنسان الذي لايسمع لكلام هذا النبي فالله يطالبه وينتقم منه (٢)، ولـمّا كان هذا امتيازاً للنبي المبشَّر به عن غيره من الأنبياء فلايجوز أنْ يُراد بالانتقام الانتقام الأخرويّ في جهنم والانتقام الدنيويّ بالمحن؛ لأنّه انتقام لايختص بإنكار نبي دون نبي، لكن المراد به الانتقام التشريعي؛ وذلك بأنْ يكون هذا النبيُّ مأموراً من جانب الله تعالى بالانتقام من المنكرين ومجاهدتهم بالسيف، وهذا لايصْدق على عيسى الذي لم يقاتل الكفار ولم يأمر بقتالهم.(٣)

= (٢٤) وجميعُ الأنبياء أيضًا من صموئيلَ فما بَعْدَهُ جميعُ الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام». فإذا كانت هذه البشارة في يوشع خليفة موسى فتكون قد تحققت منذ زمن بعيد، فلماذا هم إلى الآن مازالوا ينتظرون خروج هذا النبي الموعود ؟! (الجزيري:أدلّة اليقين ص ٢٦٦).

(١) قوله (وأجعل كلامي في فمه) يدلّ على أمّية النبي الموعود وحفظه للكتاب المنزل عليه، ويدلّ أيضًا على تنجيم هذا الكتاب المنزّل عليه، فكأنّه جعله في فمه حينًا بعد آخر على حسب الوقائع، أمّا التوراة والإنجيل فقد نزلا دفعة واحدة، ويُقرآن من اللوح المكتوب، وأمّا محمد ﷺ فلأمّيته نزل عليه الكتاب منجّمًا وقرأه من صدره دون الرجوع للمصحف المكتوب، ومن فمه تلقّاه الصحابة وعنهم تلقّاه ألوف، ومازال ألوف من حفّاظ القرآن الكريم إلى الآن يحفظونه ويلقّنونه لغيرهم من حفظهم، وكثير من النصارى يحفظ القرآن أو بعضه، ولانجد في العالم كله من يحفظ التوراة والإنجيل أو أحدهما عن ظهر قلب، بل ولاسفراً واحداً منهما، وقوله: «فيكلّمهم بكل ما أوصيه به» إشارة لأمانة محمد ﷺ على الوحي، وتبليغه بلازيادة ولا نقص ولو كان فيه معاتبة له.

(ابن القيم: هداية الحيارى ص١١١، والقرطبي: الإعلام ص ٢٦٤، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ١٣٩، والجزيري: أدلّة اليقين ص ٢٦٧، والبحراني: لسان الصدق ص ٢٠٠).

(٢) هذا على الرواية المنقولة في كتاب إظهار الحق.

(٣) إن عيسى عليه السلام لم تكن له أمّة كأمّة محمد ﷺ تقاتل معه من كفر بالله، وهو نفسه لم يَسْلَم- بزعم النصارى- من القتل بأشنع صُوَرِه، وانتقام الله ممن كذّبوا رسوله محمداً ﷺ من مشركين ومجوس وأهل كتاب ظاهر لايحتاج لبيان، حتى إنّ المنصّرين يجعلون الجهاد من أعظم المطاعن التي يوردونها لنفي نبوّته، ولذا تكون هذه البشارةُ والوعدُ بالانتقام من مكذّبي هذا النبي أدلَّ دليل على نبوته وأنّه هو المبشَّر به عليه الصلاة والسلام.

(القرطبي: الإعلام ص ٢٦٤).

٧- ورد في هذه البشارة «فأمّا النبيُّ الذي يجترئ بالكبرياء ويتكلّم في اسمي مالم آمره بأنّه يقوله أم باسْم آلهة غيري فلْيُقتل».

وهذا تصريح بأنّ النبيّ الذي ينسب إلى الله مالم يأمره به يُقْتَل، فلو لم يكن محمدﷺ نبيّاً صادقًا ومبشَّراً به حقّاً لقُتِل، وهذا موافق لقوله تعالى في سورة الحاقة آية ٤٤-٤٦ ﴿ولو تقوّل علينا بعضَ الأقاويلِ لأخَذْنا منه باليمينِ ثم لقطعْنا منه الوتين﴾.

وقد قاتل محمدٌ ﷺ الأعداءَ وما استطاع أحد قَتْله، فقد عصمه الله منهم حتى الْتحق بالرفيق الأعلى بوفاةٍ عاديَّةٍ وموتٍ طبيعيّ[(١)].

وأمّا عيسى عليه السلام فيزعم أهل الكتاب أنّه قُتل مصلوبًا، فلو كانت هذه البشارة في حقه للزم أنْ يكون نبيّاً كاذبًا - والعياذ بالله ممّا يفترون.

---

(١) في الطبعات الحديثة (فيموت ذلك النبي) بتبديل كلمة (فليقتل) التي نقلها الشيخ رحمت الله في كتابه إظهار الحق عن الطبعات القديمة للكتاب المقدس، ولعلّ النصارى تنبهوا إلى إجماع العالَم كلّه مؤمنه وكافره على أنّ محمداً ﷺ لم يُقتَلْ، وإنما مات موتًا طبيعيّاً، فتصدْق فيه هذه البشارة دون المسيح، لذلك وضعوا كلمة (يموت) هنا؛ لأنّ الموت أعمّ من القتل، وبهذا تبطل البشارة نهائيّاً؛ لأنّ النبي الصادق والكاذب يموتان، فما فائدة القول بأنّ النبيّ الكاذب يموت وقد مات الأنبياء الصادقون جميعًا؟!

ولـمّا لم يُقتَلْ محمدﷺ ولم تمت دعوته وتعاليمه ظهر أنّه هو المبشَّر به، وليس لأحدٍ من العقلاء الشكّ في هذا؛ لأنّ هذه البشارة حدٌّ فاصل بين الأنبياء الكذبة وبين النبي الصادق المبشَّر به، وقد سلّط الله على الكذابين - كمسيلمة وغيره - مَن قتلهم وأمات تعاليمهم، فكانوا موضع سخرية الناس، وأمّا محمدﷺ فقد دعا لدينه في بيئة وثنية، واجتمع أهل الكتاب والمشركون على حربه والكيد له، وعاداه الرجال والنساء والقريب والبعيد، وحيكت ضدّه شتّى أنواع المؤامرات، ثم نصره الله عليهم جميعًا قبل موته، ولم يُقتَلْ ولم تمت دعوته، بل أحبه ألدّ أعدائه ودخلوا في دينه حتى عمّ أطراف الأرض، وهذا يدلّ على صدْق نبوته وأنّه هو المبشَّر به ﷺ.

(شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٤/٢٩٩، والجزيري: أدلة اليقين ص ٢٦٨).

البشارة الثانية

(فأنا أغِيرهم بما ليس شَعْبًا)(١)

وهي بشارة بأمّة محمد ﷺ

ورد في سفر التثنية ٢١/٣٢ «هم أغاروني بما ليس إلهًا. أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أغِيرهم بما ليس شَعبًا. بأمّة غَبيّةٍ أُغيظهم».

وورد في سفر إشعياء ٦٥/١-٦ «(١) أصغيتُ إلى الذين لم يَسألوا. وُجدتُ من الذين لم يَطلبوني. قلتُ هاأنذا لأمّةٍ لم تُسَمَّ باسْمي(٢) بسطْتُ يَدَيَّ طُولَ النهارِ إلى شَعبٍ متمرّدٍ سائرٍ في طريقٍ غيرِ صالحٍ وراءَ أفكاره(٣) شَعبٍ يُغيظُني بوجْهي دائمًا يَذْبحُ في الجَنَّات ويُبَخِّرُ على الآجُرّ(٤) يجلسُ في القبورِ ويَبيتُ في المدافنِ يأكلُ لَحْمَ الخنزيرِ وفي آنيته مرَقُ لحومٍ نجسة(٥) يقول قفْ عندكَ. لاتدنُ منّي لأنّي أقْدَسُ منكَ. هؤلاء دُخانٌ في أنفي نارٌ متَّقدةٌ كلَّ النَّهارِ(٦) ها قد كُتِب أمامي لا أسكُتُ بل أجازي. أجازي في حِضْنِهم».

بيّن الشيخ رحمت الله أنّ هذه البشارة دالّةٌ على مبعث محمد ﷺ؛ لأنّ المراد بالشعب الجاهل هم العرب حيث كانوا في غاية الضلالة والجهل، وهم المقصودون بقوله «أصغيتُ إلى الذين لم يَسألوا وُجدْتُ من الذين لم يَطلبوني»؛ لأنّهم -أي العرب- لم يكونوا واقفين على حقيقة التوحيد لله في ذاته وأسمائه وصفاته، ولا عارفين للشرائع المستقيمة، فكأنّهم ما كانوا سائلين عن الله ولا طالبين له، وكان اليهودُ يحتقرونهم لجهلهم بالله وضلالتهم.

والمقصود أنّ بني إسرائيل أغضبوا اللهَ تعالى بانحرافهم عن التوحيد

(١) جمعتُ بين البشارتين الثانية والعاشرة في إظهار الحق وهما من سفريْ التثنية وإشعياء، فجعلتهما بشارة واحدة لدلالتهما على نفس المقصود، (انظر كتاب: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص١١٣٢ و١١٦٤).

وعبادتهم الأوثان، وأنّ الله سيغيظهم باصطفاء العرب الذين هم عندهم محقّرون وجاهلون، وقد وفّى الله بما وعد، فبعث محمداً ﷺ من العرب كما قال تعالى في سورة آل عمران آية ١٦٤: ﴿**لقد منّ اللهُ على المؤمنينَ إذْ بَعث فيهم رسولاً من أنفسِهم يتلو عليهم آياتهِ ويزكيهم ويعلِمُهُم الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبْلُ لفي ضلالٍ مبين**﴾.

ثم بيّن الشيخ رحمت الله أنّه لايجوز أنْ يُراد بالشعب الجاهل اليونانيون؛ لأنّهم قبْل ظهور عيسى عليه السلام بأكثر من ثلاث مئة سنة كانوا فائقين على أهل العالَم في العلوم والفنون، وكانوا مطّلعين على التوراة عن طريق ترجمة (سبتوجنت) أي الترجمة اليونانية التي ظهرت قبل ميلاد المسيح بمئتين وست وثمانين سنة في عهد بطليموس فيلادلفوس.

ويضاف إلى ماتقدّم من كلام الشيخ رحمت الله على هذه البشارة أنّ بشارة سفر التثنية جاءت بعد ذكر فقرات كثيرة قبلها تتحدث عن بني إسرائيل وفسْقهم وعبادتهم الأوثان وذبحهم لغير الله، حتى وُصفوا بأنّهم لا أمانة فيهم، وأنّ الربّ رذَلهم، وحكمَ بأنْ يُغيظهم بأمّة جاهلة، وأنْ ينقل النبوة منهم إلى هذه الأمّة التي كانت محتقرة عند اليهود، ولاشك أنّها الأمّة العربية؛ لاشتهارها بالأمّية، ولم يكنْ يصْدق هذا الوصف على أية أمّة في ذلك الزمان وإلى القرن السادس الميلادي إلاّ على العرب، الذين كانوا في غاية الفوضى الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، واليهود لم يكونوا يحتقرون العرب لهذا فقط، بل كذلك لأنهم أبناء الأمَة هاجر زوجة إبراهيم وأمّ إسماعيل عليهما السلام.

وقد حاول بولس أنْ يصرف دلالة هذه البشارة عن العرب، ففي رسالته إلى أهل رومية ١/١٩-٢١ فسّر الأمّة الجاهلة بالأمّة اليونانية، وعلى نهجه سار المنصرون إلى اليوم، وذلك لأنّ الأمّتين اليونانية والرومانية دخلتا في الدين

البولسي الجديد، فأراد بولس بيان أنّ دخولهما في دينه أغاظ اليهودَ، وأنهما المقصودتان بهذه البشارة لا العرب.

والواقع والتاريخ ينفيان هذا التأويل البولسيّ:

أمّا الواقع: فلأنّ الله تعالى لم يُغظ اليهودَ بالأمّة اليونانية، بل إنّ اليهود أغاظوا أمَّة النصارى؛ لأنّهم كفروا بالمسيح وأهانوه، ثم صلبوه وحقّروه، وقتلوه شرّ قتْلة كما هو مصرّح به في أناجيلهم.

وأمّا التاريخ: فإننا إذا تتبعنا تاريخ اليهود وجدنا أنّ أكثر أمة أغاظت اليهود هي أمّة العرب بعد البعثة المحمدية، وأمّا الفرس والروم فإنهم وإنْ كانوا قد دمّروا مملكة اليهود وسبوهم أكثر من مرّة، إلاّ أنّهم لم تظهر فيهم نبوّة معادلة لنبوة موسى عليه السلام تكون سببًا لغيظ اليهود وحقدهم وغَيْرتهم.

أمّا أمّة محمدﷺ فقد سَبَتِ اليهودَ وأذلّتهم، وفي العرب ظهرتْ النبوة بعد انقطاعها في بني إسرائيل، حتى نافق اليهودُ للعرب وتملّقوهم وخافوهم، ولاشكّ أنّ في هذا غاية الإغاظة والإغارة لبني إسرائيل، ولاتتمّ الإغاظة والإغارة العامّة إلاّ بنقل النبوة منهم إلى العرب، وهذا ماحصل بفضل الله تعالى.

ومن فسّر هذه البشارة بنبوة المسيح عليه السلام، فقوله واهن لاقيمة له ولا يُلتفت إليه؛ لأنّ المسيح أُرسِل في بني إسرائيل ولايغار الإنسانُ من بنيه، لكنه قد يحصل له ذلك من بني إخوته وبني أعمامه وبخاصة إذا كانوا في نظره من المحتقَرين، كما هو الحال في نظرة بني إسرائيل لبني إسماعيل وأمّهم هاجر الذين اصطفاهم الله وجعل منهم خاتم النبيين، وأغاظ بهم بني إسرائيل بعد أنْ غيّروا شرْع التوراة وعبدوا الأوثان ونبذوا التوحيد، في الوقت الذي كان فيه العربُ غير سائلين عن الله ولايَقْدرونه حقَّ قَدْرِه ولاينزهونه، بل كانوا يتقربون إليه بالشفعاء وبعبادة الأصنام، ولم يكونوا يتوقعون خروج نبي منهم[1].

(١) الشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب ص ٩٣-٩٤، والجزيري: أدلة اليقين ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

البشارة الثالثة

(الاستعلان من جبل فاران)[1]

وهي بشارة بنبوة محمد ﷺ وبما يوحَى إليه

ورد في سفر التثنية ٣٣/١-٢ «(١) وهذه هي البَركةُ التي باركَ بها موسى رجُلُ اللهِ بني إسرائيل قبْلَ موته(٢) فقال: جاءَ الربُّ من سيناءَ وأشرقَ لهم من سَعِيرَ وتلألأ من جبلِ فارانَ وأتى مِنْ رِبْواتِ القدْسِ وعن يمينه نارُ شريعةٍ لهم»[2].

بيّن الشيخُ رحمت الله أنّ مجيءَ الربّ من سيناء هو إعطاؤه التوراةَ لموسى عليه السلام، وإشراقَه من ساعير هو إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام، وأمّا استعلانُه من جبل فاران فهو إنزالُه القرآن الكريم على محمد ﷺ؛ لأنّ فاران جبل من جبال مكة المكرمة، يدلّ على ذلك ما ورد في سفر التكوين ٢١/٢١ عند الحديث عن إسماعيل «وسَكَن في بَرِيَّة فاران»[3].

ولايقال: جاء الله من ذلك الموضع، إلاّ إذا نزل وحْيٌ في ذلك الموضع أو عقوبة أو ماأشبه ذلك، وقد اعترف أهلُ الكتاب أنّ الوحْيَ نزل بالتوراة في طور سيناء على موسى عليه السلام، فكذا لابد أنْ يكون في ساعير وفاران.

(١) ذكر هذه البشارة إبراهيم خليل أحمد في كتابه: محمد في التوراة والإنجيل ص ٣٥-٣٨، وبشرى زخاري ميخائيل في كتابه: محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل ص ٦٣.

(٢) جاء في الترجمة العربية المطبوعة في لندن سنة ١٨٢٣ و١٨٤٤م هكذا «وقال جاء الربُّ من سيناء وأشرق لنا من ساعير، استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنّة من نار». وفي طبعات لندن الحديثة تمّ حذف عبارة «ومعه ألوف الأطهار» لدلالتها الصريحة على أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك هو دأب القوم في إخفاء الحقّ ولبسه بالباطل. (الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ١١٣٤، والدكتور فاضل صالح السامرائي: نبوة محمد من الشكّ إلى اليقين، ط١، مكتبة القدس، بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٢٥٧).

(٣) في التوراة السامرية المطبوعة سنة ١٨٥١م تحديد فاران بأنّها في الحجاز فتقول «سكن بريّة فاران بالحجاز». (السامرائي: نبوة محمد من الشكّ إلى اليقين ص ٢٥٩).

ويُضاف إلى ماتقدّم من كلام الشيخ رحمت الله كذلك أنّ لفظ فاران عبراني، وألِفُه الأولى بدون همزة، وقد أجمع أهل الكتاب على أنّ ساعير هي المنطقة الممتدة من الخليل إلى القدس في فلسطين، وأنّ فاران هي مكة المكرمة، وأنّ المنطقة الواقعة بين سيناء ومكة المكرمة تسمى برّية فاران.

وقد ورد هذا اللفظ (فاران) في التوراة مراراً، ومعلوم بالاتفاق أنّ إسماعيل عليه السلام إنما سكن مكة المكرمة التي لم ينزل فيها كتاب، ولا ظهر فيها نبي بعده غير حفيده محمد ﷺ، وأنّ أول شيءٍ من القرآن نزل عليه كان في غار حراء الذي هو في أعلى جبال فاران، وأنّه اجتمع له ألوف الأطهار من الصحابة مالم يجتمع لغيره من الأنبياء عليهم السلام.

وماعَمَد المنصِّرون إلى حذف عبارة «ومعه ألوف الأطهار» إلاّ لوضوحها في آلاف الأطهار والأبرار من أصحاب محمد ﷺ الذين عزّ الدينُ بمتابعتهم له وجهادهم معه، لكن كتب الردود القديمة تروي هذه البشارة بإثبات معنى العبارة المذكورة كما يلي «ومعه ألوف الصالحين ومعه كتاب ناريّ»[1].

فإذا فكّر المنْصِفُ عَلِم مَن هو النبي الجائي من فاران ومعه ألوف الأطهار الصالحين، ومَن هو الذي أنزل الله عليه الكتاب الذي ما منه سورة إلا وفيها الوعيد على المخالفين بالنار وعذابها.

ولظهور هذه البشارة في الدلالة على نبوّة محمد ﷺ لجأ المنصّرون لإنكارها، ونفوا أنْ تكون دالّة على نبوةٍ من النبوات أصلاً، حتى ولا على عيسى عليه السلام؛ هروبًا من دلالتها على محمد ﷺ، وقد حاول بعضهم التغليط مدّعيًا أنّ سيناء وساعير وفاران جبال ثلاثة متقاربة في صحراء سيناء، وأنّ النور ظهر فيها دفعة واحدة، وهذا النور هو مجد الله المشاهد عيانًا[2].

(١) القرطبي: الإعلام ص ٢٦٥، والخزرجي: مقامع الصلبان ص ١٢٤، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص١٣٩، والشيخ عبدالعزيز آل معمر: منحة القريب ص ٩٦.

(٢) الجزيري: أدلة اليقين ص ٢٩٨ نقلاً عن كتاب ميزان الحق لفندر ص ٣١-٣١١.

وهذا التفسير بمجد الله المشاهد عِيانًا من أوضح الباطل وأكذبه؛ لأنّه لامعنى لظهور مجد الله في هذه المواضع الثلاثة غير الإشارة لنبوّة الأنبياء الثلاثة -موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام- وللنّور الذي في الكتب الثلاثة المنزلة عليهم في هذه المواضع المباركة، وبغير هذا الفهم لايكون للبشارة معنى صحيح يُعتمد عليه، وكذلك لايكون معنى صحيح للبركة في إسماعيل عليه السلام غير الإشارة لنبوة حفيده محمد ﷺ.

وهذه البشارة موافقة لقوله تعالى ﴿**والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين**﴾[1] حيث أشار لمواضع بعثة الأنبياء الثلاثة، لكنْ لمّا كان المقصود في القرآن التعظيم تدرّج من الأدنى إلى الأعلى؛ لأنّ رسالة موسى أعظم من رسالة عيسى، ورسالة محمد أعظم من رسالتيهما صلى الله عليهم وسلم، وكذلك مكة أقدس وأشرف من ساعير وسيناء.

ولمّا كان المقصود في التوراة هو الخبر التاريخي ذُكرتْ هذه المواضع الثلاثة مرتبة حسب زمان بعثة الأنبياء الثلاثة، فشبّه بعثة موسى بمجيء الفجر، وبعثة عيسى بشروق الشمس، وبعثة محمد ﷺ بالظهور والاستعلان في كبد السماء الذي هو أوضح من سابقيْه، وبه يتمّ النور على الخلائق ويكتمل، ولم ينتشر دين في الأرض مستعلنًا ماحيًا ظلمات الشرك والوثنية كالإسلام دين محمد ﷺ[2].

(١) سورة التين الآيات ١-٣.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣/ ٣٠٠-٣٠٢، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١٣٩، وإبراهيم أحمد: محمد في التوراة والإنجيل ص ٣٦، والجزيري: أدلة اليقين ص٢٩٩- ٣٠٠.

البشارة الرابعة

(البَرَكة بإسماعيل)

وهي بشارة بمحمد ﷺ

ورد في سفر التكوين ١٧/ ٢٠ «وأمّا إسماعيلُ فقد سمعتُ لكَ فيه. ها أنا أباركُه وأُثمِرهُ وأكثّره كثيراً جداً. اثنيْ عَشَرَ رئيسًا يلدُ وأجعلُهُ أمّةً كبيرةً»[1].

بيّن الشيخُ رحمت الله أنّ هذه بشارة بمحمد ﷺ؛ لأنّه لم يكن في ولد إسماعيل مَنْ كان له شَعب كبير غيره، ثم ذكر تعليق الإمام القرطبي[2] على استعمال اليهود لحروف أبجد التي يرمزون بها إلى اسم محمد ﷺ، حيث إنّ مجموع حروف كلمة محمد يساوي مجموع حروف كلمة (بماد ماد) العبرانية، والتي تترجم إلى (جداً جداً)، وكذلك قوله (الشعب كبير) ترجمة للكلمة العبرانية (لغوي غدول)، ويساوي مجموع حروفها كذلك مجموع حروف كلمة محمد؛ لأنه ليس في لغتهم حرف (ج) فيقع مكانه حرف (غ).

ثم ذكر الشيخ رحمت الله أنّ الحبر عبدالسلام- الذي أسلم في عهد السلطان العثماني بايزيدخان- صنّف رسالة سماها (الرسالة الهادية)، بيّن فيها أنّ أكثر

(١) وردت هذه البشارة في عدة مواضع من سفر التكوين ممايقوّي الاستدلال بها على نبوّة محمد ﷺ ويُبعد الوهْم عنها، من ذلك ما في سفر التكوين ١٦/١١-١٢ في خطاب الملَك لهاجر «(١١) وقال لها مَلاكُ الربّ ها أنت حُبْلى فتلدينَ ابنًا وتَدْعينَ اسمَهُ إسماعيلَ لأنَّ الربَّ قد سمِعَ لِمَذَلّتِكِ(١٢) وإنّه يكونُ إنسانًا وَحْشيًا. يَدُهُ على كلِّ واحدٍ ويَدُ كلِّ واحد عليهِ. وأمامَ جميعِ إخوتهِ يَسْكُنُ».

وفيه ٢١/١٣ و١٧-١٨ «(١٣) وابنُ الجارية أيضًا سأجعَلُهُ أُمّةً لأنّه نَسْلُكَ...(١٧) فسَمِعَ اللهُ صوْتَ الغلامِ. ونادَى مَلاكُ الله هاجَرَ من السماءِ وقالَ لها: مالَكِ ياهَاجَرُ. لاتخافي لأنَّ اللهَ قد سمعَ لصوتِ الغلامِ حيثُ هو(١٨) قومي احملِي الغلامَ وشُدّي يَدَكِ به. لأنّي سأجْعَلُه أُمّةً عظيمةً». وانظر كذلك نفس السفر ١٧/ ٥-٧.

وقد ذكر المهتدي إبراهيم خليل أحمد هذه البشارة في كتابه: محمد في التوراة والإنجيل ص ٣٧، كما ذكرها المهتدي بشرى زخاري ميخائيل في كتابه: محمد رسول الله هكذا بشّرت به الأناجيل ص٦٤.

(٢) انظر تعليق القرطبي وتفصيله لحساب الجمّل في كتابه: الإعلام بمافي دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٦٥- ٢٦٦.

أدلّة اليهود بحروف أبجد، وردّ فيها على اليهود الذين نفوا أنْ تكون كلمة (بماد ماد) رمزاً لاسم محمد ﷺ على ماتعارف عليه اليهود وأخفوه فيمابينهم[١].

ويُضاف لما تقدّم من كلام الشيخ رحمت الله أنّ هذه البشارات المتعددة في سفر التكوين تظاهرت على بيان وعد الله لإبراهيم وهاجر بتكثير نسلهما من إسماعيل حتى يكون أمّة كبيرة، ولا معنى لهذا الوعد غير الإشارة لنبوّة حفيده محمد ﷺ الذي بمبعثه عزّ العرب وتوحّدوا، وسادوا العالَم الذي الْتفّ حول قيادتهم حتى أصبحت يدهم على كل الشعوب.

والأمّة في عرف الشرع تطلق على القوم المبعوث فيهم نبي كأمّة موسى وأمّة عيسى، فكون إسماعيل أمّة لم يظهر ذلك إلاّ بأمّة محمد ﷺ؛ لأنّ الكلام وارد مورد المدح والتشريف لإسماعيل، ولا شرف له ولا مدح بكثرة النسل فقط إذا لم يكونوا على التوحيد والإيمان الذي جاء به حفيده محمد ﷺ، ومن أنكر هذا المعنى فليقل لنا أين هي الأمّة الكبيرة التي ظهرت لإسماعيل قبْل محمد عليهما الصلاة والسلام؟! بل أيّ معنى للبركة في إسماعيل ولسماع الله لهاجر ولإبراهيم في ابنهما إسماعيل غير هذا المعنى الصحيح؟![٢].

---

(١) أصل البشارة في التوراة وكما رواها ابن القيم وغيره (وأمّا في إسماعيل فقد قبِلتُ دُعاك ها أنا قد باركتُ فيه وأثْمرُه وأكبّره بماد ماد).

(انظر: هداية الحيارى ص ١٢٨).

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣/٣١٣، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١١٤- ١١٥ و١٤١- ١٤٢، وابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى ١/١٠٩- ١١٠، والخزرجي: مقامع الصلبان ص ١٢٣، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ص ١٣٨-١٣٩، والجزيري: أدلّة اليقين ص٢٧١، والبحراني: لسان الصدق ص٢٠٦.

البشارة الخامسة

(حتى يأتيَ شِيلونُ)

وهي بشارة بمحمد ﷺ

ورد في طبعة لندن سنة ١٩٥٢م وماتبعها من الطبعات الحديثة في سفر التكوين ٤٩/ ١٠ «لايزولُ قضيبٌ من يهوذَا ومشتَرِعٌ من بينِ رجليهِ حتى يأتيَ شِيلُونُ وله يكونُ خُضوعُ شُعوبٍ».

وقد روى الشيخُ رحمت الله هذه البشارة في إظهار الحق بروايتين:

رواية الترجمة المطبوعة سنة ١٦٢٥ و١٨٢٢ و١٨٣١ و١٨٤٤م وهي كما يلي: «فلا يزول القضيبُ من يهوذا والمدبِر من فخذهِ حتى يجيءَ الذي له الكلّ وإيّاه تنتظر الأمم».

ورواية الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١م وهي كمايلي: «فلا يزولُ القضيبُ من يهوذا والراسم من تحت أمره إلى أنْ يجيءَ الذي هو له وإليه تجتمع الشعوب».(١)

ثم بيّن الشيخ رحمت الله أنّ هذه بشارة بمحمد ﷺ استناداً إلى قول الحَبْر عبدالسلام في الرسالة الهادية، وقد روى هذا الحَبْرُ هذه البشارة بلفظ (الحاكم)

---

(١) يظهر أنّ المترجمين اختلفوا في ترجمة لفظ (شيلون)، فترجمه كلُّ واحد منهم بما ترجّح عنده؛ لأنّ هذا للفظ هو بمنزلة الاسم للشخص المبشّر به، فجاء في الترجمة اليونانية «الذي له الكل»، وجاء في الترجمة السريانية «الذي هو له»، وجاء في الترجمة اللاتينية «الذي سيرسَل»، ويقول مفسرو التوراة في تفسير هذا الموضع «حتى يأتي شيلون: هذه عبارة صعبة، لكنْ يبدو أنّ أفضل تفسير هو ذاك الذي يعتبرها نوعًا من الحديث عن المسيا إذا تحرّك الحرف الساكن- وهو أمر مسموح به في اللغة العبرية- فإنّ الكلمة يمكن أنْ تترجَمَ: الذي له».

(الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص١٠٩٩، ود. أحمد حجازي السقا: من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية، ط١، دار الأنصار، القاهرة،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٧٤).

بدل (القضيب)، ثم فسّر الحاكمَ بموسى عليه السلام، والقصد: شريعته، وفسّر الراسمَ بعيسى عليه السلام، وفسّر الذي تجتمع إليه الشعوب بمحمد ﷺ؛ لأنّه ما جاء صاحبُ شريعة بعد موسى وعيسى غيره.

ثم ذكر الشيخ رحمت الله نصّ كلام الحبر عبدالسلام حيث يقول:

«وفي هذه الآية دلالة على أنْ يجيءَ سيدُنا محمد ﷺ بعد تمام حُكْم موسى وعيسى... فعُلِم أنّ المرادَ من قول يعقوب في آخر الأيام هو نبينا محمد عليه السلام؛ لأنّه في آخر الزمان بعد مضي حُكم الحاكم والراسم ماجاء إلاّ سيدنا محمد عليه السلام، ويدلّ عليه أيضًا قوله (حتى يجيء الذي له) أي الحُكْم، بدلالة مساق الآية وسياقها، وأمّا قوله (وإليه تجتمع الشعوب) فهي علامة صريحة ودلالة واضحة على أنّ المراد منها هو سيدنا محمد؛ لأنّه ما اجتمعت الشعوب إلاّ إليه، وإنما لم يذكر الزبور لأنّه لا أحكام فيه، وداود النبي تابع لموسى، والمراد من خبر يعقوب هو صاحب الأحكام»[1].

وقد أيّد الشيخُ رحمت الله هذا التفسير، وبيّن أنّ المراد بالقضيب: السلطة الدنيوية، وأنّ المراد بالحاكم هو موسى عليه السلام؛ لأنّ شريعته جبرية انتقامية، وهذا يطابق معنى المدبِّر، وأنّ المراد بالراسم هو عيسى عليه السلام؛ لأنّه سائر على شريعة موسى، وعليه فلايصحّ تفسير لفظ (شيلون) بمسيح اليهود ولا بعيسى عليه السلام لأمرين:

أولهما: لأنّ السلطة والحُكْم الدنيوي زالا من آل يهوذا منذ أكثر من ألفي سنة، أي من عهد بختنصر، ولم يُسمع إلى الآن حسيس مسيح اليهود.

وثانيهما: لأنّه في زمن ظهور عيسى لم يكن لليهود حُكْم، بل سبق ظهورَه تدمير وقتل وسبي لليهود على يد أنتيوكس سنة ١٧٠ق.م، فكيف يصدق هذا الخبر على عيسى عليه السلام؟!

(١) إظهار الحق: بتحقيقي، ط١، ص١١٣٩-١١٤٢.

وقد كان يهود الجزيرة المنتظرون خروج النبي ذوي أملاك وحصون، وكانوا سادة لايطيعون أحداً، ولايخفى على أحد ما حلّ بهم من دمار وذلّ وذهاب العزّ والمُلك بظهور محمد ﷺ، فظهر أنّه عليه الصلاة والسلام هو المراد بهذه البشارة، وهو المراد برمز شيلون، وأنّ هذا الرمْزَ لاينطبق على عيسى عليه السلام، ولا على مسيح اليهود.

ويضاف لما تقدّم من تحليل الشيخ رحمت الله لهذه البشارة أنّ الفقرة فرّقت بين الحاكم (القضيب)، وبين الراسم (المدبّر)، وبين الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم وإليه تجتمع الشعوب، فهذا الأخير غير الأولين قطعًا، فكيف يكون هو عيسى الذي وردت صفته أنّه مدبّر وراسم دون الوصف الأخير؛ لأنّ الأمم والشعوب ماكانوا ينتظرونه ولا اجتمعوا إليه، بل تعاونوا على صَلْبه وقَتْله بزعم النصارى، ومعلوم قطعًا أنّ الشعوب ماجتمعت إلاّ لمحمد ﷺ ولاخضعت لغيره.

ثم إنّ هذه البشارة تبيّن استمرار شريعة موسى والنبوة في نسل يهوذا حتى يأتي شيلون الذي هو ليس من نسل يهوذا فينسخ هذه الشريعة ويُبطل العمل بها، وموسى من نسل يهوذا، كما أنّ عيسى من نسل يهوذا من جهة أُمِّه، وكانا يعملان بشرع التوراة، ولا صارف لكلمة (حتى) الموضوعة للغاية، فتعيّن أنّ شيلون المنتظَر غير موسى وعيسى عليهما السلام، وأنّه مستقل عنهما بشرعه.

وبغير هذا التفسير يختلّ المعنى فيصبح: لاتزول الشريعة والنبوة من نسل يهوذا حتى يأتي شيلون الذي هو من نسل يهوذا فيبطلها، وهذا معنى فاسد؛ لأنّ كلَّ أنبياء بني إسرائيل كانوا عاملين بشرع التوراة ولم ينسخوها، ولايقول أحد إنّ عيسى عليه السلام نسخ التوراة بالإنجيل، وما لقيَه على أيدي الرومان واليهود ينفي أنّه المراد بشيلون؛ لأنه لم تجتمع إليه الشعوب، وإنما تبعه أفراد

معدودون، وبعد رفعه تعرّضوا لكافة صنوف الأذى والاضطهاد، واجتمعت الشعوب ضدّهم، ثم طغت الوثنية والتثليث على دين التوحيد الصحيح الذي جاء به عيسى عليه السلام.

وبهذا يظهر أنّ مَن أسْلم من أحبار اليهود والتاريخَ وعلمَ الأنساب واللغةَ وسياقَ البشارة بنصوصها المختلفة كلّها تدلّ على أنّ المراد بشيلون هو النبيّ الآتي بعد عيسى عليه السلام، وأنّ شَرْعه ناسخ لما سبقه، ولم يظهر نبيٌّ ولا شرع بعد عيسى عليه السلام غير محمد ﷺ وشرْعه المستقل، وبغير هذا التفسير تكون البشارة لغواً من القول؛ لأنّ «مُلْك يهوذا قد انقطع من زمان بعيد، فكيف يستمر الملك في ذريته حتى يظهر شيلون؟! إنّه لو قال: ينقطع الملك من ذريته حتى يأتي شيلون فيجدّده لكان انتظارهم معقولاً، وعلى هذا فلامناص من أنّ المراد بالقضيب: النبوة، والمراد بشيلون: محمد رسول الله ﷺ، وذلك يكاد يكون صريحًا، ولكنْ لجهلهم بإدراك المعاني الدقيقة لم يحرفوها وتركوها على حالها»[1].

(١) الجزيري: أدلّة اليقين ص ٢٦٤.

البشارة السادسة

(سيف ذو شفرتين)[1]

وهي بشارة بجهاد محمدﷺ وبرياسته وبالتسبيح والأذان.

وردت هذه البشارة في عدة مواضع من كتب العهد القديم الملحقة بأسفار موسى الخمسة، وهي في المزمور ٤٥/١-١٧، وفي المزمور ١٤٩/١-٩، وفي سفر إشعياء ٤٢/١-١٧، وفي سفر دانيال ٢/١-٤٥، وفي رؤيا يوحنا ٢/٢٦-٢٩.

وأكتفي بنقل بعض الفقرات من كل موضع، ففي مزمور ٤٥/٣-٥ قال داود عليه السلام بعد أنْ تغنّى بصفات كثيرة للنبيّ المبشَّر به في أسفار موسى السابقة:

«(٣) تقلّدْ سيفَكَ على فخْذكَ أيها الجبّارُ جلالَك وبهاءَك(٤) وبجلالك اقتَحم. اركبْ. من أجْلِ الحقّ والدَّعَة والبرّ فتُريَكَ يمينُكَ مخاوفَ(٥) نبلُك المسنونةُ في قلْب أَعداءِ المَلك. شعوبٌ تحتَكَ يَسقُطون».

(١) البشارة السادسة إلى الثامنة عشرة في كتاب إظهار الحق من البشارات الواردة في الأناجيل وفي الأسفار الملحقة بالتوراة، وبيْن هذه البشارات مشابهة كبيرة وهي طويلة جداً، لذلك رأيتُ أنْ أجمع البشارات التي اتّحدت في ناحية أو ناحيتين بحيث يكون الكلام عنها موحّداً دون الحاجة لإعادة الكلام والتطويل الممل.

وقد أعطيتُ لكلّ مجموعة من البشارات المتشابهة عنوانًا يدلّ على مضمونها، والبشارة السادسة تتحدث عن جهاد محمدﷺ وتسبيح أمته ورفعها الأذان، ولايعني هذا أنّه ليس فيها كلام آخر عن صفات محمدﷺ وصفات أمته غير ماحدّده عنوانها، بل هذه البشارة ومايتبعها فيها أشياء لم تذكر في غيرها، ولكنْ لطول هذه البشارات وتمشّياً مع منهج المناظرة أردتُ الحديثَ عن مضمون واحد أو مضمونين مماورد في كلّ بشارة مع الإحالة لمواضعها المفصّلة فيها لمن أراد التوسع، وهذه البشارة السادسة وردت في كتاب إظهار الحق بالبشارات السادسة والسابعة والثامنة والحادية عشرة والسابعة عشرة، وقد توسّع فيها الشيخ رحمت الله وفصلها في كتابه، ولو كان مناظراً لَمَا توسع فيها ولَمَا زاد على أنْ يشير لمضمون أو مضمونين أساسيين؛ لأنّ موقف المناظر ووقته وانتظار الناس ولهفهم لايسمح له بالتوسع كما يسمح له الحال في الكتب المؤلّفة.

وفي المزمور ١٤٩/٥-٩ بعد أنْ طلب داود عليه السلام من بني إسرائيل أنْ يفرحوا بالنبي المبشر به قال «(٥) ليبتهجِ الأتقياءُ بمجْدٍ ليُرنّموا على مضاجعهم(٦) تنويهاتُ الله في أفواههمْ وسيفٌ ذو حدّيْن في يَدهم(٧) ليصنعوا نقمةً في الأمم وتأديباتٍ في الشعوب(٨) لأسْرِ ملوكهم بقيودٍ وشُرفائهم بكُبولٍ من حديدٍ(٩) ليُجْروا بهم الحُكْم المكتوبَ. كرامةٌ هذا لجميعِ أتقيائه»[1].

وفي سفر إشعياء ٤٢/١٠-١٣ و١٧ «(١٠) غنّوا للربّ أُغْنيّةً جديدةً، تسبيحَهُ من أقصى الأرضِ أيّها المُنْحدرون في البَحْرِ وملْؤُهُ والجزائرُ وسكانُها(١١) لتَرْفعِ البريّةُ ومدُنُها صوتَها. الدّيارُ التي سكنها قيدارُ. لتترنّمْ سكانُ سالعُ. من رؤوس الجبال ليهتفوا(١٢) ليُعطوا الربَّ مجْداً ويُخْبروا بتسبيحه في الجزائر(١٣) الربُّ كالجبّار يَخرُجُ. كرجلِ حُروبٍ يُنهضُ غَيْرتَه. يَهتفُ ويَصْرُخُ ويَقْوى على أعدائه...(١٧) قد ارتدّوا إلى الوراءِ. يَخْزَى خزْيًا المتّكلونَ على المنحوتاتِ القائلونَ للمسبوكاتِ أنتنَّ آلهتُنا»[2].

وفي سفر دانيال ٢/١-٤٥ رؤيا للملك نبوخذ نصر أكتفي بذكر الفقرتين الرابعة والأربعين والخامسة والأربعين إذْ يقول فيهما دانيال بعد تفسيره لرؤيا الملك «(٤٤) وفي أيّامِ هؤلاء المُلوك يُقيمُ إلهُ السماوات مملكةً لنْ تنقَرضَ أبداً ومَلِكُها لايُتْرَكُ لشعبٍ آخَرَ وتَسْحقُ وتُفْني كلَّ هذهِ الممالكِ وهي تَثْبتُ إلى

---

(١) في رواية إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ١١٥٤، مايلي:

«(٦) ترفيع الله في حلوقهم وسيوف ذات فمين في أياديهم(٧) ليصنعوا انتقامًا في الأمم وتوبيخاتٍ في الشعوب(٨) ليقيّدوا ملوكهم بالقيود وأشرافهم بأغلال من حديد(٩) ليصنعوا بهم حُكْمًا مكتوبًا. هذا المجد يكون لجميع أبراره» وكذلك في كتب الردود الإسلامية القديمة.

(٢) هذه الفقرات في رواية إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ١١٥٥، كمايلي:

«(١٠) سبّحوا للرب تسبيحةً جديدة حمْدَهُ من أقاصي الأرض راكبين في البحر وملْوْه الجزائر وسكانهن...(١٣) الربّ كجبّار يخرج مثل رجل مقاتل يهوّش الغيرة يصوّت ويصيح على أعدائه يتقوى...(١٧) اندبَروا إلى ورائهم فليخزوا خزيًا المتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة إنْ أنتم آلهتنا».

الأبد(٤٥) لأنّكَ رأيتَ أنّه قـد قُطِع حـجَرٌ من جَبَلٍ لا بيـديْنِ فَسَحقَ الحـديدَ والنُّحاسَ والخَزَفَ والفضَّةَ والذّهبَ. اللهُ العظيمُ قدْ عـرّفَ الملِكَ ما سيـأتي بعْدَ هذا. الحُلْمُ حقٌّ وتعبيرُه يقينٌ»[1].

وفي سفر المشاهدات أي رؤيا يوحنّا ٢/٢٧ «فيَرعاهمْ بقضيبٍ من حديدٍ كما تُكْسَر آنيةٌ من خَزَفٍ».

هذه البشـارات الخمس اشـتركت في ذكْر صـفاتِ مـحمد ﷺ وأخلاقـه وجهاده وصفاتِ أُمّته وتسبيحها وأذانها، وقد توسّع الشيخ رحمت الله في تفصيلها، وهي تتضمّن مضمونيْن أساسيّيْن ظاهريْن في محمد ﷺ وأُمّته وهما:

القتال بالسيف ورفع الأذان، وملخص كلام الشيخ فيهما مايلي:

إنّ أهل الكتاب مجمعون على أنّ هذه البشارات الخمس تبشّر بنبي في آخر الزمان له صفات كثيرة أهمها: كونه متقلّداً بالسيف ذي الشفرتين، ونبله دائمًا مسنونة، ويسقط تحته الشعوب، وكذلك أُمّته في أيديهم هذه السيوف التي ينتقمون بها من الأمم، ويوبخون الشعوب، ويقيّدون ملوكهم وأشرافهم بالقيود، ناشرين شريعة نبيهم التي طالما انتظرتها الأمم، وهم يسبحون الله تعالى تسبيحًا جديداً في كل مكان: أي عبادةً على نهج جديد، وترفيع الله في حلوقهم: أي ينادون بالأذان؛ فتفرح بهم المناطق التي سكنها قيدار والمناطق التي فيها جبل اسمه جبل سالع، وأتباع هذا النبيّ يقيمون مملكة قوية تدكّ كلّ ممالك الأرض، وكما دكّ الحجرُ صنمًا من خزف وفضة وذهب ونحاس وحديد فسحقه، فإنّ هذه المملكة تسحق الوثنية والشرك والظلم، وتنشر التوحيد والعدل، وترعى الأمم بقضيب من حديد، وليس لملْكها انقضاء.

والآن بعد أنْ وافقَنَا أهلُ الكتاب على صفات هذا النبي المبشَّر به وصفات

(١) ذكر هذه البشارة المهتدي إبراهيم خليل أحمد في كتابه: محمد في التوراة والإنجيل ص ٤٠-٤١، وقد وردت في الإصحاح السابع من سفر دانيال رؤيا لدانيال نفسه، وتفسيرها مطابق لتفسير دانيال لرؤيا الملك نبوخذ نصر.

أمّته ومملكته وعبادته واسم منطقته، فلننظر مَن الذي تنطبق عليه هذه الصفات؟

لقد زعم اليهود أنّه سليمان عليه السلام، وزعم النصارى أنّه عيسى عليه السلام.

وقد ردّ الشيخ رحمت الله على هذا الزعم بأنّ سليمان ماوسّع مملكته على مملكة أبيه، وأهلُ الكتاب يزعمون أنّه صار مرتدّاً عابداً للأصنام في آخر عمره كما في سفر الملوك الأوّل ١١/١-١٣- قاتلهم الله أنّى يؤفكون، فالمملكة الوثنية بعيدة بمراحل كثيرة عن الأوصاف المذكورة في هذه البشارات[١].

وأمّا بالنسبة لعيسى عليه السلام فلم يتقلّد السيف، ولا كانت نبله مسنونة[٢]، بل هو بزعمهم أُخِذَ وصُلِبَ وقُتِلَ، وأصحابه شُرِّدوا وقُتّلوا بأيدي الملوك الوثنيين؛ فاندرست معالم دينه، وطغت عليه الوثنية والتثليث.

ولاتصْدق هذه البشارات إلاّ في محمد ﷺ؛ لأنّه هو نبي السيف والجهاد، وهو الذي دخل الناس في دينه أفواجًا، وقاتلت أُمَّتُه من بعده لنشْر دين التوحيد حاملة سيوفًا ذات شفرتين، فأسَرت الملوكَ والأشرافَ، وسَحقت الممالكَ المذكورة في رؤيا نبوخذ نصر وهي ممالك الفرس والروم، وكوّنتْ مملكةً قوية ترعى الأمم بقضيب من حديد، وترفيعُ الله في حلوق المؤذنين الذين ينادون في الأوقات الخمسة بصوت عال: أشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله، أشهدُ أنّ محمداً رسولُ الله، وهذه الأُمَّة تسبّح الله في سَفَرِها وتهلّله وتكبّره على كلّ شَرَفٍ وفي كل وادٍ، وتلبّي في الحج بأصوات مرتفعة، وعلى أيدي هذه الأمّة زالت وثنية العرب والفرس والروم وكابل وبعض مناطق الهند، وقد أشارت فقرة سفر إشعياء ١٣/٤٢ إلى مضمون الجهاد إشارة حسنة بأنّه جهاد لله وبأمره، خالٍ عن حظوظ

(١) اليهود مازالوا بانتظار نبي هذه صفاته وصفات أُمّته، ولن يفرحوا بلقائه وربّ الكعبة إلاّ بلقاء المسيح الدجال.

(٢) يُؤَوِّل بعض النصارى هذه البشارة بأنّها نبل المسيح في قلب الشيطان، ويظهر أنّ هذه النبال لم تؤثر في الشيطان؛ لأنّه استطاع إغواء اليهود فكفروا بالمسيح واتهموه وأمّه بالفاحشة، ثم أهانوه وصلبوه وقتلوه بزعمهم.

(الجزيري: أدلّة اليقين ص ٣١٢).

الهوى النفسانية، ولذلك عبّر عن خروج هذا النبي وتابعيه للجهاد بخروج الربّ.

ثم نقل الشيخُ رحمت الله محاورةً جرت بين الشيخ عباس علي الجاجموي الهندي (صاحب كتاب صولة الضيغم على أعداء ابن مريم) في مناظرته للقسيسيْن (وَيْت ووليم) سنة ١٢٤٨هـ، وفيها أنّ الشيخ عباس قال لهما: إنّ صاحب القضيب من حديد هو محمد ﷺ، فقالا له: إنّ عيسى حَكَم بهذا لكنيسة ثياثيرا[1]، فلابدّ أنْ يكون ظهور هذا النبيّ المبشَّر به هناك ومحمد ما راح هناك.

فسألهما الشيخ عباس عن مكان هذه الكنيسة، وبعد رجوعهما إلى القواميس أجابا بأنّها قرب استانبول، فقال لهما: إنّ أصحاب محمد ﷺ راحوا إلى تلك المنطقة وفتحوها ونشروا فيها الإسلام[2].

ويُضاف إلى ماتقدّم من كلام الشيخ رحمت الله أنّه ممايؤكد صدْق هذه البشارات في محمد ﷺ أنّ أهل الكتاب كانوا ينتظرون نبيّاً يبعث بالسيف، وهي أعظم صفة كانوا يتناقلونها فيما بينهم ويعلّمونها لأبنائهم من صفات النبيّ المبشَّر به.

وهنا يرِد سؤال على المنصّرين:

أين هي أمّة عيسى التي حملت سيوفًا ذات شفرتين[3] وجاهدت الوثنيين؟! أليست تقشعرّ جلود النصارى من نسبة الجهاد للمسيح ويجعلون الجهاد من أعظم مطاعنهم على رسول الإسلام محمد ﷺ؟! أليس محمد ﷺ هو الذي حارب الأعداء ورمى وحثّ على الرمي، وصمد في المعارك وحده كما في غزوة أحد وحنين؟! أليس محمد ﷺ هو الذي قاد الغزوات وعليه كَرَمُ النبوة وهيْبةُ الملوك

(١) مدينة في آسيا الصغرى جنوب شرق أزمير كان فيها سبع كنائس. (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٠).
(٢) انظر «إظهار الحق» بتحقيقي، ط١، ص ١١٨٤-١١٨٥.
(٣) السيوف العربية بشفرتين، والسيوف العجمية بشفرة واحدة. (الجواب الصحيح ٣/٣١٧).

وبَهاء السلطان؟! أليست أُمّته في الجهاد والحج والسفَر تسبح اللهَ بالتسابيح الجديدة والأذان الذي يُرفع في كلّ شَرَفٍ ووادٍ ويصلّون حيث أدركتهم الصلاة؟! أليس النصارى لايصلّون إلاّ في كنائسهم بعد ضرب الناقوس صلاة لايفهمون معنى ألفاظها اللاتينية وكلها شرك بالله؟! أليست البشارات حدّدت ظهور النبي المبشَّر به في منطقة قِيدار وسلع؟! أليس قِيدار هو ابن إسماعيل لصلْبه وبإجماع أهل الكتاب أنّه كان يسْكن مكة المكرمة؟! أليس جبل سلع مازال معروفًا إلى الآن في المدينة المنورة وسكانه من الأنصار الذين هتفوا منشدين فرحًا بمقْدم محمدﷺ إلى بلدهم؟! فهل ظهر نبي في مكة من نسل قِيدار بن إسماعيل ثم هاجر إلى مكان فيه جبل سلع - أي المدينة المنورة - غير محمدﷺ؟! وبعد فهل هذا بَعْثُ المسيح أم بَعْثُ محمد عليهما الصلاة والسلام؟![1].

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٤/٤، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١٤٣-١٤٤ و١٦٥، والقرطبي: الإعلام ص٢٦٦-٢٧٨، والخزرجي: مقامع الصلبان ص ١٣٣-١٣٧، وابن حزم: الفصل ١/١١٢، وابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى ١/١١٤-١١٥، والجزيري: أدلّة اليقين ص ٣٠٤، والبحراني: لسان الصدق ص ٢١٣-٢٢٥.

البشارة السابعة

(ولادة العاقر)(1)

وفيها إشارة لمكة المكرمة وشعبها وقصم المعتدين عليها

ورد في سفر إشعياء ٥٤/١-١٧ «(١) ترنّمي أيتها العاقرُ التي لمْ تلدْ أشيدي بالترنّم أيتها التي لم تَمْخَض لأنَّ بني المستوحشة أكثرُ من بني ذات البعْلِ قال الربُّ(٢) أوسعي مكانَ خيمتك ولْتُبْسَطْ شُقَقُ مَساكنك. لاتُمْسكي. أطيلي أطْنابَك وَشَدّدي أوْتَادك(٣) لأنّك تَمتدّينَ إلى اليمينِ وإلَى اليَسارِ وَيَرثُ نسلُك أممًا ويُعْمَرُ مدُنًا خربةً(٤) لاتخافي لأنّك لاتَخْزَيْنَ.ولاتخجلي لأنك لاتَسْتَحينَ. فإنّك تَنْسَيْنَ خزْيَ صِباك وعارُ ترمُّلك لاتذكرينه بَعْدُ(٥) لأنّ بعْلَك هو صانعُك ربُّ الجُنود اسمُهُ وَوَليُّك قُدُّوسُ إسرائيلَ إلهَ كلِّ الأرضِ يُدعَى(٦) لأنّه كامرأةٍ مهجورةٍ ومحزونةِ الروحِ دعاك الربُّ وكزوجة الصِّبا إذا رُذلتْ قال إلهك(٧) لُحَيْظَةً تركتُك وبمراحمَ عظيمةٍ سأجْمَعُك(٨) بفيَضَانِ الغضبِ حجبتُ وجهي عنْك لَحظةً وبإحسان أبديّ أرحمُك قال وليُّك الربُّ(٩) لأنّه كمياه نوح هذه لي. كما حلفْتُ أنْ لاتَعْبُرَ بَعْدُ مياهُ نوحٍ على الأرضِ هكذا حلفْتُ أنْ لا أغضبَ عليك ولاأزْجُرَك(١٠) فإنّ الجبالَ تزولُ والآكامَ تتزعزعُ أمّا إحساني فلايَزولُ عنْك وعهْدُ سلامي لايتزعزعُ قال راحمُك الربُّ(١١) أيتها الذليلةُ المضطربةُ غيرُ المتعزّية هاأنذا أبني بالإثْمد حجارتَك وبالياقوت الأزرق أؤَسّسُك(١٢) وأجعلُ شُرَفَك ياقوتًا وأبوابَك حجارةً بَهْرمانيّةً وكلَّ تُخومك حجارةً كريمةً(١٣) وكلَّ بنيك تلاميذَ الربّ وسلامَ بنيك كثيراً(١٤)بالبرّ تُثَبَّتينَ بعيدةً عن الظّلمِ فلا تخافين وعن الارْتعابِ فلا يدْنو منك(١٥) ها إنّهم

(١) هذه هي البشارة التاسعة في إظهار الحق، انظره بتحقيقي، ط١، ص ١١٥٨، وقد ذكرها المهتدي بشرى زخاري ميخائيل في كتابه: محمد رسولُ الله هكذا بشّرت به الأناجيل ص ٦٧-٦٨.

يجتمعونَ اجتماعًا ليس من عندي. مَن اجتمعَ عليك فإليك يَسقُطُ(١٦) هاأنذا قدْ خلقتُ الحدّادَ الذي يَنفخُ الفَحْمَ في النارِ ويُخرجُ آلةً لعَمَلِه وأنا خَلقْتُ المُهْلكَ ليَخْرِبَ(١٧) كلُّ آلةٍ صُوِّرتْ ضدّكِ لاتَنْجَحُ وكلُّ لسانٍ يقومُ عليك في القضاءِ تَحْكُمينَ عليه. هذا هو ميراثُ عبيدِ الربِّ وبِرُّهمْ مِنْ عندي يقولُ الربُّ».

بعد ذكْر هذه البشارة بيّن الشيخُ رحمت الله أنّ المرادَ بالعاقر في الفقرة الأولى هي مكة المكرمة؛ لأنّها لم يظهر منها نبيٌّ بعد إسماعيل عليه السلام، ولم ينزل فيها وحي، بخلاف القدس التي ظهر فيها أنبياء كثيرون.

والمراد ببني الوحشة هم أولاد هاجر من ابنها إسماعيل أي العرب؛ لأنها كانت بمنزلة المطلّقة المخرَجة عن البيت الساكنة في البرّ[1]، والمراد ببني ذات رجل هم أولاد سارة من ابنها إسحاق جدّ بني إسرائيل.

فخاطب الله مكة المكرمة آمراً لها بالتسبيح والتهليل والشكر؛ لأنّ كثيرين من أولاد هاجر (الأمَة) صاروا أفضل من أولاد سارة (الحرّة)، ومن هاجر وأولادها خاتم النبيين محمدﷺ، وهو المراد بالحدّاد الذي ينفخ في النار جمراً؛ لأنّه قاتَل المشركين وأهلَ الكتاب فذلّوا له، فمنهم من دخل في دينه، ومنهم من دفع له الجزية.

وبسبب هذا النبي حصل لمكة ومعبدها من السعة مالم يحصل لمعبد آخر، والتعظيم الحاصل لها في كل سنة والقرابين المقدَّمة عندها لله لم يحصل لبيت المقدس إلاّ مرتين: مرّة في عهد سليمان، ومرة في السنة الثامنة عشرة من سلطنة الملك يوشيا[2] ثم انقطع هذا التعظيم، أمّا تعظيم مكة المكرمة وكعبتها (البيت العتيق) ومسجدها الحرام فإلى آخر الدهر إنْ شاء الله؛ لأنّها حسب نصّ

(١) وهذا هو وصف ابنها إسماعيل كذلك، ففي سفر التكوين ١٢/١٦ «وإنّه يكون إنسانًا وحْشيّاً».

(٢) ملك يهودي مؤمن، حارب الوثنية، وحاول إعادة رسوم التوراة، حكم من سنة ٦٣٨- ٦٠٨ ق.م، وقد رمّم الهيكل من الخراب (قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٩).

البشارة لاتخزى ولاتخجل من الترمّل بعد أنْ رحمها الله رحمة أبدية، وكتب لها سلامًا أبديّاً، وحلف أنْ لايغضب عليها، وسلاطين الإسلام سلفًا وخلفًا مجتهدون في بناء الكعبة الشريفة والمسجد الحرام وتقديم الخدَمات الجليلة لهما.

وقد ورث زرعُ مكة- أي المسلمون- الأممَ شرقًا وغربًا، وعمروا المدنَ في مدة قليلة لم يحصل مثلها لأحدٍ من الأنبياء قبل محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، وكلٌّ من اجتمع على مكة يسقط، وكل آلةٍ صوِّرت ضدها لاتنجح[١]، وضرب الشيخ رحمت الله مثَلاً بقصة أصحاب الفيل، وبأنّ الدجال لايدخلها ويرجع عنها خائبًا.

ويضاف إلى ماتقدم من كلام الشيخ رحمت الله أنْ يقال: إنّ هذه البشارة واضحة في مكة المكرمة وكعبتها لا في القدس وهيكل سليمان؛ لأنّ الهيكل قد دمّر نهائيّاً، وكذلك مدينة القدس لم تَسْلَم من التدمير بأيدي الوثنيين الفرس والروم أكثر من مرّة، فكيف يصحّ أن يُقال: إنّ كلَّ آلة صوّرت ضد القدس لاتنجح؟! لكنّ مكة بكّت الأعداء؛ أي هشمتْهم ومزّقتْهم وكسرتْ أعناقَهم وقهرتْهم في الوقت الذي كان أهلها وثنيين.

وفي قوله «وليُّك قدُّوسُ إسرائيلَ إلهَ كلِّ الأرضِ يُدْعى» إشارة لطيفة إلى عموم رسالة النبي الخارج من مكة المكرمة وختمه الرسالات؛ لأنّ وليّ مكة يُدعى إله كلِّ الأرض، يعني أنّه ربّ العالمين وإلهُهم، لا إله شَعْب معيّن كما هو زعم اليهود، فليس شعب أحقّ بالهداية من شعب آخر.

وبهذا المفهوم الإسلامي للدعوة انطلق الصحابةُ لتبليغ دين التوحيد لكلّ أهل الأرض؛ فورثوا قيادة الأمم، وصارت الخرائب في الحكم الإسلامي عمرانًا في مدة وجيزة، كما هو نصّ البشارة «ويَرِثُ نسلُكِ أُمماً ويُعْمِرُ مدنًا خَرِبة».

وفي الفقرة ١٣ «وسلامَ بنيكِ كثيراً» والسلام هو تحية أهلِ الإسلام المنتسبين

(١) لذلك كان من أسمائها بكّة؛ لأنّها تبكّ الأعداء وتقهرهم.

إلى مكة المكرمة، وليس هناك أمّة تحيتها السلام- وتُكْثِر منه في جميع الأحوال والأوقات، وهو داخل في عبادة الصلاة- غير أمّة محمد ﷺ.

وفي كتب الردود الإسلامية القديمة ورد في هذه البشارة مايلي:

«ويسمّيك الله اسمًا جديداً... وتُفْتَحُ أبوابك بالليل والنهار لاتغلق ويتخذونك قبلةَ وتُدْعَيْنَ بعد ذلك مدينة الربّ... أبشري واهتزي أيتها العاقر التي لم تَلِدْ وانطقي بالتسبيح وافرحي ولم تحبلي فإنّ أهلك يكونون أكثر من أهلي»(١).

أليس قد سمّاها اللهُ بَكّة ولم يكن العرب يسمونها بذلك قبل الإسلام؟! أليست هي قبلة المسلمين وأبواب مسجدها الحرام لاتغلق ليلاً ولا نهاراً؟! فهل يشكّ أحد في أنّها مدينة الربّ؟! إننا نطلب من المعاندين أنْ يدلّونا على مكان آخر في العالَم سمّاه اللهُ اسمًا جديداً وهو قبلة للمؤمنين به ولايغلق بابه ليلاً ولانهاراً وكان عاقراً فولد نبيّاً واحداً ورِثَ زرعُه الأممَ؟!

إنّه لايمكن أنْ تَدُلّ هذه البشارة على غير مكة ونبيّها محمد ﷺ، بل هي نصّ فيهما، وبغير هذا تكون البشارة لا وجود لمدلولها إلاّ في الخيال.

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣٢٧/٣، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١٤٩-١٥٠، والقرطبي: الإعلام ص٢٧٨-٢٧٩، وابن الجوزي: الوفا ١/ ١٢٠-١٢١، والخزرجي: مقامع الصلبان ١٧٩-١٨١.

البشارة الثامنة

(بشارة المَلَكوت)[1]

وهي بشارة بنقل النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل

تتضمن هذه البشارة تبشير المسيح عليه السلام بملكوت السماوات الذي هو النبوّة الخاتمة، وقد ضرب المسيح عدة أمثال لهذا الملكوت مبيّنًا سبب نزع النبوة من بني إسرائيل وإعطائها لبني إسماعيل، ولمّا كان مضمون خبر البشارة والأمثال واحداً، رأيت الحديث عنها معًا في هذه البشارة.

ورد في إنجيل متى ٣/١-٢ «(١) وفي تلك الأيامِ جاءَ يوحنّا المَعْمَدانُ يَكْرِزُ في بَرِّيّةِ اليهوديّة(٢) قائلاً: توبوا لأنّه قد اقتربَ ملكوتُ السماوات».

وفيه ٤/١٢ و١٧ و٢٣ «(١٢) ولمّا سمعَ يسوعُ أنّ يوحنّا أُسْلِمَ انصرفَ إلى الجليل... (١٧) من ذلك الزمان ابتدأ يسوعُ يَكْرِزُ ويقول: توبوا لأنّه قد اقتربَ ملكوتُ السماواتِ... (٢٣) وكان يسوعُ يطُوفُ كلَّ الجليلِ يُعَلِّم في مجامعهمْ ويَكْرِزُ ببشارةِ الملكوتِ».

وفيه ٦/١٠ علّم المسيحُ تلاميذَه أنْ يدْعوا في الصلاة قائلين: «لِيأتِ ملَكُوتُكَ. لِتكُنْ مَشيئتُكَ كما في السماءِ كذلك على الأرض».

وفي إنجيل لوقا ١٠/٩-١١ لمّا أرسل المسيحُ الحواريين إلى البلاد للدعوة وصّاهم بوصايا منها «(٩) وقولوا لهم قد اقتربَ منكم ملكوتُ الله(١٠) وأيّةُ مدينةٍ دخلتُموها ولم يَقْبلُوكم فاخْرُجوا إلى شَوارِعها وقولوا(١١) حتى الغُبَارُ

(١) هذه البشارة من بشارات العهد الجديد من إنجيليْ متى ولوقا، وهي في البشارات الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة في إظهار الحق، انظره بتحقيقي، ط١، ص ١١٧٣-١١٨١.

الذي لَصِقَ بنا من مدينتكم ننفُضُه لكم ولكنِ اعلموا هذا أنّه قد اقتربَ منكم ملكوتُ الله»[1].

وبعد أنْ أوْردَ الشيخُ رحمت الله هذه البشارة بيّن اتفاق يحيى والمسيح وتلاميذه على التبشير باقتراب ملكوت السماوات، ومعنى هذا أنّه كما لم يظهر هذا الملَكوتُ في عهد يحيى فكذلك لم يظهر في عهد عيسى ولا في عهد تلاميذه؛ لأنّهم كلّهم أخبروا بفضله وقرب مجيئه، وعليه فلايصحّ أنْ يكون المراد به طريقة النجاة التي جاء بها عيسى عليه السلام، وإلاّ لَمَا قالوا في التبشير: «قد اقترب منكم» ولقالوا: جاء، ولَمَا دعوا الله في صلاتهم طالبين منه إتيان الملكوت، وقد كان عيسى عليه السلام موجوداً معهم.

ويُضاف إلى ذلك أنّ يحيى عندما بشّر بملكوت السماوات وبخاتم النبيين كان عيسى حاضراً معه، وهما متقاربان في السنّ؛ لأنّ يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وهو الذي عمّده، وقد واصل عيسى التبشير بهذه البشارة بعدما قُتِل يحيى عليه السلام، فبشارتهما واحدة.

ثم إنّ عيسى ويحيى لم يكونا صاحبيْ شريعة جديدة، فقد كانا- كغيرهما من أنبياء بني إسرائيل- على شريعة التوراة التي كان فيها النجاة لموسى وأتباعه قبل مجيء يحيى وعيسى، ومفهوم البشارة أنّها طريقة جديدة للنجاة تخالف بشريعتها كلّ ماسبق، وهي في آخر الزمان، وهذا واضح من قول المسيح محذّراً من الأنبياء الكذَبة وآمراً بالصبر حتى يأتي النبي الصادق، فهو يقول في إنجيل متى ٨/١١-١٢:

«(١١) وأقولُ لكم: إنّ كثيرين سيأتونَ من المشارقِ والمغاربِ ويَتّكئُونَ مع إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ في ملَكوت السماوات(١٢) وأمّا بَنُو الملَكوتِ فيُطرحونَ إلى الظُّلْمةِ الخارجيةِ. هناك يكونُ البُكاءُ وصَريرُ الأسنان».

---

(١) انظر كذلك إنجيل متّى ٧/١٠، وإنجيل لوقا ٢/٩.

وفيه ٢٤/١١-١٤ «(١١) ويقومُ أنبياءُ كَذَبَةٌ كثيرونَ ويُضلّون كثيرينَ(١٢) ولكثرةِ الإثمِ تَبْرُدُ محبَّةُ الكثيرين(١٣) ولكنِ الذي يصْبِرُ إلى المنتهى فهذا يَخْلُصُ(١٤) ويُكْرَزُ ببشارةِ الملَكوتِ هذهِ في كلِّ المَسْكونة شهادةً لجميعِ الأمَم. ثم يأتي المُنتَهَى».

وفي إنجيل مرقس ١/١٤-١٥ «(١٤) وبعدما أُسْلِم يُوحنّا جاءَ يسوعُ إلى الجليل يَكْرِزُ ببشارةِ ملَكوتِ اللهِ(١٥) ويقول قد كَمَلَ الزمانُ واقتربَ ملكوتُ الله».

فالمسيحُ أثناءَ تبشيره باقتراب الملكوت لم يقل: إنّه آخر نبي، وتحذيره من الأنبياء الكَذَبَة يدلّ على ظهور أنبياء كَذَبَة بعده، لكنّه لاينفي ظهور النبيّ الصادق، كيف وهو قد أمر بالصبر إلى آخر الزمان حتى يخرج النبيُّ الصادقُ، والذي من علاماته أنْ تعمَّ دعوتُه جميعَ المسكونةِ، وتشهدَ له كلُّ الأمم، وأنّ أتباعه يكونون أتباعًا لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وهم ليسوا من ذرية بني إسرائيل، وبنو الملكوت- يعني ذرية بني إسرائيل؛ لأنّ النبوّات بقيت فيهم دهراً طويلاً، لكنهم كفروا بالله ونبذوا الشريعة وقتلوا الأنبياء- سيُطرحون إلى الظُلْمةِ الخارجية، وتتحوَّل عنهم النبوة، ويتبرّأ منهم أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء عليهم السلام.

فهل بقي أدنى شكّ في أنّ المقصود بهذه البشارة هو محمدﷺ وأُمّته؟! وهم إنما جاءوا في آخر الزمان، وأمّا بنو إسرائيل فكانوا حاضرين مع المسيح، والنصّ أخرجهم من البشارة بدلالته على الاستقبال.

ثم بيّن الشيخُ رحمت الله أنّ لفظ الملكوت بحسب الظاهر يدلّ على كونه في صورة السلطنة لا في صورة المسْكنة، وأنّ المحاربةَ فيه والجدال مع المخالفين يكونان لأجْله، وأنّ مبنى قوانينه لابد أنْ يكون كتابًا سماويّاً. وكلُّ هذه الأمور تصْدُق على نبوة محمدﷺ وعلى شريعته صدْقًا بيّنًا.

ويضاف إلى ذلك أنّ دلالة الملكوت على السلطنة لا على المسكنة تنفي تفسير النصارى لهذه البشارة بأنّها تعني سلطنة المسيح الروحية التي يخضع لها المؤمنون خضوعًا أدبيًا، وهذا النفْيُ تؤيده رؤيا دانيال ورؤيا نبوخذ نصر كما في الإصحاحين الثاني والسابع من سفر دانيال، فقد فسّر دانيالُ هاتين الرؤيين بمملكة نبي في آخر الزمان تسحق الممالك المجاورة لها، وأكتفي بنقل الفقرات ١٤ و١٨ و٢٣ و٢٧ من الإصحاح السابع من سفر دانيال؛ لبيان تفسير دانيال للرؤيا بالسلطة والملكوت:

«(١٤) فأُعطِيَ سُلطانًا ومجْداً وملَكوتًا لتتعبَّدَ له كلُّ الشُّعوبِ والأممِ والألْسنَة. سُلطانُه سلطانٌ أبَديٌّ مَا لَنْ يزوَلَ وملكوتهُ ما لا يَنقرضُ...(١٨) أمّا قدّيسو العَليّ فيأخذونَ المملَكةَ إلى الأبَد وإلى أبَد الآبدينَ...(٢٣) أمّا الحيوانُ الرابعُ فتكونُ مملكةٌ رابعةٌ على الأرض مخالفةٌ لسائرِ الممالكِ فتَأكُلُ الأرضَ كلَّها وتَدُوسُها وتَسْحَقُها...(٢٧)ملكوتُه ملكوتٌ أبَديٌّ وجميعُ السلاطينِ إيَّاهُ يَعْبُدونَ ويُطيعونَ. إلى هنا نهاية الأمر».

وبمثل هذا التفسير فسّر دانيالُ رؤيا الملك نبوخذ نصر عندما رأى حَجَراً سحق الصنم المكوّن من الذهب والفضة والحديد والنحاس.

وهذا التفسير متطابق تمامًا مع بشارة الملكوت، ولايصحّ كونهما في المسيح؛ لأنّه لم يكن له مملكة أبدية ولا وقتية، ولم يطعْهُ السلاطينُ، ولا هو في نهاية الأمر، أمّا صحة دلالة هذه البشارة على محمد ﷺ ونبوّته وجهاد أمّته وانتشار دينه فظاهر لايحتاج إلى مزيد بيان، وهو مايتّسق مع الأمثال التي ضربها المسيح؛ لذلك عاداه اليهود، وكفروا بنبوته، وحاولوا قتلَه.

وقد قرن المهتدي الدكتور إبراهيم خليل أحمد الحديث عن بشارة الملكوت بالحديث عن رؤيا دانيال، وبيّن دلالتهما على نبوة محمد ﷺ[1]، وهو كان من

(١) انظر كتابه: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٤٦-٤٧.

كبار علماء النصارى المعدودين عندهم قبل إسلامه.

ثم ذكر الشيخُ رحمت الله ثلاثة أمثلة منقولة عن عيسى عليه السلام تردّ قول المنصّرين بأنّ المراد ببشارة الملكوت هو الملّة النصرانية، وفيما يلي ذكر هذه الأمثلة وبيان دلالتها على نبوة محمد ﷺ ودينه:

المثل الأول: (الخميرة وحبّة الخردل):

وهو مثل لاتّساع رقعة الدين الجديد وكثرة أتباع النبي الموعود.

ففي إنجيل متى ١٣/٣١-٣٣ «(٣١) يشْبه ملكوتُ السماوات حبَّةَ خَرْدلٍ أخَذَها إنسانٌ وزَرَعها في حَقْله(٣٢) وهي أصغر جميعِ البُزور. ولكنْ متى نَمَتْ فهيَ أكبرُ البقول وتَصيرُ شَجرةً حتّى إنَّ طيورَ السماء تأتي وتتآوَى في أغصانها(٣٣) قال لهم مثَلاً آخرَ. يشْبهُ ملكوتُ السماوات خَميرةً أخذَتْها امرأةٌ وخبَأتْها في ثَلاثةِ أكيالِ دقيقٍ حتى اختمَرَ الجميع»[1].

بيّن الشيخُ رحمت الله أنّ المقصود بهذا المثل هو محمدٌ ﷺ وأُمّتُه، فإنّ العرب الذين بُعِث فيهم محمد ﷺ كانوا قَبْله أُمّةً صغيرة تحتقرها سائرُ الأمم، وليس لهم وزن سياسي أو حربي، وليس عندهم شيء من العلوم والصناعات.

فابتداء شريعة محمد ﷺ بهؤلاء القوم بمنزلة حبّة الخَرْدل التي هي أصغرُ جميع البزور؛ لأنّ هذه الشريعة بحسب الظاهر هي أصغر الشرائع، لكنها نَمَتْ وعمّت شرق الأرض وغربها في مدة قليلة حتى صارت أكبر الشرائع[2].

(١) ومثل هذا المثل ما في إنجيل مرقس ٤/ ٣٠-٣٣.

(٢) معنى هذا المثل مطابق لمعنى قوله تعالى في سورة الفتح آية ٢٩ ﴿**ومثلُهم في الإنجيل كزرعٍ أخرجَ شطأهُ فآزرهُ فاستغلظَ فاستوى على سُوقِهِ**﴾.

وفي هذا المثل إشارة لانتشار دين الإسلام بقوة وسرعة، أمّا القوة فلأنّ دين الإسلام كان مؤيّداً بالسيف لتحطيم الطواغيت حتى كانت الأمم والشعوبُ تحتمي بسيف الإسلام من الظلْم والاستبداد، كما تأوي الطيور لأغصان الشجرة القوية، وأمّا السرعة فلأنّ الأمم قبلت الإسلام لصفائه وفطريّته حتى عمّ بلاداً شاسعة في مدة وجيزة ودون تمييز بين الأجناس، فعظم على سائر الأديان، كالخميرة التي تعمّ العجين مهما كثر وتتساوى أجزاؤه في التخمّر.

المثل الثاني: (الآخِرون أوَّلون):

وفيه بيان فضل الأمة المحمدية على غيرها رغم تأخّرها زمنًا.

ورد في إنجيل متى ٢٠/١-١٦ «(٣٠) ولكنْ كثيرونَ أوَّلونَ يكونونَ آخِرينَ وآخِرونَ أوّلين[1](١) فإنّ ملكوتَ السماوات يشْبهُ رجلاً ربَّ بيتٍ خرجَ معَ الصبحِ ليستأجر فَعَلةً لكَرْمه(٢) فاتّفقَ مع الفَعَلَة على دينارٍ في اليومِ وأرْسَلَهمْ إلى كَرْمه(٣) ثمّ خرجَ نحْوَ الساعة الثالثة ورأى آخَرينَ قياماً في السُّوق بطَّالينَ(٤) فقالَ لهم: اذهبوا أنتم أيضًا إلى الكَرْمِ فأُعطيَكُم مايَحقُّ لكم. فَمضَوْا(٥) وخرجَ أيضًا نحْوَ الساعة السادسة والتاسعة وفَعلَ كذلكَ(٦) ثم نحْوَ الساعة الحادية عشْرَةَ خرجَ وَوجَدَ آخَرينَ قياماً بطَّالين. فقال لهم: لماذا وَقفتم ههنا كلَّ النهارِ بَطّالين؟(٧) قالوا له: لأنّه لم يستأجرْنا أحدٌ. قال لهم: اذهبوا أنتم أيضًا إلى الكرْم فتأخُذوا مايَحقُّ لكم(٨) فلمّا كانَ المساءُ قال صاحبُ الكرْم لوكيله: ادْعُ الفَعَلَةَ وأعطِهمُ الأُجْرَةَ مبتدئًا من الآخِرينَ إلى الأوَّلين(٩) فجاءَ أصحابُ الساعة الحاديةَ عشْرَةَ وأخذوا ديناراً ديناراً(١٠) فلمّا جاءَ الأوَّلون ظنّوا أنّهم يأخذونَ أكثرَ. فأخَذُوا همْ أيضًا ديناراً ديناراً(١١) وفيما هم يأخُذون تَذمّروا على ربِّ البيت(١٢) قائلين: هؤلاء الآخِرونَ عَملوا ساعةً واحدةً وقدْ ساويْتَهم بنا نحنُ الذين احتملْنا ثقَلَ النهارِ والحَرَّ(١٣) فأجابَ وقالَ لواحد منهم: ياصاحبُ ماظلمْتُكَ. أمَا اتّفقتَ معي على دينارٍ(١٤) فخُذ الذي لكَ واذْهبْ. فإنّي أُريدُ أنْ أُعْطيَ هذا الأخيرَ مثْلَكَ(١٥) أوْ مايحلُّ لي أنْ أفعلَ ما أُريدُ بما لي. أمْ عينُكَ شرّيرةٌ لأنّي أنا صالحٌ(١٦) هكذا يكونُ الآخِرونَ أوّلينَ والأوَّلون آخِرينَ. لأنّ كثيرينَ يُدْعَوْنَ وقليلينَ يُنْتَخبُون»[2].

(١) هذه هي الفقرة ٣٠ وخاتمة الإصحاح ١٩ من إنجيل متّى، وقد ذكرتها للربط مع فقرات الإصحاح ٢٠ لعلاقتها الوثيقة بها.

(٢) روى البخاري ثلاثة أحاديث في معنى هذا المثل، انظر: فتح الباري ٤/٤٤٥-٤٤٨ كتاب الإجارة باب ٨ و٩ و١١ حديث رقم ٢٢٦٨ و٢٢٦٩ و٢٢٧١.

بعد ذكْر هذه البشارة بيّن الشيخُ رحمت الله أنّ الآخِرين هم أُمَّة محمد ﷺ، وهم مقدَّمون في الأجر كما قال ﷺ: «نحن الآخِرون السابقون»[1].

وقال ﷺ «إنّ الجنة حُرِّمت على الأنبياء كلّهم حتى أدخلها وحُرِّمت على الأمم حتى تَدخلها أمّتي»[2].

المثل الثالث: (نَزْعُ ملكوتِ اللهِ من بني إسرائيل وإعطاؤه لأمّةٍ تعمل أثماره)[3]:

وفيه بيانُ سبب نَزْعِ النبوة من بني إسرائيل وتحويلها إلى بني إسماعيل.

ورد في إنجيل متى ٢١/٣٣-٤٥ «(٣٣) اسمعوا مثَلاً آخرَ. كان إنسانٌ ربُّ بيْتٍ غَرَسَ كرْمًا وأحاطَه بسياجٍ وحفَرَ فيه مَعْصَرةً وبنى بُرْجًا وسلَّمه إلى كرّامين وسافر. (٣٤) ولمّا قرُبَ وقْتُ الأثمار أرسلَ عبيدَهُ إلى الكَرّامين ليأخُذَ أثمارَه (٣٥) فأخذَ الكرّامونَ عبيدَهُ وجَلَدوا بعضًا وقتلوا بعضًا ورجموا بعضًا (٣٦) ثم أرسلَ أيضًا عبيداً آخَرينَ أكثرَ من الأوَّلينَ. ففعلوا بهم كذلك (٣٧) فأخيراً أرسلَ إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني (٣٨) وأمّا الكرّامون

---

(١) نصّ الحديث «نحن الآخِرونَ السابقونَ يوم القيامة ونحن أوّل مَن يدخل الجَنة بَيْدَ أنّهم أوتوا الكتاب مِن قَبْلنا وأوتيناه من بعدهم»، وفي رواية «نحن الآخِرون الأوّلون». رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب الجمعة، باب رقم ٦ هداية هذه الأمّة ليوم الجمعة، حديث رقم ٨٥٥.

ونصّ هذا الحديث متطابق تمامًا مع قوله في هذه البشارة «ادْعُ الفَعَلَةَ وأَعْطِهم الأُجْرَةَ مبتدئًا من الآخِرينَ إلى الأوَّلين... هكذا يكونُ الآخِرونَ أوّلينَ والأوّلونَ آخِرينَ. لأنّ كثيرينَ يُدْعَوْنَ وقليلينَ يُنْتَخَبون».

وهذا يبيّن أنّ السبق من عدة أوجه أبرزها إعطاء الأجرة مبتدئًا من الآخِرين مع تفضيلهم فيها على الأوّلين رغم طول أعمار الأوّلين وقِصر أعمار الآخِرين. وبهذا يكون قد حصل لأمّة محمد ﷺ السبق بالفضل ودخول الجنة قبل سائر الأمم.

(انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٤٢، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، وابن القيم: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٧٧).

(٢) رواه الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ. وقال الدارقطني: غريب عن الزهري ولا أعلم روي عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث، ولا رواه إلاّ عمرو بن أبي سلمة عن زهير. (ابن القيم: حادي الأرواح ص ٧٧).

(٣) ذكر إبراهيم خليل أحمد أنّ هذا المثل دالٌّ على نبوة محمد ﷺ. انظر كتابه: محمد في التوراة والإنجيل ص٤٥-٤٦.

فلمّا رأوْا الابنَ قالوا فيما بينهم هذا هو الوارثُ. هلمّوا نقْتُلْهُ ونأخذْ ميراثَه(٣٩) فأخذوه وأخْرَجوه خارجَ الكرْم وقتلوه(٤٠) فمتى جاءَ صاحبُ الكرْم ماذا يفعلُ بأولئك الكرّامين(٤١) قالوا له: أولئكَ الأرديا ءُ يُهلكُهم هلاكًا رديّاً ويُسلّمُ الكرْمَ إلى كرّامين آخَرينَ يُعطونَه الأثمارَ في أوقاتها(٤٢) قال لهم يسوعُ: أمَا قرأتُم قطُّ في الكُتبِ. الحَجَرُ الذي رَفَضَهُ البنّاؤونَ هو قدْ صارَ رأسَ الزاوية. من قِبَل الربّ كان هذا وهو عجيبٌ في أعيننا(٤٣) لذلك أقولُ لكم إنّ ملكوتَ الله يُنْزَعُ منكمْ ويُعطى لأمّةٍ تَعْمَلُ أثمارَهُ(٤٤) ومَن سَقطَ على هذا الحَجرِ يَترضَّضُ ومَنْ سَقطَ هُوَ عليه يَسْحَقُهُ(٤٥) ولمّا سمِعَ رؤساءُ الكَهَنةِ والفرِّيسيّونَ أمثاله عَرَفوا أنّه تكلَّمَ عليهم».

بيّن الشيخُ رحمت الله أنّ في هذا المثَل إشارة واضحة لنبوة محمد ﷺ وشريعته، حيث كنّى عن الشريعة بالكَرْم، وعن المحرّمات والأوامر والنواهي بالسياج، وعن اليهود- كما فَهِم الفرّيسيون والكهنةُ- بالكرامين الطغاة، وكنّى عن الأنبياء بالعبيد، وعن عيسى بالابن المقتول- ويزعم النصارى أنّه قُتل، وعن محمد ﷺ بالحجَر الذي رفضه البنّاؤون وهو قد صار رأسَ الزاوية، وكنّى عن أمّة محمد ﷺ بالكرّامين الآخَرين الذين يُعطون الأثمار في أوقاتها[1].

ثم بيّن الشيخ رحمت الله أنّ تفسير الحجر الذي صار رأسَ الزاوية بأنه

(١) لقد جعل الله سبحانه وتعالى سلسلة النبوات والشريعة في بني إسرائيل دهراً طويلاً، لكنْ اليهود رجموا الأنبياءَ وقتلوا بعضهم، وانحرفوا عن الدين، وعصوا اللهَ ورسلَه، وأنكروا نعمة الله عليهم، فأرسل الله إليهم المسيح عيسى عليه السلام بوصفه آخِر رسول من بني إسرائيل، لكنهم أرادوا قتْله بدلاً من أنْ يستجيبوا له ويتوبوا على يديه عما سلف منهم، لذلك عاقبهم الله بنقل النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل عليه السلام، فكان حفيده محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء، وأمّته هي الأمّة التي تعمل بالدين وتثمر فيها شريعة الله. ثم نبههم عيسى عليه السلام إلى أمر عجيب في أعينهم وهو أنّ هذا الحجَرَ - الذي لم يكن البنّاؤون (أي بنو إسرائيل) ينتبهون له بسبب احتقارهم لأبناء إسماعيل ابن الأمَة هاجر- قد صار في فضله ومنزلته ولزوم ما جاء به لكلّ الأمم كرأس الزاوية.

وبيّن لهم عيسى عليه السلام أنّ هذا النبي يكون ذا قوة ومنَعة بحيث أنّ مَنْ حاربه وهاجمه يرجع خائبًا بل ومصابًا مترضضًا، وإنْ هو هاجم الكفار وقاتلهم فإنه يغلبهم ويسحقهم ويخضعهم لسلطانه.

وقد فهِم اليهود مغزى كلام عيسى عليه السلام، وأنّه يبشر بنبيّ من بني إسماعيل به تختم النبوات؛ فحقدوا على المبشِّر والمبشَّر به، وتآمروا ضدّهما في فلسطين والحجاز، فنجّاهما الله من القتل.

عيسى عليه السلام غير صحيح لأربعة أوجه:

الوجه الأول:

ورد في مزمور ١١٨/٢٢-٢٣ «(٢٢) الحجَرُ الذي رَفَضَهُ البنّاؤون قدْ صارَ رأسَ الزاوية(٢٣) من قِبَلِ الربِّ كانَ هذا وهُوَ عَجِيبٌ في أعيننا».

فبيّن داود عليه السلام أنّ بني إسرائيل سيتعجبون من هذا لاحتقارهم بني إسماعيل عليه السلام، ولو كان عيسى عليه السلام هو رأس الزاوية لامجال للتعجّب؛ لسببين:

(أ) لأنّ المسيح من بني إسرائيل، فأيّ عجب في أعينهم؟!.

(ب) لأنّ المسيح بزعم النصارى إله، وأنّ داود يعتقد الألوهية في حقّه وسمّاه سيّده، فأيّ عجب في ذلك؟!

أمّا كون واحدٍ من بني إسماعيل المحتقرين عندهم يصير رأسًا للزاوية فلاشك أنّه عجيب جداً في أعينهم.

الوجه الثاني:

أنّ الحجَرَ موصوف بأنّه يرضّض مَن وقع عليه أو يسحقه، وهذا الوصف لايصْدق على عيسى عليه السلام؛ لأنّه ما قاتل أحداً بل قُتل بزعمهم، أمّا صدْقه في محمد ﷺ فغني عن البيان؛ لأنّه قاتل الكفار فرضّض مَنْ سقطوا عليه، وسَحق من سقط هو عليهم.

الوجه الثالث:

أنّ نبينا محمداً ﷺ قد وصف نفسه بأنّه حجَرُ الزاوية فقال:

«مثَلي ومثَلُ الأنبياء من قَبْلي كمثَلِ رجلٍ بنى بنيانًا فأحْسنَه وأجْملَه إلاّ

موضع لَبِنة من زاوية من زواياه، فجعل الناسُ يطوفون به ويعْجبون له ويقولون: هلاّ وُضِعتْ هذه اللَّبِنة، قال: فأنا اللَّبِنة وأنا خاتم النّبيّين»[١].

الوجه الرابع:

أنّ المتبادَر من كلام المسيح عليه السلام أنّ هذا الحجر غير الابن[٢].

(١) متفق عليه، رواه البخاري عن جابر وأبي هريرة في كتاب المناقب، باب رقم ١٨ خاتم النبيين، حديث رقم ٣٥٣٥، ورواه مسلم (واللفظ له) عن أبي هريرة وجابر وأبي سعيد في كتاب الفضائل، باب رقم ٧ ذكْر كونه ﷺ خاتم النبيين، حديث رقم ٢٢٨٦ و٢٢٨٧.

قال الشيخ عبدالعزيز آل معمر: «ورأسُ الزاوية هو ملتقى الخطّيْن فيكون هو الخاتم؛ لأنّ الخطّيْن يذهبان إلى حيثما يذهبان إليه، فيكون ملتقاهما هو منتهاهما، وهذا هو محمدﷺ الذي ختم الله به رسله». (منحة القريب ص ٩٠).

(٢) لأنّ عيسى عليه السلام لم يتكلّم عن نفسه وإنّما عن آخَر سيأتي بعده، فكان التفريق واضحًا بيْن نفسه وبين هذا الحجر، وكذلك غَضَبُ الكهنةِ دالٌّ على أنّ هذا النبي ليس من بني إسرائيل وأنّ الأمّة هي غيرهم، ولو كان العكس لم يغضبوا؛ لأنّه لم يخالف إرادتهم.

البشارة التاسعة

(بشارة الفارقليط)

وهي بشارة صريحة في اسم محمد ﷺ

هذه البشارة من أعظم البشارات وأوضحها وأطولها، ولم يخلُ كتاب تعرّض لذكر البشائر المحمدية في كتب العهدين من الإشارة لهذه البشارة، وكثير من علماء أهل الكتاب[1] ممن أسْلم أوْ لم يُسْلِم - لكنه طرح التعصّب جانبًا - أشار إلى دلالة هذه البشارة على محمد ﷺ، وقد جعل الشيخُ رحمت الله الحديث عنها خاتمة فصْلِه في البشارات إذْ أطال الحديث عنها.

ولأهمية هذه البشارة عند المسلمين وعند النصارى ولكثرة ماكُتِب عنها رأيتُ التوسّع في الحديث عنها؛ لأنني أعتقد أنّ تجْليةَ أمر هذه البشارة وحدها، وكشف اللثام عن المبشَّر به فيها، كافٍ في إفحام الخصم وإلزامه الحُجَّة، وبخاصة بعد بيان دلالتها الصريحة على محمد ﷺ رغم اختلاف الروايات اللاحقة عن السابقة على مدى قرون طويلة.

وهذه البشارة من البشارات الواردة في العهد الجديد وفي إنجيل يوحنا فقط، وهو الإنجيل الذي أُلِّف بعد رفع المسيح بزمن طويل، وكان هدفُ واضعه الردّ على منْكِري ألوهيةِ المسيح، ومعنى هذا أنّه وُضِع في ظروف زمنية كان الصّراعُ فيها مستحكمًا بين الموحّدين الذين يؤمنون برسالة عيسى وبتبشيره بمحمد ﷺ، وبين الذين يؤلّهون عيسى عليه السلام ويعتقدون أنّه لم يبشِّر بأحدٍ من بعده، فتلاعبوا بفقرات الكتاب كما تهوى أنفسُهم.

---

(١) من المحْدَثين: إبراهيم خليل أحمد في كتابه: محمد في التوراة والإنجيل ص٤٤، وبشرى زخاري ميخائيل في كتابه: محمد رسول الله هكذا بشّرت به الأناجيل ص ٦٢، ود. موريس بوكاي في كتابه: دراسة الكتب المقدسة ص ١٢٥-١٢٩.

ومع استمرار التلاعب والتحريف لفقرات كتبهم عامّة ولهذه البشارة خاصّة، إلاّ أنّها حافظت على شخصيتها المستقلّة التي تنفي أنْ يكون المراد بها التبشير بنبيّ غير محمد ﷺ.

وفيما يلي نصوص هذه البشارة:

ورد في إنجيل يوحنا ١٤/١٥-١٧ و٢٦ و٢٩ «(١٥) إنْ كنتم تحبّونني فاحفظوا وصاياي(١٦) وأنا أطلبُ من الآبِ فيُعْطيكُم مُعَزّيًا آخَرَ ليَمْكُثَ مَعَكُم إلى الأبد(١٧) روحُ الحقّ الذي لايستطيعُ العالَم أنْ يَقْبَلَهُ لأنّه لايَراهُ ولايعْرفُهُ. وأمّا أنتم فتَعْرِفُونَهُ لأنّه ماكثٌ معكُم ويكونُ فيكُم...(٢٦) وأمّا المُعزّي الرُّوحُ القدُسُ الذي سيُرْسلُهُ الآبُ باسْمي فهُوَ يُعَلّمُكُم كلَّ شيءٍ ويُذكّرُكُم بكلِّ ماقُلْتُه لكم...(٢٩) وقلتُ لكُم الآنَ قبْلَ أنْ يكونَ حتّى متى كانَ تؤمنونَ».

وفيه ١٥/٢٦-٢٧ «(٢٦) ومتى جاءَ المعزّي الذي سأُرْسلُه أنا إليكُمْ مِنَ الآبِ روحُ الحقّ الذي مِنْ عندِ الآبِ يَنْبَثِقُ فهُوَ يَشْهَدُ لي(٢٧) وتَشْهَدُونَ أنتم أيضًا لأنّكم معي مِن الابتداء».

وفيه ١٦/٦-١٥ «(٦) لكنْ لأنّي قلتُ لكم هذا قدْ ملأ الحُزْنُ قلوبَكم(٧) لكنّي أقولُ لكُمُ الحقّ إنّه خيرٌ لكمْ أنْ أنطلقَ. لأنّه إنْ لمْ أنطلقْ لايأتيكُم المُعزّي. ولكنْ إنْ ذَهبتُ أرسلُه إليكم(٨) ومتى جاءَ ذاكَ يُبكّتُ العالَمَ على خَطيَّةٍ وعلى برٍّ وعلى دَيْنونة(٩) أمّا على خَطيَّة فلأنّهم لايؤمنونَ بي(١٠) وأمّا على برٍّ فلأنّي ذاهبٌ إلى أبي ولاتَرَوْنني أيضًا(١١) وأمّا على دَيْنونةٍ فَلأنّ رئيسَ هذا العالَم قد دينَ(١٢) إنّ لي أموراً كثيرةً أيضًا لأقولَ لكم ولكنْ لاتستطيعون أنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ(١٣) وأمّا متى جاءَ ذاكَ روحُ الحقّ فهُو يُرْشدُكُم إلى جميع الحقّ لأنّه لايَتكلّمُ من نفْسه بلْ كلُّ مايَسْمَعُ يَتكلّمُ به ويُخْبرُكم بأمورٍ آتيةٍ(١٤) ذاكَ يمجّدُني لأنّه يأخُذُ ممّا لي ويُخْبِرُكُم(١٥) كلُّ ما للآبِ هُوَ لي. لهذا قلتُ إنّه يأخُذُ ممّا لي ويُخْبِرُكم».

هذا ماورد في إنجيل يوحنّا عن بشارة الفارقليط حسب الطبعات الحديثة، وقد روى ابن القيم الفقرتين ٢٦-٢٧ من الإصحاح ١٥ من إنجيل يوحنا كمايلي: «فلو قدْ جاءَ المنحمنا هذا الذي يرسله اللهُ إليكم من عند الربّ روح الحق فهو شهيد عليّ وأنتم أيضًا لأنّكم قديمًا كنتم معي هذا قولي لكم لكي لاتشكّوا إذا جاء»[١].

وقد جاءت الفقرة ١٦ من الإصحاح ١٤ من إنجيل يوحنا في التراجم العربية المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١ و١٨٣١ و١٨٤٤م كمايلي:

«وأنا أطلبُ من الآبِ فيعطيكم فارقليط آخر لِيثْبُتَ معكم إلى الأبد».

وجميع ألفاظ المعزّي الواردة في النقول السابقة وردت بلفظ (البارقليط) في كتاب: تحفة الجيل في تفسير الأناجيل للخوري يوسف إلياس الدبس الماروني، وكان قد طبعه في بيروت سنة ١٨٧٧م، فمثلاً وردت فيه فقرة إنجيل يوحنا ١٤/١٦ كما يلي: «وأنا أطلب إلى أبي فيعطيكم بارقليطا آخر».

ومثلها بلفظ (البارقليط) وردت في سائر المواضع، وفسّر البارقليط بقوله: «ومعنى البارقليط الشفيع والوسيط، ثمّ المحرّض والمحرّك، وأخيراً المعزّي»[٢].

ومثلها ماورد في طبعة الموصل سنة ١٨٧٦م، وكذلك كُتب العقائد والردود الإسلامية القديمة كلها ذكرت هذه البشارة بلفظ الفارقليط، وأول طبعة عربية ذكر فيها لفظ المعزّي بدل الفارقليط هي طبعة سنة ١٨٢٥م و١٨٢٦م، ثم طبعتي بيروت سنة ١٨٦٥ و١٨٩٧م[٣].

وقد ثبتت هذه الكلمة (الفارقليط) في كتب الردود النصرانية، وهي كلمة معربة عن الكلمة اليونانية باراكليتوس المترجمة عن الأصل العبراني؛ لأنّ لسان المسيح كان عبرانيّاً، وأهل الكتاب في أحيان كثيرة يترجمون الأسماء ويضعون بدلها معناها أو صفتها، فالكلمة اليونانية المعادِلة لاسم أحمد ومحمد هي

(١) انظر كتابه: هداية الحيارى ص ١٦٨.

(٢) انظر: تحفة الجيل في تفسير الأناجيل ص ٩١٦.

(٣) البحراني: لسان الصدق هامش ص ٢٤١، ود. السامرائي: نبوة محمد ص.٢٩، وإظهار الحق، بتحقيقي، ص ١١٨٦.

بيركليتوس أو باراكليتوس، فكُتبت في التراجم العربية فاراقليط أو باراكليت، وقد ذكر هذه الروايات جميعها الدكتور موريس بوكاي مثبتًا فيها لفظ الباراكليت، وبيّن أنّ لفظ باراكليتوس اليوناني ينطق بالفرنسية باراكليت[1].

معنى لفظ الفارقليط:

يتضمن لفظ الفارقليط معنى الحمْد والحامد والحمّاد وأحمد ونحوها، ويشبهه لفظ (المنحمنا) بالسريانية، قال ابن القيم: «والمنحمنا بالسريانية، وتفسيره بالرومية البارقليط، وهو بالعبرانية الحمّاد والمحمود والحمد»[2].

وقال: «والفارقليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد، إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك»[3].

وأهل الكتاب على ثلاثة أقوال في تفسير لفظ الفارقليط:

أحدها: أنّه بمعنى الحامد والحمّاد.

وثانيها: أنّه بمعنى المخلِّص.

وثالثها: أنّه بمعنى المعزّي.

وعلى المعنى الأوّل فوصْف الحمْد ظاهر في محمد ﷺ، وأمّته هم الحمّادون الذين يحمدون الله على كلّ حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته، واسمه يماثل صفته؛ لأنّ اسم محمد على وزن مُكَرَّم ومُعَظَّم، وهو الذي يُحْمَد أكثر ممّا يُحْمَد غيره لاستحقاقه ذلك، وهو حمَّاد لله أكثر من غيره، فلمّا كان حمّاداً كان محمّداً، أي كأنّه حُمِد مرّة بعد أخرى[4].

(١) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، الأمر السابع ص ١٠٩٧ و١١٨٧، والدكتور موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) انظر كتابه: هداية الحيارى ص ١٦٨.

(٣) المرجع السابق ص ١١٨.

(٤) المرجع السابق ص ١١٩.

قال ابن منظور: «والمُحَمّد الذي كثرت خصاله المحمودة»[1].

وكذلك لفظ أحمد هو أفعل التفضيل، يعني هو أحمد من غيره أي أحقّ منه بأنْ يكون محموداً أكثر من غيره، فهو مفضَّل على غيره في كونه محموداً، ولفظ أحمد يقتضي فضله في الكيفية، ولفظ محمد يقتضي فضله في الكمية[2].

والمصدر (الحَمْد) يفيد المبالغة في كثرة الحمد، والحامد والحمّاد: من كان أكثر حمداً لله من غيره.

وقد سأل الأستاذ عبدالوهاب النجار الدكتور كارلو نلينو الإيطالي المتخصص في آداب اللغة اليونانية عن معنى كلمة بيركليتوس، فأجاب بأنّها المعزّي.

فقال له النجار: أنا أسأل الدكتور كارلو نلينو الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ولستُ أسأل قسّيساً.

فقال له كارلو نلينو: معناها (الذي له حمد كثير).

فقال له النجار: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حَمَدَ؟

فقال د. كارلو نلينو: نعم.

فقال له النجار: إنّ رسول الله ﷺ من أسمائه (أحمد).

فقال د. كارلو نلينو: أنت ياأخي تحفظ كثيراً[3].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله - بحثًا لطيفًا في لفظة الفارقليط، ملخّصه أنّ التفاسير المختلفة لهذه اللفظة والاشتقاقات المتعددة للفظة (حمد) يظهر بها سرّ ما أخبر به القرآن الكريم عن المسيح في قوله تعالى: ﴿ومبشّرًا برسول يأتي

(١) لسان العرب ١٥٧/٣ لفظ حمد.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١٦/٤.

(٣) عبدالوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، هامش ص ٣٩٨.

من بعدي اسمه أحمد﴾[1]، وأشار إلى ما في سفر التكوين ١٧/ ٢٠ «وأمّا في إسماعيل فقد قَبِلتُ دعاكَ ها أنا قد باركتُ فيه وأُثْمِره وأُكَبِّره بماد ماد».

ثم ذكر أنّ أهل الكتاب في تفسير لفظة (بماد ماد) فريقان:

فريق يفسرها بـ (جداً جداً)، وفريق يقول إنّها صريحة في اسم محمّد ﷺ، وعلى التفسير الأوّل تكون بشارة بمن يعْظُم من بني إسماعيل عليه السلام، ولم يعْظُم منهم أحدٌ كما عظُم حفيده محمد ﷺ.

ويؤيّد الثاني قربُ ألفاظ اللغة العربية من اللغة العبرانية كما في إسماعيل: شماعيل، سمعتك: شمعتك، المسيح: هاماشيح، إسرائيل: سيرائيل، رحم: ريخم، بهيمة: يبيما، نبي: نابي، لهم: لاهيم، وهكذا؛ فتكون الكلمة العبرانية (بماد ماد) معادلة في العربية لكلمة (بمحمد)، ولايقال (بجداً جداً)، فيقال: أعظّمه بمحمد أو أعظّمه جداً جداً[2].

وبهذا الوجه تظهر المطابقة التامّة بين معنى لفظة (الفارقليط) ومعنى لفظة (بماد ماد) ومعنى لفظة (محمد) و (أحمد)، ويحصل اليقين التامّ بأنّ نبيّنا محمداً ﷺ هو الفارقليط الموعود به في هذه البشارة[3].

ويزعم المنصّرون أنّ المسلمين يخلطون بين لفظَيْ باراكليتوس وبيركليتوس، والأوّل بمعنى المعزّي والمُعِين والوكيل، والثاني بمعنى محمد وأحمد، وأنّ الوارد في الإنجيل اليوناني هو اللفظ الأول (باراكليتوس)، ولأجْل هذا الخلط يظنّ المسلمون أنّ الإنجيل بشّر بمحمد ﷺ.

ويُردّ على هذا الزعم الواهن بأنّ هذا لايعدّ تفاوتًا في معنى الكلمة لثلاثة أمور:

---

(١) سورة الصف آية ٦.

(٢) يقصد ابن القيم رحمه الله: أنّ الألفاظ المتعادلة هي (بمحمد) (بماد ماد) (جداً جداً)، وأنّ المترجمين أدركوا ذلك فلم يضيفوا حرف الباء للفظة (جداً جداً)، وفي الطبعات الحديثة (كثيراً جداً).

(٣) انظر كتابه: هداية الحيارى ص ١٢٨-١٣٠.

١- أنّ بعض الحروف اليونانية قريبة الشَّبه، وورود أحدها محلّ الآخر جائز، مثل الياء والألف أو الفاء والباء، فوقوع مثل هذا من المترجم والكاتب في غاية السهولة والإمكان، وهو تفاوت يسير جداً وقريب القياس[1].

يقول الأنبا اثناسيوس: «إنّ لفظ باراقليط إذا حُرِّف لفظه قليلاً يصير بيركليت ومعناه الحمْد أو الشكر، وهو قريب من لفظ أحمد»[2].

٢- أنّ اللغة العبرانية قبل القرن الخامس الميلادي لم تكن مشكولة الحروف ولم يكن فيها حروف علّة، لذلك لا فرق عندهم في النطق بين فاراقليط أو فيرقليط، وفي اللغة اليونانية يمكن أنْ تنطق الباء محل الفاء، والياء محل الألف، والتاء محل الطاء، وإلحاق حرف السين في آخر الأسماء في اللغة اليونانية أمر مشهور، لذلك تُرجمت لفظة الفارقليط (البارقليط) أو الفيرقليط (البيرقليط) إلى الكلمات التالية حسب رغبة كل مترجم وهي: (باراكليت، بيركليت، باراكليتوس، بيركليتوس، باراكليطوس، بيركليطوس)، وكلها دالّة على نفْس المعنى دون خلاف.

٣- أنّ تفسير لفظة باراكليتوس اليونانية بالمعزّي والشفيع والمُعِين والوكيل والمخلِّص كلّها تصْدق على محمد ﷺ.

وأمّا بالنسبة لحذف لفظة (فاراقليط أو فيرقليط) وتراجمها اليونانية من الطبعات الحديثة للأناجيل، فهو محاولة يائسة من النصارى لإخفاء أيّة صفةٍ دالّة على اسم محمد ﷺ في البشارات، وتتمّة فاشلة لما بدأه الأسلاف من تحريف البشارات توصّلاً إلى إنكار نبوة محمد ﷺ، ويردّ على المحتجّين بعدم وجود هذا اللفظ في الطبعات الحالية بمايلي:

(١) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ١١٨٧ و١١٩٠.

(٢) د. أحمد السقا: أقانيم النصارى ص ٥١ نقلاً عن كتاب الأنبا اثناسيوس: دراسات في الكتاب المقدس ص ١١٩.

(أ) ورود هذا اللفظ في كتب الردود الإسلامية القديمة، وفي طبعات الأناجيل القديمة وكانت آخرها المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١ و١٨٣١ و١٨٤٤م.

(ب) اعتراف كتب الردود النصرانية بورود هذا اللفظ، ولم يحصل الاتفاق على الجزم بإنكاره، وما التفسيرات المختلفة للفظة فاراقليط وتراجمها اليونانية ومحاولة صرْفِ هذه الألفاظ عن دلالتها على محمد ﷺ إلاّ اعتراف قطعي بورودها في كتبهم القديمة، وقد ذكر د. موريس بوكاي الفرنسي أنّ معجم الأب تريكو بيّن أنّ لفظ الباراكليت لم يَرِدْ في العهد الجديد إلاّ في خمسة مواضع: أربعة منها في إنجيل يوحنا، وموضع في رسالة يوحنا الأولى[1].

(جـ) أنّ بعض المتنبّئين قبل ظهور محمد ﷺ ادّعى أنّه الفارقليط الموعود، مثل (منتس) في القرن الثاني للميلاد حوالي سنة ١٧٧م، وقد قال عنه السير وليم ميور في المجلد الثاني من تاريخه المطبوع باللغة الأردية سنة ١٨٤٨م:

«إنّ البعض قالوا: إنّه ادّعى أنّي فارقليط يعني المعزّي روح القدس، وهو كان أَتْقَى ومرتاضًا شديداً، ولأجْل ذلك قَبِله الناسُ قبولاً زائداً»[2].

وقال صاحب لبّ التواريخ: «إنّ اليهود والمسيحيين من معاصري محمد ﷺ كانوا منتظرين لنبي، فحصل لمحمد من هذا الأمر نفعٌ عظيم؛ لأنّه ادّعى أنّي هو ذاك المنتظَر»[3].

---

(١) انظر كتابه: دراسة الكتب المقدسة ص ١٢٦، وكتاب القمص سرجيوس: هل تنبأت التوراة والإنجيل عن محمد، ط١، المطبعة التجارية الحديثة، ص ١٠- ١١.

(٢) (٣) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ١١٨٨.

وقد تحدث زكي شنوده عن المشابهة التامّة بين شخصية المسيح وشخصية الباراكليت، وبيّن أنّ هذه المشابهة حفزت ماني سنة ٢٦٨م لأنْ يتّخذ اثني عشر تلميذاً، واثنين وسبعين أُسْقُفاً، ويشيع بين الناس أنّه هو البارقليط الموعود الذي سيتمم عمل الخلاص الذي تركه المسيح ناقصًا[(١)].

وبهذا يظهر أنّ النصارى في القرون الأولى كانوا بانتظار الفارقليط إلى زمان محمدﷺ، ممّا دفع الكثيرين لانتحال هذا اللقب كذبًا، حتى ظهر صاحبه الصادق المصدوق محمدﷺ، ولمْ يَشْهدْ ملوكُ أهلِ الكتاب وعلماؤهم -كالنجاشي والمقوقس وهرقل وعبدالله بن سلام وغيرهم - بأنّه النبي المنتظَر إلاّ بعد معرفة أحواله وانطباق أوصافه على مايعرفونه من أوصاف الفارقليط.

وأمّا بالنسبة لألفاظ: المعزّي والمخلّص والشفيع فهي ألفاظ مترادفة وُضعت بدل لفظ الفارقليط، فوُضِعت كلمة المعزّي بدل كلمة باراكليت في مواضع إنجيل يوحنا الأربعة[(٢)]، وهي في الإصحاحات ١٦/١٤ و٢٦، و٢٦/١٥، و٧/١٦، ووُضعت كلمة الشفيع بدل كلمة باراكليت في رسالة يوحنا الأولى ١/٢.

وهذا التبديل في ظنّهم يُبطل الاستدلال بها على نبوّة محمدﷺ؛ لأنّ جميع تأويلات المترجمين حينئذٍ تصْدق فيه وفي غيره من الأنبياء، والحق أنّها بعد المسيح لا دلالة لها إلاّ على نبينا محمدﷺ، فهو فارقليط وشفيع ومخلِّص ومعزِّي، وكلمة معزِّي تُفسَّر في اللسان اليوناني بالنائب والوكيل والمدافع عن المسيح، وتفسَّر في اللسان السُّرياني بالمخلّص، ولمّا كان المسيح هو المخلّص الأوّل لهم كان محمدﷺ هو المخلّص الثاني الثابت فيهم إلى الأبد؛ لبقاء شَرْعه الذي لايُنْسَخ، وقد كان اليهود القدامى يستعملون هذه الألفاظ مرادفة للفظ الباراكليت، فاستعملها المسيحُ للدلالة على البديل عنه؛ الذي سيكون وسيطًا

(١) د. السقا: أقانيم النصارى ص ٥٨ إحالة إلى كتاب: تاريخ الأقباط لزكي شنوده ١٤٩/١.

(٢) سبقت نصوصها ص ٢٣٩.

ونائبًا عن المسيح ومدافعًا عنه، ومعزِّيًا لبني إسرائيل في كل ما أصابهم؛ لأنّه على يديه يعود العزّ والمجْدُ لمن أسْلم معه منهم، فيخلِّصهم من ظُلْم الشعوب لهم، ومن القهر والاستعباد الذي أحاط بهم، ويدافع عنهم، وهو بهذا كأنّه وكيلٌ عن المسيح ونائبٌ عنه، وهذا لايصْدق إلا على محمد ﷺ[1].

ووضح هذا المعنى الأب متّى المسكين إذْ يقول: «حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها كما وردت في النصوص التفسيرية نجد المعنى ينحصر في الصفة القضائية للشخص الذي يمكّنه القانون من الدفاع والمحاماة والشفاعة عن آخَر، وقد وردت في اصطلاحات الربّيين اليهود بهذا المعنى، وبالذات في كتابات العلامة فيلو اليهودي، وإنما كانت تنطق باللغة العبرية هكذا (البيراقليطا)، وهذا النطق عينه هو الذي اشتق منه نطق الكلمة باللغة العربية (البراقليط)؛ لأنّ اللغة العربية تميل إلى الأخذ من اللغة العبرية القديمة أكثر من اللغة اليونانية»[2].

فهل جاء بعد المسيح مَنْ دافع عنه ووقف موقف المحامي في ردّ افتراءات اليهود على المسيح وأُمِّه، وردّ افتراءات النصارى في تأليههما غير محمد ﷺ ؟!

وقد كتب الشيخ رحمت الله مبحثين جيديْن استدلّ في الأول منهما بثلاثة عشر أمراً على أنّ المراد بالفارقليط هو محمد ﷺ، وردّ في الثاني منهما على شبهات النصارى التي يوردونها على هذه البشارة بالذات، وأذكر ملخصهما إتمامًا للفائدة:

المبحث الأول:

الأمور الدالّة على أنّ المراد بالفاراقليط هو النبيّ المبشَّر به محمد ﷺ لا الروح

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٨/٤ و١٧، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١٢٠، والقرطبي: الإعلام ص ١٩، ود. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) د. أحمد السقا: أقانيم النصارى ص ٥٠ نقلاً عن كتاب: الباراكليت الروح القدس في حياة الناس ص ١٢- ١٣.

النازل على تلاميذ عيسى عليه السلام يوم الدار[١]، وهي ثلاثة عشر أمراً:

١- تأكيد عيسى المسيح عليه السلام على مجيء الفارقليط بقوله «فاحفظوا وصاياي» يدلّ على أنّه ليس هو الروح القدس؛ لأنّ نزول الروح كان معروفًا لهم من قبل، وكانوا قد امتلأوا منه من قبل، فلا مجال للاستبعاد والاستنكار وبخاصة أنّ نزوله يصاحبه آثار غير طبيعية على الإنسان، ولـمّا كان الفارقليط بَشَراً مخلوقًا كان الإنكار في حقّه وارداً، وكان عيسى يعْلَم أنّ الكثيرين من أُمّته سيُنْكرون الفارقليط المبشَّر به وهو محمد ﷺ، لذلك أكّد على حفظ وصيته قبل الحديث عنه، ثم أخبر عن مجيئه[٢].

٢- أنّ هذا الروح القدس عند النصارى متّحد بالآب والابن، وهو ثالث الأقانيم الإلهية، فلا يصْدق في حقّه أنّه فارقليط آخر، بخلاف النبي المبشَّر به وهو محمد ﷺ، فإنّه يصْدق في حقّه هذا القول بلا تكلّف[٣].

٣- أنّ الوكالة والشفاعة من خواصّ النبوة لا من خواصّ هذا الروح المتّحد بالله، فلا تصْدقان عليه، وتصْدقان على النبيّ المبشَّر به بلا تكلّف.

٤- أنّ عيسى عليه السلام قال: «هو يذكّركم بكلّ ما قلْته لكم»، ولم يثْبت من رسالة من رسائل العهد الجديد أنّ الحواريين قد نسوا ماقاله عيسى لهم[٤].

---

(١) يقول النصارى: إنّ الفارقليط هو روح القدس الذي نزل على تلاميذ المسيح الذين كانوا مجتمعين في منزل واحد بعد خمسين يومًا من رفع المسيح، والنص في سفر الأعمال ٢/١-٤ كما يلي «(١) ولـمّا حضرَ يومُ الخمسينَ كان الجميعُ معًا بنفْسٍ واحدةٍ(٢) وصار بغتةً من السماءِ صوتٌ كمَا منْ هُبوبِ ريحٍ عاصفةٍ وملأ كلَّ البيتِ حيثُ كانوا جالسين(٣) وظهرتْ لهم ألسنَةٌ منقسمةٌ كأنّها من نارٍ واستقرّت على كلِّ واحدٍ منهم(٤) وامتلأ الجميعُ من الروحِ القُدُسِ وابتدأوا يتكلّمون بألْسِنَةٍ أخرى كما أعطاهم الروحُ أنْ ينْطقوا».

(٢) وفي ختام هذه الوصية أكّد أيضاً على حفظها وعدم الشكّ فيها.

(٣) إذا كان الروح القدس بزعم النصارى إلهًا لايصحّ إرساله من قِبل المسيح، وكيف يرسله المسيحُ وهو - أي الروح القدس - الذي نَزل على المسيح يوم العماد؟!

(٤) لايمكن أنْ ينسى الحواريون أمراً خطيراً كهذا خلال خمسين يومًا حتى يحتاجوا للتذكير.

٥- أنّ عيسى عليه السلام قال: «وقلتُ لكم الآنَ قبْل أنْ يكونَ حتّى متى كانَ تؤمنونَ»، وهذا يدل على أنّ المراد به ليس هو الروح القُدُس؛ لأنّ عدم الإيمان به لم يكن مظنونًا منهم وقت نزوله، فلا حاجة لهذا القول، وليس من شأن الحكيم العاقل - فضلاً عن نبي كريم - أنْ يتكلّم بكلام فضول، فلا محلّ لهذا الكلام إلاّ إذا كان المراد به النبيّ المبشَّر به وهو محمد ﷺ.

٦- أنّ عيسى عليه السلام قال: «فهو يشهد لأجْلي»، وتلاميذ المسيح في غنى عن هذه الشهادة لمعرفتهم إيّاه معرفة تامّة، والشهادة يحتاجها المنْكرون، ولم يثبتْ أنّ الروحَ القُدُس شَهِد لأجْلِ المسيح بين يدي أحد، بخلاف محمد ﷺ؛ فإنَّه شَهِد لأجْل المسيح عليه السلام وصدّقه، وشَهِد ببراءته وبراءة أمِّه مما نُسِب إليهما من الألوهية أو الفاحشة، كما هو مصرّح به في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة في مواضع عديدة[1].

٧- أنّ عيسى عليه السلام قال: «وتَشهدون أنتم أيضًا لأنكم معِي من الابتداء»، ولفظ (أيضًا) فيه دلالة ظاهرة على مغايرة شهادة الحواريين لشهادة الفارقليط، وتفسير الفارقليط بالروح النازل عليهم في الدار ينفي المغايرة؛ لأنّ شهادة الروح والحواريين واحدة في الزمان والمكان، وذلك لأنّه نَزل عليهم مثل الريح، وظهر في أشكال ألْسِنة ناريّة منقسمة، استقرّت على كل واحد منهم حتى صاروا يتكلّمون بألْسنة مختلفة، فشهادتهم عيْن شهادة الروح القُدُس، فلا معنى لقوله (أيضًا) إلاّ إذا كان المراد بالفارقليط النبيّ المبشَّر به؛ لحصول المغايرة عندئذٍ بين الشهادتين.

(١) لايوجد في العالَم كلّه من يشهد للمسيح غير محمدﷺ وأُمّته؛ لأنّ النصارى مغالون فيه، واليهود جاحدون له، وقد أيّد النجاشيُّ وسائرُ مَن هداهم الله للإسلام شهادةَ محمدٍ للمسيح عليهما الصلاة والسلام، تلك الشهادة المسموعة التي لا خفاء فيها، يقول ابن القيم رحمه الله: «ومعلومٌ أنّ هذه الشهادة لاتكون إلاّ إذا شهد له شهادةً يسمعها الناسُ ولاتكون هذه الشهادة في قلب طائفة قليلة، ولم يشهد أحدٌ للمسيح شهادة سمعها عامّة الناس إلاّ محمدﷺ؛ فإنّه أظهر أمْرَ المسيح وشَهِد له بالحقّ حتى سمع شهادتَه عامّةُ أهلِ الأرضِ وعَلِموا أنّه صدّق المسيحَ ونزّهه عمّا افترته عليه اليهودُ، وما غَلَتْ فيه النصارى، فهو الذي شهد له بالحق» (انظر كتابه: هداية الحيارى ص١٢٧، وأيوب صبري: الجوهر الفريد ص٢٦).

٨- أنّ عيسى عليه السلام قال: «إنْ لم أنطلقْ لا يأتيكم الفارقليط فأمّا إن انطلقْتُ أرسلته إليكم»، فعلّق مجيء المبَشَّر به على ذهاب عيسى عليه السلام، والروح القُدُس نزل على الحواريين في حضور عيسى عندما أرسلهم إلى البلدان للدعوة، أي إنّ نزوله ليس مشروطًا بذهاب عيسى عليه السلام، فليس هو المراد بالفارقليط وإنما المراد نبيّ، ولمّا لم يكن مجيء نبيٍّ موقوفًا على ذهاب عيسى عليه السلام غير محمد ﷺ ثبت أنّه المبشَّر به، وأنّه المراد بالفارقليط.

٩- أنّ عيسى عليه السلام قال: «يوبّخُ العالَم» «يُبكّتُ العالَم»، وهو نصّ جليّ في محمد ﷺ؛ لأنّه وبَّخَ العالَم لاسيما اليهود على كفرهم بعيسى توبيخًا لايشكّ فيه أحد، بخلاف الروح النازل يوم الدار؛ لأنّه ما وبخ أحداً، ولم يكن التوبيخ منصب الحواريين؛ لأنّهم كانوا يَدْعون إلى الملّة بالترغيب والوعظ.

ولِصدْق منصب التوبيخ على محمد ﷺ حُذف هذا اللفظُ من الطبعات الحديَثة ووضع بدلاً عنه لفظ (يبكّت) في محَاولة للتغليط ولنفْي وجود لفظ (يوبّخ)، وزعم رانكين في كتابه (دافع البهتان)[١] أنّ لفظ التوبيخ لايوجد في الإنجيل ولا في ترجمة من تراجم الإنجيل، وأنّ المسلمين يستدلّون بهذا اللفظ ليصْدق على محمد صدْقًا بيّنًا؛ لأجْل أنّه هدّد ووبّخ كثيراً.

وقد ردّ الشيخ رحمت الله على زعمه هذا بأنّه تغليط، فقد ثبت هذا اللفظ في التراجم القديمة، وأنّ لفظ التبكيت الثابت في بعض التراجم العربية ولفظ الإلزام الثابت في التراجم الفارسية قريبان من معنى التوبيخ[٢]، ولكنْ هذه عادتهم، فقد تركوا لفظَ (فارقليط) لشهرته في

(١) ألّفه للردّ على كتاب (خلاصة صولة الضيغم في الردّ على أعداء ابن مريم)، وكتاب صولة الضيغم للشيخ عباس علي الجاجموي ألّفه سنة ١٢٥٨هـ.

(٢) ثبت لفظ التوبيخ في جميع كتب الردود الإسلامية القديمة كمايلي: «الفارقليط لايجيئكم مالم أذهب وإذا جاء وبّخ العالَم على الخطيئة» (انظر: ابن القيم: هداية الحيارى ص ١١٧).

محمد ﷺ إلى ألفاظ أخرى يحصل بها التمويه.

١٠- أنّ عيسى عليه السلام قال: «أمّا على خطيّة فلأنّهم لم يؤمنوا بي»، وفيه دلالة على أنّ فارقليط يكون ظاهراً على منكري عيسى موبّخًا لهم على عدم الإيمان، والروح النازل يوم الدار لم يكنْ ظاهراً على الناس ولاموبِّخًا لهم[١].

١١- أنّ عيسى عليه السلام قال: «إنّ لي أموراً كثيرة أيضًا لأقولَ لكم ولكنْ لاتستطيعونَ أنْ تحْتَملوا الآن»، وهذا يعني أنّ الفارقليط نبيّ تُزادُ في شريعته أحكامٌ بالنسبة إلى ما كان عليه عيسى ويَثْقُل حمْلها على المكلّفين الضعفاء، وهو محمد ﷺ لا الروح النازل يوم الدار؛ لأنّه مازاد حكْمًا واحداً على ما كان عليه عيسى عليه السلام، بل إنّ النصارى بعد نزول الروح أسقطوا جميع أحكام التوراة غير الأحكام العشرة[٢]، وحلّلوا جميع المحرمات، وهذا لايجوز أنْ يُقال فيه إنّهم ما كانوا يستطيعون حمْله؛ لأنّهم استطاعوا حمْل سقوط أعظم أحكام التوراة وهو توحيد الله وتعظيم السبت[٣].

١٢- أنّ المسيح عيسى عليه السلام قال: «فهو يُرشدكم إلى جميع الحقّ لأنّه لايتكلّم من نفسه بل كلّ مايَسْمع يتكلّم به»، وفيه دلالة على وجود مظنّة

---

(١) لايصحّ توبيخ الروح القدس للحواريين؛ لأنّهم كانوا مؤمنين بوحدانية الله وبرسالة عيسى، والتوبيخ يكون للمنكرين والمغالين، ولم يتحقق ذلك إلاّ لمحمد ﷺ الذي وبّخ اليهود والنصارى والمجوس وسائر أصناف الناس على الشرك والفسوق والغلوّ، ولم يقتصر في توبيخه على الأمر والنهي، بل قاتلهم وأسرهم وسباهم وفرض عليهم الجزية.

(٢) انظرها في سفر الخروج ٢/٢٠-١٧، وسفر التثنية ٦/٥- ٢١.

(٣) يحقّ لنا أنْ نتساءل عن الأمور الكثيرة التي امتنع عيسى عن قولها لتلاميذه لعدم قدرتهم على احتمالها هل هي من مسائل العقيدة أو الشريعة؟! والروح القدس النازل يوم الدار مازاد في العقيدة ولا في الشريعة شيئًا، ومنذ رفع عيسى عليه السلام إلى يومنا هذا لم نرَ مَنْ جاء منهم بأمر لم يستطِع النصارى حمله، بل إنهم احتملوا ما لاتحتمله الجبال من تأليه المسيح وإسقاط الفرائض ونسْخ المحرّمات، ومحمد ﷺ هو الذي يرشد إلى جميع الحق في العقيدة والشريعة معًا، فجاء بالعقيدة التي تنزّه الله عمّا لايليق، وأخبر عن الله بما وصف به نفسه تعالى، وجاء بالشريعة العادلة الناهية عن المحرّمات الآمرة بالفرائض والعبادات، وكل ذلك لا تحتمله عقول النصارى. (ابن القيم: هداية الحيارى ص ١٢٣).

التكذيب في حقّ الفارقليط، والروح القدس لا وجود لمظنّة التكذيب في حقه، ثم بما إنّه عند النصارى إله فلا معنى لقوله (لا يتكلّم من نفسه بل كلّ مايَسمع يتكلّم به).

لكنْ مظنّة تكذيب بني إسرائيل واردة في حق محمدﷺ، فاحتاج عيسى عليه السلام إلى تقرير صدْقه وأنّه لاينطق من عند نفسه، فثبت أنّ المراد بالفارقليط هو محمدﷺ، فقد كذّبه المشركون وفَسَقةُ أهلِ الكتاب، وهو لم يكنْ يتكلّم من عند نفسه ﴿ومايَنطِقُ عن الهوى إنْ هوَ إلاّ وحْيٌ يوحَى﴾[1]، ﴿إنْ أتّبعُ إلاّ مايوحَى إلي﴾[2].

١٣- أنّ عيسى عليه السلام قال: «لأنّه يأخذُ ممّا لِي ويخْبرُكم كلُّ ما للآبِ هُوَ لي. لهذا قلتُ إنّه يأخُذُ ممّا لِي ويخْبِرُكم»، وهذا لايصْدق على الروح؛ لأنّه بزعم أهل التثليث قديم وغير مخلوق، وهو مطلَق القدرة والكمال، والفارقليط له كمال منتظَر بحيث إنّه يلتقي مع المسيح في الأخْذ عن الله، وهذا لايصحّ في حقّ الروح القدس ويصحّ فقط في حقّ محمدﷺ، حيث إنّ ما جاء به عيسى ومحمد يخرج من مشكاة واحدة، إلاّ أنّ دين محمدﷺ أكمل، وشرعه أتمّ، ورسالته عالميّة.

ويُضاف لهذه الأمور الثلاثة عشر التي ذكرها الشيخ رحمت الله أمور أخرى لم يذكرها، وفيها دلالة على أنّ المراد بالفارقليط محمدﷺ، لا الروح القدس، وهي:

١٤- أنّ عيسى عليه السلام قال: «أقول لكم الحقَّ إنّه خيرٌ لكم أنْ أنْطَلقَ»، وهذا فيه بيان أفضليّة الموعود وشرْعه على عيسى وشرْعه، وذلك لايَكون بروح القدس؛ لأنّ النصارى يَعُدّون أقنوم الابن أفضل من أقنوم الروح القدس؛ لأنّ الأخير منبثقٌ عن أقنوم الابن، ولو كان أقنوم الروح القدس

(١) سورة النجم الآيتان ٣ - ٤.

(٢) سورة الأنعام آية ٥٠، وسورة يونس آية ١٥، وسورة الأحقاف آية ٩.

أفضل لوجب كون الحواريين الذين نزل عليهم الروح القدس أفضل من عيسى، وهم لايقولون بهذا، ولايستقيم هذا مع الوعد بإتيان الأفضل إلا بكون الفارقليط الموعود هو محمد ﷺ.

١٥- أنّ عيسى عليه السلام قال: «فارقليطاً آخر»، وفي التراجم الحديثة «معزّياً آخَر»، فدلّ هذا على أنّه ثانٍ لأوّل قَبْله، وأنّ الثاني لم يكن معهم في حياة المسيح، وإنّما يكون بعد ذهابه عنهم، ولايصحّ إطلاق لفظ (آخَر) على الروح القُدُس؛ لأنّ النصارى يزعمون التثليث والاتّحاد، فيستحيل الاتّحاد مع كونه آخَر، وإتيان الفارقليط متوقّف على ذهاب المسيح، والروح القُدس نزل على المسيح وعلى الحواريين قبل ذهاب المسيح، وعليه يبطل كون هذا الفارقليط المعزّي هو الروح القُدُس، ووجب أنْ يكون آخَر غيره؛ لأنّ مقتضى اللفظ يدلّ على تقدّم فارقليط أوّل حتى يأتي فارقليط آخَر بعده يكون نظيراً له[1].

١٦- أنّ عيسى عليه السلام قال: «ليَمْكُث معكم إلى الأبَد»، وهذا يدلّ على دوام الفارقليط إلى آخِر الدهر، والمقصود بالدوام دوام الشريعة لا دوام الذات، ويدُلّ كذلك على أنّ الفارقليط الأوّل لايمكث شرْعه فيهم إلى الأبد، أي إنّ دعوة المسيح عليه السلام ليست عالمية، بينما دعوة الفارقليط محمد ﷺ عالمية؛ لأنّه صاحبُ شرْعٍ لايُنْسَخ وباقٍ إلى الأبد، بخلاف الأوّل.

وهذا ينفي قطعًا أنْ يكون الروح القدس هو المراد بالفارقليط؛ لأنّ الحواريين كلهم قد اضطُهدوا وعُذبوا وماتوا ولم ينزل الروح القُدُس عليهم ولا على مَن بعدهم، فكيف يقال: إنّه مكث معهم إلى الأبد؟!

ثم إنّ هذا الروح القدس بزعم النصارى إله، والإله موجود منذ الأزل وباقٍ إلى الأبد، فلا وجه للتنبيه على أنّه سيمكث معهم إلى الأبد.

فثبت إذنْ أنّ هذا الذي يمكثُ معهم إلى الأبد ليس هو روح القدس جبريل عليه السلام، وإنّما هو دين الفارقليط محمد ﷺ وشرْعه الخالد.

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٤/ ١٠.

١٧- أنّ عيسى المسيحَ عليه السلام قال: «الذي لايستطيعُ العالَمُ أنْ يَقْبَله»، وهذا يدلّ على أنّ المراد بالفارقليط هو محمدﷺ؛ لأنّ العالَم حارب دعوته في بادئ الأمر، ومازال أهلُ الكتاب إلى اليوم يكيدون لدين الإسلام، أمّا الروح القدس فمن هم الذين لم يقْبلوه وهو لم يمكث إلاّ لحظات يسيرة لتوزيع الألْسنة الناريّة ثم اختفى؟!

١٨- أنّ المسيح عيسى عليه السلام قال: «ويُخْبِرُكم بأمور آتية»، ولم يخْبِر أحدٌ بأمور آتية بعد المسيح غير محمدﷺ، فالقرآنُ الكريم وحديثُ الرسولِ ﷺ مليئان بالأخبار عن الله وصفاته وملائكته، وعن الجَنّة والنار والصراط والميزان وتطاير الصحف وأشراط الساعة، ومعلوم أنّ ما جاء به المسيحُ عيسى عليه السلام لم يكن فيه هذا كلّه ولا نصفه وهو أعظم من الحواريين، فما هو الذي أعطاه الروح القُدُس للحواريين؟![1]

١٩- ورد في آخر البشارة ١٩/١٦ «فعَلِمَ يسوعُ أنّهم كانوا يريدون أنْ يَسألوهُ»، ولم يصرّح المسيحُ بأنّ الفارقليطَ هو أقنوم إلهي، ولم يكن شيء يمنعه من الإفصاح بذلك عند الوعد، وقد ورد في البشارة حبّ التلاميذ للاستفسار، وعدم البيان فيه هلاكهم، ولايظنّ أنّ المسيح عليه السلام يبخل على أحبابه المؤمنين به والمقربين إليه بالبيان الصريح الذي فيه نجاتهم، وبخاصة في لحظاته الأخيرة قبل الرفع[2].

المبحث الثاني:

الإجابة عن الشُّبَه الواردة على بشارة الفارقليط:

إنّ لهذه البشارة أهمية خاصة عند المسلمين وعند النصارى، لذلك لم يلبث المنصّرون أنْ أوْردوا عليها بعض الشُّبه محاولين صرْفها عن الدلالة على

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ١٣/٤.

(٢) أيوب صبري: الجوهر الفريد ص ٢٣.

محمد ﷺ، وقد ذكر الشيخ رحمت الله خمساً[1] من هذه الشُّبه ألخصها فيمايلي:

الشُّبْهة الأولى: جاء في البشارة تفسير الفارقليط بروح القدس وروح الحق، وهما عبارتان تصْدقان على الأقنوم الثالث جبريل، فكيف يصحّ أنْ يراد بالفارقليط محمد ﷺ ؟

والجواب أنّ النصارى يستعملون ألفاظ: روح الله، وروح القدس، وروح الحق، وروح فم الله، بمعنى واحد[2]، ويستعملون هذه الألفاظ في غير الأقنوم الثالث، فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى ٤/١-٢ مانصّه:

«(١) لاتصدّقوا كلَّ روحٍ بل امتحِنوا الأرواحَ هلْ هيَ من اللهِ لأنّ أنبياءَ كذَبَةً كثيرينَ قدْ خَرَجُوا إلى العالَم(٢) بهذا تعرفونَ روحَ اللهِ».

فسمّى الصادقين والكاذبين أرواحًا، لكنْ الأنبياء الصادقون أرواحٌ من الله، فهم أرواحُ الحقّ، والكاذبون هم أرواحُ الضلال، ولذا قال في نفس الرسالة ٤/٦ «مِنْ هذا نعرِفُ روحَ الحقِّ وروحَ الضّلالِ».

وجاء في الترجمة الأردية المطبوعة سنة ١٨٤٥م بدل كلمة روح كلمة: (واعظ)، وبدل كلمة روح الله: (الواعظ من جانب الله)، وبدل كلمة روح الحق: (الواعظ الصادق)، وبدل كلمة روح الضلال: (الواعظ المُضلّ)، وليس المقصود بروح الله وروح الحقّ الأقنوم الثالث الذي هو عيْن الله على زعمهم، بل كما هو ظاهر قطعًا أنّ المقصود بروح الله وروح الحق النبيّ المبعوث من جانب الله؛ لأنّ مبعثه حقٌّ وصدْق، وهذا لايصْدق إلاّ على محمد ﷺ، ولايضرّنا تفسير الفارقليط بروح القدس وروح الحق؛ لأنّهما بمعنى واحد وهو الواعظ الحق[3].

---

(١) انظر هذه الشُّبه الخمس في إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص١١٩٨- ١٢٠٥.

(٢) ذكر ذلك الدكتور القسيس فندر في كتابه مفتاح الأسرار ص ٥٣ من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٥٠م. انظر: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ١١٩٨.

(٣) وكأنّ معنى فارقليط الروح القدس هو أحمد روح الله الطاهر المصطفى من الله والآتي بأمره والمنسوب إليه.
(د. أحمد السقا: أقانيم النصارى ص ٤٦).

الشبهة الثانية: أنّ المخاطَبين هم الحواريون وكانوا مع عيسى عليه السلام، فلا بدّ من ظهور الفارقليط في عهدهم، ومحمد ﷺ لم يظهر في عهدهم وإنما بعدهم بأكثر من خمسة قرون.

والجواب أنّه لايشترط أنْ يكون الحاضرون وقت الخطاب هم المرادين بضمير الخطاب، ففي إنجيل متى ٢٦/٦٤ خاطب عيسى عليه السلام رؤساء الكهنة بقوله «وأيضًا أقولُ لكم: من الآنَ تبصرونَ ابنَ الإنسانِ جالسًا عن يمينِ القُوَّةِ وآتيًا على سَحابِ السماءِ».

ومعلوم أنّ المخاطَبين قد ماتوا منذ أكثر من تسعة عشر قرنًا وما رأوه ولا مَن بعدهم آتيًا على سَحابِ السماءِ، فكما ظهر أنّ المراد من خطابه لهم مَن يوجد من قومهم وقت نزوله من السماء، فكذلك هنا ظهر أنّ المراد بالمخاطَبين النصارى الموجودون زمن محمد ﷺ.

الشبهة الثالثة: أنّه وقع في حقّ فارقليط أنّ العالَم لايراه ولايعرفه، وأنتم تعرفون محمداً ﷺ، والناسُ في زمانه رأوه وعرفوه، فلايصْدُقُ عليه أنّه المراد بالفارقليط.

والجواب أنّ المراد هنا بالرؤية وبالمعرفة: المعرفة الكاملة الحقيقية، ومثل ما ورد في حقّ الفارقليط ورد في حق عيسى عليه السلام:

ففي إنجيل يوحنا ٨/١٩ و٥٥ «(١٩) أجابَ يسوعُ: لستم تَعرفونني أنا ولا أبي. لو عرفتُموني لعَرفتُم أبي أيضًا... (٥٥) إلهُكم ولستم تَعرفونَهُ وأمّا أنا فأعرِفُه».

وفيه ١٤/٧ «لو كُنتم قدْ عرفتُموني لعرفتم أبي أيضًا. ومِنَ الآنَ تَعْرِفونه وقدْ رأيتموه».

وفيه ١٧/٢٥ «أيّها الآبُ البارُّ إنَّ العالَمَ لَمْ يَعرِفْك. أمّا أنا فعرفتُك».

ولـمّا كانت رؤيةُ الله البصَرية ممتنعة في الدنيا عندنا وعندهم، فالمراد بالرؤية في هذه الفقرات: المعرفة، والمراد بالمعرفة: المعرفة الحقيقية الكاملة، وإلاّ لاتصحّ هذه الأقوال يقينًا؛ لأنّ العوامّ رأوا عيسى وعرفوه فضلاً عن رؤساء الكهنة، وعيسى عرف الله معرفة حقيقية كاملة، لكنّ اليهود ورؤساء الكهنة ماعرفوا الله ولا عرفوا عيسى معرفة حقيقية كاملة، فعصوا الله ورسوله.

إذنْ فالمراد بكون العالَم لايَرى الفارقليط ولايَعرفه: أي معرفةً حقيقيّةً كاملةً، وإلاّ يلزم الطعن في الفقرات السابقة الواردة في حقّ عيسى عليه السلام.

الشبهة الرابعة: أنّه وقع في حق فارقليط «لأنّه ماكثٌ معَكم ويكونُ فيكم»، وهذا يعني أنّه وقت الخطاب كان مع الحواريين وثابتًا فيهم، فكيف يصْدق على محمد ﷺ؟

والجواب أنّه في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م وسنة ١٨٢٥م وقع بلفظ الاستقبال (وسيكون فيكم)، ومثلها في التراجم الفارسية والأردية مابين سنة ١٨١٤ - ١٨٤١م، فظهر أنّ المقصود به الثبوت الاستقبالي يقينًا، ولايصحّ حمل قوله (ماكثٌ معكم) و (مقيم عندكم) على الزمن الحاضر؛ لمنافاته لقوله (وأنا أطلبُ من الآب فيعطيكم فارقليطا آخر)، ولقوله (قد قلتُ لكم قبْل أنْ يكون حتى إذا كان تؤمنون)، ولقوله (إنْ لمْ أنطلقْ لايأتيكم).

وللتوفيق بين النصوص لا بدّ من حمل الإقامة والمكث على الاستقبال كما أنّ القول الآخر بمعنى الاستقبال أي (وسيكون فيكم)، والتعبير بالحاضر أو بالماضي عن الاستقبال في الأمور المتيقنة وارد كثيراً في كتب العهدين[1].

الشبهة الخامسة: أنّه وقع في سفر الأعمال ١/٤-٥ مايلي «(٤) وفيما هو مجْتَمعٌ معهم أوصاهم أنْ لايَبْرَحوا من أورشليمَ بل يَنتَظِروا موعدَ الآبِ الذي سمعتموه منّي (٥) لأنّ يوحنّا عَمَّدَ بالمَاء وأمّا أنتم فستتعمّدون بالروحِ القُدُسِ

(١) انظر سفر حزقيال ٨/٣٩، وإنجيل يوحنا ٥/٢٥.

ليس بَعْدَ هذه الأيامِ بكثير». فموعد الآب: هو مجيء الفارقليط وهو الروح القدس النازل يوم الدار.

وقد ردّ الشيخ رحمت الله بأنّ هذا غلطٌ محض؛ لأنّ الإخبار عن فارقليط شيء والوعد بإنزال الروح القدس شيء آخَر، ونقْل الأناجيلَ لأحد الأمْرين دون الآخَر جعلهم يظنّون كونهما واحداً، وغاية ما في الأمر أنّ يوحنّا انفردَ بنقْل بشارة الفارقليط، وانفردَ لوقا (في فقرتي سفر أعمال الرسل السابقتين) بنقْل الوعْد بإنزال الروح القُدُس، وهذا الانفراد لايوجب كون الفارقليط المبشَّر به عند يوحنّا هو الروح القُدُس الموعود عند لوقا، وقد اتفق كُتّاب الأناجيل على ذكْر بعض الأمور الخسيسة كركوب عيسى عليه السلام على الحمار ولم يتفقوا على ذكر بعض الأمور العظيمة، بل انفرد كلٌّ منهم بذكر بعضها دون الثلاثة الآخرين، وهذا يدلّ على أنّ انفراد يوحنّا بذكْر بشارة الفارقليط لايوجب كونه هو الروح النازل يوم الدار.

وبهذا يظهر أنّ النصارى ليس معهم حُجَّة في تفسير الفارقليط بالروح القدس النازل على التلاميذ يوم اجتماعهم في الدار، وأنّ التأمّل في ألفاظ البشارة وسياقها يوجب علْمًا جازمًا ببطلان تفسيرهم هذا، ومثله بطلان تفسيرهم له بالألْسُنِ الناريّة؛ فإنّ الروح لم يُسمّه أحدٌ بالفارقليط، والصفات المنعوت بها الفارقليط تبيّن أنّه يُرَى ويُسْمَع ويَشْهَد ويُعلّم ويُذكّر ويوبّخ ويُرْشد للحقّ ويَتكلّم بمايسمع، وهذه الصفات لايكون المنعوت بها مَلَكًا، ولا أمراً معنويّاً في قلوب الناس، بل هو إنسانٌ عظيم يقْدر على ما لا يقْدر عليه المسيح، ولايشكّ عاقل باتّصاف نبيّنا محمد ﷺ بهذه الصفات[1].

وقد ذكر د. موريس بوكاي أنّ فعل يَسْمع وفعل يَتَحدّث الوارديْن في البشارة في الترجمة اليونانية يُفيدان الاتّصال المادّي الواضح بسبب إصدار الصوت، وذلك لايمكن مطلقًا في عمل الروحِ القدُسِ، بل يخصّ كائنًا بشريّاً يتمتّع بجهاز للسّمْع وآخَر للكلام، وتطبيق ذلك على الروح القُدُس غير ممكن،

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٤/١١، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١٢١-١٢٣.

وذَكَرَ أنّ حذْفَ كلمة الروح القدُسِ من نصّ البشارة يجعل المعنى متّسقًا مع النصوص الأخرى؛ لأَنّ المسيح قَصد إرسال وسيط آخَر إلى البشر كما كان هو نفسه وسيطًا على الأرض.

ثم خَلَص د. موريس بوكاي إلى نتيجة يقول فيها:

«ذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أنْ نَرى في الباراكليت عند يوحنّا كائنًا بشريّاً مثْل المسيح يتمتع بحاستيْ السمع والكلام، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نصّ يوحنّا بشكل قاطع، إذنْ فالمسيح يصرّح بأنّ الله سيُرسل فيما بعد كائنًا بشريّاً على هذه الأرض ليؤدّي الدورَ الذي عرفه يوحنّا، ولْنَقُلْ باختصار إنّه دَوْر نبيّ يَسمع صوتَ الله ويكرّر على مسامع البَشَر رسالتَه. ذلك هو التفسير المنطقي لنصّ يوحنا إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلي. إنّ وجود كلمتيْ (الروح القدس) في النصّ الذي نملك اليوم قد يكون نابعًا من إضافة لاحقة إرادية تمامًا[1] تهدف إلى تعديل المعنى الأوّل لفقرة تتناقض بإعلانها بمجيء نبيّ بعد المسيح مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التي أرادتْ أنْ يكون المسيحُ هو خاتم الأنبياء»[2].

وقد ذكر الأب متّى المسكين أنّه توجد وثيقة في كنيسة فينّا ليوسابيوس القيصري وردت فيها كلمة الباراكليت كصفة لشخص يتبنّى مسئولية الدفاع عن المسيحيين المتّهمين بمسيحيتهم ويُحامي عنهم، وتُصوِّر هذه الوثيقةُ الباراكليت تصويراً واقعيّاً حيّاً بحيث لا مجال للشكّ بأنّه أكثر من بشَر[3].

فلْيعتبر أولو الأبصار ولْيتركوا التعصّب الذميم في وجه الحقائق العلمية القاطعة.

---

(١) يقصد التحريف القصدي المتعمّد بزيادة كلمتيْ (الروح القدس) في البشارة.

(٢) د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ١٢٩.

(٣) د. أحمد السقا: أقانيم النصارى ص ٥٧ إحالة إلى كتاب: الباراكليت الروح القدس في حياة الناس ص ١٢ - ١٣.

البشارة العاشرة[1]

(رئيس السلام والرياسةُ على كَتِفِه)

وهي بشارة بمحمد ﷺ وببعض صفاته

ورد في سفر إشعياء ٩/٦-٧ «(٦) لأنّهُ يُولَدُ لنا وَلَدٌ ونُعطَى ابنًا وتَكُونُ الرِّياسةُ على كَتِفه ويُدْعَى اسمُه عَجيبًا مُشيراً إلهًا قَديراً أبًا أبديًا رئيسَ السلامِ(٧) لنموِّ رياستهِ وللسّلامِ لا نهايةَ على كرسيِّ داودَ وعلى مملكته ليُثبّتَها ويَعْضُدَهَا بالحقِّ والبرِّ مِن الآنَ إلى الأبَد. غَيْرةُ ربِّ الجُنودِ تَصْنَعُ هذا».

فهذا النصّ بشارة بمحمد ﷺ من عدة أوجه:

١- قوله «وتكونُ الرِّياسةُ على كَتِفه»، يقصد به خاتم النبوة الذي على كَتف النبيّ محمد ﷺ، وقد جاء في النُّسَخ القديمة: «والشّامةُ على كَتفه»[2]، وهذا لا دلالةَ فيه على عيسى عليه السلام بأيّ وجْه كان، وإنّما هو نصّ على العلامة البدنية التي جعلها الله بين كَتفيْ رسوله محمد ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإنّه الذي رياستُه على

(١) البشارات الخمس التالية من العاشرة إلى الرابعة عشرة لم يذكرها الشيخ رحمت الله في كتاب إظهار الحق.

(٢) عن السائب بن يزيد قال: «ذهبتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إنّ ابن أختي وَجِعٌ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة. ثم توضأ فشربت من وَضُوئِه، ثم قمتُ خلْف ظهره فنظرتُ إلى خاتمه بين كتفيه مثل زرّ الحَجَلة» رواه البخاري في كتاب المناقب، باب ٢٢ خاتم النبوة، حديث رقم ٣٥٤١، ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ٣٠ إثبات خاتم النبوة، حديث رقم ٢٣٤٥.

وروى مسلم في نفس الكتاب والباب عن جابر بن سمرة قال: «رأيتُ خاتمًا في ظهر رسول الله ﷺ كأنّه بيضة حمام».

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى عن سهل بن عتيبة أنّه كان نصرانياً، وكان يقرأ في إنجيل لعَمّه، حتى مرّتْ به ورقة ملْصَقة بأختها، ففكّها وقرأ ما فيها، وإذا فيها صفة رسول الله ﷺ وأنّه يركب الحمار والبعير، وفيها صِفة خاتم النبوة، ولـمّا رآه عمّه ضربه، فقال سهل: قرأتها لأنّ فيها صفة النبي أحمد ﷺ، فقال له عمّه: إنّه لم يأتِ بَعْد. (انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٣/١ و٤٢٥ - ٤٢٧).

عاتقيْه وبيْن منكبيْه من جهتيْن: من جهة أنّ خاتم النبوة على بعض كتفيْه، وهو علامة من أعلام النبوة الذي أخبرتْ به الأنبياء، وعلامة ختمهم، ومن جهة أنّه بُعث بالسيف الذي يتقلّد به على عاتِقه، ويرفعه إذا ضرب به على عاتقه»[١].

٢- قوله «ويُدْعَى اسمه عجيبًا مُشيراً إلهًا قديراً»، ورد هذا النصّ في طبعة لندن سنة ١٨٢٢م بلفظ (مشاوراً لله)[٢]، والمعنى أنّه لا يقول من عندِ نفْسِه ولايتكلّم بهواه إلاّ بما يوحيه اللهُ إليه.

وعند شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحب التخجيل ورد النصّ بلفظ (إله جبّار)[٣]، والمعنى أنّه متصرّف وحُكْمه نافذ، وهو من قبيل ما قاله الله لموسى: (جعلتُك إلهًا لفرعون) أي مسَلَّطًا عليه، ويؤيّد هذا المعنى الروايةُ الأُخرى التي ورد فيها: (إلهًا قويّاً مُسَلَّطًا)[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وسمّاه إلهًا على نحو قول التوراة (إنّ الله جعل موسى إلهًا لفرعون) أي حاكمًا عليه ومتصرّفًا فيه، وعلى نحو قول داود للعظماء مِن قومه: إنكم آلهة»[٥].

٣- قوله «أبًا أبديّاً رئيسَ السلام»، وفي النسخ القديمة «أركون السلام»[٦]؛ لأنّ الأركون هو العظيم، فمحمد ﷺ هو صاحب الشريعة الأبديّة التي لا تُنْسَخ، وهو الذي أقرّ السّلام في العالَم ونشره حتى بيْن أهل الكتاب، فلم يُضطَهَد أحدٌ منهم لدينه، وقد نعم نصارى الشام في ظلّ المسلمين بما لم ينعموا به في ظلّ نصارى الروم.

(١) الجواب الصحيح ٢/٢١٣.

(٢) د. السامرائي: نبوّة محمد ص ٢٦٥.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣/٣٢٧، وأبو الفضل المالكي: المنتخب الجليل ص ١٤٣.

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/٢١٣.

(٥) المرجع السابق ٣/٣٢٨.

(٦) المرجع السابق ٣/٣٢٧.

وقد وردت الفقرة السابعة من هذه البشارة في طبعة لندن سنة ١٨٢٢م هكذا «ليكْثر سلطانُه وسلامُه ليس له فَناء على كرسي داود وعلى مملكته يجلس ليقيمها ويعضدها بالإنصاف والعدل منذ الآن وإلى الأبد»[١].

وهذه هي صفة ختْم النبوة؛ لأنّ الذي سلطانه إلى الأبد: لايُنسَخ شَرْعُه؛ لعدم الحاجة إلى شرع آخر غيره، ومعنى جلوسه على كرسي داود: وراثته بني إسرائيل ونبوّتهم وملْكهم ورياستهم، ولم يحصل هذا لغير محمد ﷺ بل هو صريح الدلالة عليه.

فهذه الأوجه جميعها صريحة في محمد ﷺ، فهو الذي كان بيْن كتفيه خاتم النبوّة، وقد رأى كثيرون من أهل الكتاب هذه العلامة وصدّقوه، وهو الذي كان مؤيّداً منصوراً على الأعداء، وهو الذي نَشَر السّلام في الأرض، أمّا المسيحُ فلم يُسلَّط على أحد، بل تَسلَّط عليه اليهودُ والرومان حتى صُلب وقُتل بزعمهم جميعًا، ويزعمون أنّه يقول كما جاء في إنجيل متى ١٠/٣٤ «لاتَظنّوا أنّي جئتُ لأُلْقِيَ سلامًا على الأرض. ما جئتُ لأُلْقيَ سلامًا بل سيفًا».

فهو على حسب هذا القول لم يأتِ لنشْر السلام الذي نشَره محمد ﷺ.

---

(١) د. السامرائي: نبوة محمد من الشك إلى اليقين ص ٢٦٦.

البشارة الحادية عشرة

(وحْيٌ من جهة بلاد العرب)

وهي بشارة بمحمدﷺ راكب الجمل[1]

ورد في سفر إشعياء ٢١/٦-٧ و٩ و١٣-١٥ «(٦) أقمِ الحارسَ ليُخْبِرْ بما يَرى(٧) فرأى رُكّابًا أزْواجَ فُرْسانٍ. رُكّابَ حميرٍ. رُكّابَ جِمَالٍ...(٩) فأجابَ وقالَ سقَطَتْ بابلُ وجميعُ تماثيلِ آلِهَتِهَا المنْحُوتة كَسَّرها إلى الأرض...(١٣) وحْيٌ منْ جهَة بلاد العَرَب(١٤) هاتوا ماءً لملاقاة العَطْشانِ ياسُكّانَ أرضِ تيماءَ وأَوفوا الهَارِبَ بخُبْزِه(١٥) فإنّهم من أمامِ السّيوف قد هَربوا. مِن أمامِ السّيفِ المسلولِ ومِن أمامِ القوسِ المشدودةِ ومن أمامِ شِدّةِ الحربِ».

وقد وردت هذه البشارة في النسخ القديمة كما يلي: «قيل لي قُمْ ناظراً فانظر فما ترى تخبر به. قلتُ أرى راكبيْن مقبلَيْن أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول أحدُهما لصاحبه سقَطَتْ بابل وأصنامُها النخرة... يدوسون الأممَ كدوْسِ البيادر وينزل البلاء بمشركي العرب وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسيٍّ موتورة من شدّة الملْحَمة»[2].

وهذه البشارة لاتصْدق على عيسى عليه السلام، بل هي صريحة الدلالة على نبينا محمدﷺ لما يلي:

١- أنّ شُهْرَةَ محمدﷺ بركوب الجمل أكثر من شهرة عيسى بركوب الحمار، ثم

---

(١) ذكر هذه البشارة المهتدي بشرى زخاري ميخائيل في كتابه: محمد رسول الله هكذا بشّرت به الأناجيل ص ٦٥.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣/٣٢٣، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١٤٨ و١٦٨، وابن الجوزي: الوفا ١/١١٦ و١٢٣، والخزرجي: مقامع الصلبان ص ١٣٥ و١٩١، والقرطبي: الإعلام ص ٢٧٤ و٤٥١.

إن عيسى عليه السلام لم يركب جَملاً قطّ، وقد دخل أورشليم على جحش ابن أتان.

٢- سقوط أصنام بابل كانت بمحمد ﷺ لا بعيسى عليه السلام، لأنّها مازالت معبودة من زمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى زمان نبينا محمد ﷺ، حتى سقطتْ على يدِ أتباعهِ، لا على يد أتباع عيسى عليه السلام ولا غيره من أنبياء بني إسرائيل.

٣- النصّ على أنّ الوحْيَ جاء من جهة بلاد العرب، وأنّ على سكّان تيماء -وهي تقع شمال الحجاز - أنْ يُعدّوا الماءَ ليسقوا النبيَّ العطشان وجندَه المجاهدين، ولو قيل إنّ هذا هو عيسى وأتباعُهُ، فيقال إنّه من فلسطين الواقعة شمال غرب تيماء، ولم يصل إلى تلك المنطقة ولم يخرج خارج فلسطين، بينما وصل محمد ﷺ إلى تيماء وتبوك، ووصل جنده إلى أقصى شمال بلاد الشام وفلسطين، وينفي قولَهم ذاك أنّ الوحْيَ جاء من جهة بلاد العرب لا من جهة فلسطين التي كانت آنذاك ولاية رومانية.

٤- النصّ على أنّ هذا النبيَّ وأتباعَهُ يدوسون الأُممَ الكافرة، ويُنزلون البلاءَ والهزيمةَ بمشركي العرب، وهو نصّ صريحٌ في محمد ﷺ، ومعلوم أنّ عيسى عليه السلام ما دعا العربَ لدينه، ولا داس أمّةً واحدةً من أمَمِ الشرك والوثنية، بل ولا مشركًا واحداً، وقد تسلّط مشركو اليونان والرومان على أتباعه الموحدين حتى سحقوهم عن آخرهم، ثم تَرَوَّم النصارى.

٥- النصّ على أنّ الأعداء ينهزمون أمام السيوف المسلولة والقسيّ الموتورة، فأيهما الذي نُصِر بالرعبِ مسيرة شهرين؟! وهل روى التاريخُ أو الأناجيل أنّ عيسى عليه السلام حَمل سيفًا أو أمر أتباعَه بذلك؟! أليس هذا نصّاً صريحًا في وصْف محمد ﷺ وأمّته؟! أليس قتال الكفّار بالسيف من أعظم مطاعن المنصّرين على دينِ الإسلامِ ونبيّهِ وأُمّتهِ؟!

ومن أغرب ما يُجيبُ به النصارى قولهم: إنّ الراكبيْن هما واحد، فراكب الحمار هو راكب الجمل، محاولين ليَّ هذه البشارة لتدلّ على عيسى عليه السلام، وهذا وإنْ كان مخالفًا لقواعد اللغة والتاريخ فإنّ فيه تأكيداً على نبوة محمد ﷺ إذْ يصحّ تفسير هذا الراكب الواحد بمحمد ﷺ، لأنّه ركب الحِمارَ والحصانَ والجَملَ، أمّا عيسى عليه السلام فلم يركب إلاّ حماراً.

ولئنْ كان قولهم هذا غريبًا فأغرب منه قول مَن تمحّل وتعسّف ففسّر الراكب بالملك قورش المجوسي الوثني عابد الأصنام فراراً من الحقّ الواضح، ومعلوم أنّ الفُرْس لم يكونوا يَعرفون ركوب الجِمال، وقد ذُعر أحدُ ملوكهم لمّا رأى في المنام أنّ خيلاً وإبلاً عبرت النهر وانتشرت في بلاده؛ لأنّهم كانوا يَعُدّون ركوب الإبل دلالة واضحة في العرب.

وفي سفر إشعياء ٥/٢٦-٢٩ بعد أنْ بيّن أنّ الربَّ قد غضب على بني إسرائيل، وأنّ البلاءَ الكثير سيحلّ بهم، وأنّ الخراب سيعمّ ديارهم قال:

«(٢٦) فيرفعُ رايةً للأمَمِ من بعيدٍ ويَصْفِرُ لهم من أقصى الأرضِ فإذا هُمْ بالعَجَلَة يأتونَ سريعًا (٢٧) ليس فيهم رازحٌ ولا عاثِرٌ. لا يَنْعَسُون ولا يَنامونَ ولا تَنْحَلُّ حُزُمُ أحْقائهم ولا تَنْقَطِعُ سُيُورُ أحْذيتهم (٢٨) الذين سهامُهم مسنونةٌ وجميعُ قِسِيِّهِمْ ممدودةٌ. حَوافِرُ خَيْلهم تُحْسَبُ كالصَّوَّانِ وبَكَراتُهم كالزَّوْبَعَةِ (٢٩) لهم زَمْجَرَةٌ كاللَّبْوةِ ويُزَمْجِرُونَ كالشِّبْلِ».

وهذه بلا شكّ كلّها صفاتُ أمّة محمد ﷺ، وقد روى ابن القيم[1] رحمه الله الفقرة ٢٦ من الإصحاح الخامس من سفر إشعياء كما يلي: «أرفعُ علَمًا لجميعِ الأمم من بعيد فيَصْفِرُ بهم من أقصى الأرض فإذا هُمْ سراع يأتون» ثم قال:

«والعلَمُ الذي يُرفَعُ: هو النبوّة، والصّفِيرُ بهم: دعاؤهم من أقاصي الأرض

(١) انظر كتابه: هداية الحيارى ص ١٥٢.

إلى الحج فـإذا هم سراع يأتون، وهذا مطابق لقوله عز وجل: ﴿**وأذِّنْ في الناسِ بالحجّ يأتُوكَ رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتِينَ من كلّ فجٍّ عميق**﴾ »[1].

كما روى ابن الجوزي عن سفر إشعياء مايلي:

« أبشري يا أورشليم يأتيك الآن راكبُ الحمار - يعني عيسى - ويأتيكِ بعده راكبُ البعير - ويعني محمداً ﷺ »[2].

---

(١) سورة الحج آية ٢٧.

(٢) انظر كتابه: الوفا بأحوال المصطفى ١٠٨/١.

البشارة الثانية عشرة

(غَنَمُ قِيدَار وكِبَاش نبايوت)(١)
وهي بشارة بمكة المكرمة ومجْدِها العظيم المنتظَر لها

هذه البشارة هي الإصحاح الستون من سفر إشعياء، وأنقل معظم فقراتها رغم طولها إذْ لاتتمّ الفائدة بغير ذلك.

يقول الإصحاح الستون «(١) قومي استنيري لأنّه قدْ جاءَ نورُك ومَجْدُ الرَّبِّ أشْرقَ عليك(٢) لأنّه ها هيَ الظُّلْمةُ تُغَطّي الأرضَ والظَّلامُ الدامسُ الأُمَمَ. أمّا عليكِ فيُشْرِقُ الربُّ ومجْدُهُ عليك يُرَى(٣) فتسيرُ الأُمَمُ في نورك والملوكُ في ضياءِ إشراقك(٤) ارفعي عينيْك حَواليْك وانظُري. قد اجتمعوا كُلُّهم. جاءوا إليكَ. يأتي بَنُوك من بَعيد وتُحْمَلُ بناتُك على الأيدي(٥) حينئذٍ تنْظُرينَ وتُنيرينَ ويَخْفقُ قَلبُك ويَتَّسعُ لأنّه تتحوَّلُ إليكَ ثَرْوةُ البحر ويأتي إليكَ غنى الأُمَم(٦) تغطّيك كَثْرةُ الجمال بُكرانُ مدْيانَ وعيفَةَ كلُّها تأتي منْ شَبا. تَحملُ ذَهبًا ولُبانًا وتُبشّرُ بتسابيح الربّ(٧) كلُّ غَنمِ قيدَارَ تَجْتمعُ إليك. كِباشُ نَبايوتَ تَخْدُمُك. تَصْعَدُ مَقْبُولَةً على مذْبحي وأزيّنُ بيتَ جَمالي...(١٠) وبَنو الغريب يَبنونَ أَسوارك ومُلوكُهمْ يَخْدُمونَك. لأنّي بغضَبي ضَربتُك وبرضواني رَحمتُكَ(١١) وتنفَتِحُ أبوابُك دائمًا. نَهاراً وليلاً لا تُغْلَقُ. ليُؤتَى إليك بغنَى الأَمَمِ وتُقَادَ ملوكُهم(١٢) لأنَّ الأُمَّةَ والمملكةَ التي لاتخدُمُك تَبيدُ وخرابًا تُخْرَبُ الأممُ...(١٤) وبَنو الذين قَهروك يَسيرون إليْك خاضعينَ وكُلُّ الذين أهانوك يَسجُدونَ لَدَى باطن قَدميْك ويَدْعونَك مَدينةَ الربّ صهْيَوْنَ قُدُّوس إسرائيلَ(١٥) عوضًا عنْ كونك مَهجورةً ومُبْغَضةً بلا عابرٍ بك أجْعلُك فَخْراً أبديّاً فَرَحَ دَوْرٍ فَدَوْرٍ...(١٨) لا يُسْمَعُ بَعْدُ ظُلْمٌ في أرْضِك ولا خرابٌ أو سَحْقٌ في تُخومك بلْ

(١) ذكر هذه البشارة المهتدي إبراهيم خليل أحمد في كتابه: محمد في التوراة والإنجيل ص ٤١ و٤٧، وذكرها المهتدي بشرى زخاري ميخائيل في كتابه: محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل ص ٦٩.

تُسَمّينَ أسوارَك خَلاصًا وأبوابَك تسبيحًا(١٩) لاتَكونُ لَك بَعْدُ الشَّمسُ نوراً في النهار ولا القمرُ يُنيرُ لَك مضيئًا بل الربُّ يكُونُ لك نوراً أبديّاً وإلهُك زينتَك(٢٠) لا تَغيبُ بَعْدُ شَمْسُك وقمرُك لا يَنقُصُ لأنّ الربَّ يكُون لك نوراً أبديّاً وَتُكْمَلُ أيّامُ نَوْحك(٢١) وشعبُك كلُّهمْ أبرارٌ إلى الأبد يَرثُونَ الأرضَ غُصْنُ غَرْسِي عَمَلُ يَدَيَّ لأتَمَجَّدَ(٢٢) الصَّغيرُ يَصيرُ ألْفًا والحَقيرُ أُمَّةً قويَّةً. أنا الربُّ في وقْته أُسْرِعُ به».

هذه بشارة بمكة المكرمة التي أنارتْ بنور الرسالة المحمدية في وقْتٍ كانت فيه ظُلْمةُ الشرْك والوثنية عامّةً على الأرض، فأخذت الأممُ والملوكُ تسير إليها لتقتبس من نور الإسلام، وفي موسم الحجّ يجتمع الحُجّاجُ من أقطار العالَم سائقين الهدْي معهم[1]، وبيّن إشعياءُ أنّ بُكران[2] مديان وعيفة[3] كلّها تأتي في موسم الحجّ وتُساق للهدْي، وأنّ ذهب شَبا[4] وعطورَهم كلّها تُحمل إلى مكة مع الحجّاج الملبّين المسبّحين لله، بل وكلّ غَنم قِيدارَ بنِ إسماعيل وكِباش نبايوتَ بنِ إسماعيل[5] كلّها تكون معدّة للهدْي، مجتمعة في مكة ومنى.

(١) الفقرة الخامسة «ويأتي إليكِ غِنى الأمم» وردت في النُسخ القديمة «وتحجّ إليك عساكرُ الأمم» وهي أوضح في الدّلالة على مكة المكرمة، ويظهر أنّ يد التحريف تلاعبت بها فحرفتها. (شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣/٣٢٦، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١٤٩، وابن الجوزي: الوفا ١/١٢١، والخزرجي: مقامع الصلبان ص ١٨١).

(٢) أي أولاد النُّوق.

(٣) عيفة بن مدْيان بن إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورة، سكنت ذريته شمال الجزيرة إلى الشرق من خليج العقبة، واشتهرت قبيلتهم بتجارة الجمال.
(قاموس الكتاب المقدس ص ٦٥٠ و ٨٥٠).

(٤) شبا بن يقطان بن إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورة، سكنت هذه القبيلة في الحبشة وشمال غرب الجزيرة، ومنهم تكونت مملكة سبأ، اشتهرت هذه القبيلة بتجارة الذهب واللبان (نوع من العطور) والتوابل والأحجار الكريمة.
(قاموس الكتاب المقدس ص ٥٠٤ و ٨١٠).

(٥) الفقرة السابعة «كِباشُ نبايوتَ تَخْدُمُك» وردت في النسخ القديمة «وساداتُ نبايوتَ يخدمونك» ونبايوت هو الابن الأكبر لإسماعيل. وقد وردت عند شيخ الإسلام ابن تيمية بلفظ «ويخدمكِ رجالُ مأرب»، وهم أولاد مأرب بن إسماعيل. (انظر: الجواب الصحيح ٣/٣٢٦).

قال الخزرجي: «فأخبرْني متى كان وَلَدُ إسماعيل خدمةَ بيت المقدس؟! وهل اتُّخذتْ مكة قبلةً إلاّ على عهد محمد ﷺ؟! فاعتبر قول إشعياء يومئذ ستُتخذ قِبْلةً وكفى بهذا دليلاً». انظر كتابه: مقامع الصلبان ص ١٨١، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١٥٠، والقرطبي: الإعلام ص ٢٧٩، وابن الجوزي: الوفا ١/١٢٢.

ومدينةُ مكة المكرمة هي المدينة التي يتسابقُ المسلمون العربُ وبنو الغرباء (العجم) لخدْمة مسجدها الحرام وتزيينه، والملوكُ يتسابقون في إرسال الهدايا لهذا المسجد الذي أبوابُه لاتغلَق ليلاً ولا نهاراً، وهذه المدينة تُدْعى مدينة الرب؛ لأنّ فيها الكعبةَ المشرفة بيتَ الله العتيق، وهي المدينة التي قَهرت كلَّ المتعالين عليها، ومَن أسْلم مِن اليهود أو النصارى أو المجوس فإنّه يترك موضع عبادته ويتجه إليها في صلاته، وقد يرحل إليها للتعبّد عندها وفي مسجدها الحرام.

وهي المدينة التي لايُظلَم فيها أحدٌ ولايَلْحقها الخرابُ والسَّحْقُ والدّمار، ومن التجأ إليها عُصِم من الفتن لعظمة الدين فيها بحيث إنّ الشمس والقمر لاينفع نورهما فيها بجانب نور دين الإسلام، الذي هو نور أبديّ من رب العالمين.

والمنتسبون إلى مكة المكرمة - وهم المؤمنون أتباعُ محمدﷺ - كلهم أبرار إلى الأبد؛ لأنّهم ورِثوا رسالاتِ الأنبياء جميعًا، وكلّ هذا المجْد لمكة لأنّها كانت مهجورةً ومبغَضةً عند اليهود والنصارى ولم يفكروا قطّ بتعظيمها، وهذا الفخْر الأبديّ من الله لأنّه يكثّر القليل ويقوّي الضعيف الحقير حتى يصير أُمّةً قويّةً.

هذا شرح موجز لهذه البشارة[1]، فهل في الدنيا مدينة تنطبق عليها هذه الأوصاف غير مكة شرفها الله تعالى؟!

أين هي المدينة التي أشرق منها نور الإسلام بعد المسيح؟؟ ألم تكن ظلْمةُ الشرك تغطّي الأرضَ وظلامُ الوثنية الدامس يعمّ الأُممَ إلى بداية البعثة المحمدية في مطلع القرن السابع الميلادي؟!

أين هو مسْكن إسماعيل وابنيه قِيدار ونبايوت؟! هل هو القدس وفلسطين أم مكة والجزيرة؟! نعوذ بالله من اتّباع الهوى والتعصب للباطل.

(١) ويزيد هذا الشرحَ وضوحًا الإصحاحُ الحادي والستون من سفر إشعياء فهو قريب من هذه البشارة، وانظر كتاب الشيخ البحراني: لسان الصدق ص ٢٢٦، وكتاب الدكتور السامرائي: نبوة محمد من الشك إلى اليقين ص ٢٧٣.

البشارة الثالثة عشرة

(إيلياء المزمع أنْ يأتي)

وهي بشارة بمحمدﷺ وقد رمز أهل الكتاب لاسمه باسم إيلياء

وردت هذه البشارة في سفر ملاخي والأناجيل، ولايتّضح الوصْف الكاملُ للمزمع أنْ يأتي إلاّ بنقْل مايتعلّق بهذه البشارة من الأسفار التي وردت فيها.

ففي سفر ملاخي ٥/٤ «هاأنذا أُرسِلُ إليكم إيليًّا النبيَّ قبْل مجيءِ يومِ الربِّ اليومِ العظيمِ والمَخُوفِ».

وفي إنجيل متّى ٣/١-٣ و٩-١١ عن يحيى عليه السلام:

«(١) وفي تلكَ الأيامِ جاءَ يوحنَّا المَعْمَدانُ يَكْرُزُ في بَرِّيَّةِ اليهودية(٢) قائلاً: توبوا لأنّه قد اقْتربَ ملَكُوتُ السماوات(٣) فإنّ هذا هو الذي قيلَ عنهُ بإشَعْياءَ النبيِّ القائلِ: صوتُ صارخٍ في البرِّيَّة أعدّوا طريقَ الربِّ. اصنعوا سُبُلَهُ مستقيمةً...(٩) ولاتَفْتكروا أنْ تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيمُ أبًا. لأنّي أقولُ لكم إنّ اللهَ قادرٌ أنْ يُقيمَ من هذه الحجارةِ أولاداً لإبراهيمَ(١٠) والآنَ قد وُضعت الفأسُ على أصْلِ الشَّجَرِ. فكُلُّ شجرةٍ لاتصنعُ ثَمراً جيّداً تُقْطَعُ وتُلْقى في النار(١١) أنا أُعَمِّدُكُمْ بماءٍ للتوبَة. ولكنِ الذي يأتي بَعْدي هوَ أقْوى منّي الذي لسْتُ أهلاً أنْ أحْمِلَ حذاءَهُ. هو سيُعَمِّدكُمْ بالرّوحِ القُدُسِ».

وفيه ٢/١١ - ٣ و٩ - ١٥ «(٢) أمّا يوحنَّا فلمَّا سَمِعَ في السّجْنِ بأعمال المسيحِ أرْسلَ اثنيْنِ منْ تَلاميذه(٣) وقالَ لهُ أنتَ هُوَ الآتي أَمْ نَنتظِرُ آخَرَ...(٩) لكنْ ماذا خَرجْتُم لِتَنْظُروا. أنَبيّاً. نَعمْ أقولُ لكمْ وأفضلَ من نبيٍّ(١٠) فإنّ هذا هُوَ الذي كُتبَ عنه ها أنا أُرْسلُ أمامَ وجْهكَ مَلاكي الذي يُهَيِّئُ طريقَكَ قُدّامَكَ(١١) الحقَّ أقولُ لكمْ لمْ يَقُمْ بيْنَ المولودينَ منَ النساء أعظمُ منْ يوحنَّا

المَعْمَدان. ولكنَّ الأصْغَرَ في مَلَكُوت السماوات أعظمُ منه(١٢) ومنْ أيامِ يوحنّا المَعْمَدانِ إلى الآنَ مَلَكُوتُ السماوات يُغْصَبُ والغاصبُون يَخْتَطفُونَهُ(١٣) لأنَّ جميعَ الأنبياء والناموسَ إلى يوحنَّا تنبَّأُوا(١٤) وإنْ أردْتُم أنْ تَقْبَلُوا فهذا هُوَ إيليّا المُزْمِعُ أنْ يأتِيَ(١٥) مَنْ لهُ أذُنانِ للسّمْعِ فَلْيَسْمَعْ».

وفيه ٢٣/٣٨-٣٩ قول المسيح «(٣٨) هُوَذَا بيتُكم يُتْرَكُ لكم خَرابًا(٣٩) لأنّي أقولُ لكم إنّكم لا تَروْنَني مِن الآنَ حتّى تَقولوا: مُبَارَكٌ الآتِي باسمِ الربِّ».

وفي إنجيل مَرْقُس ١/٢-٣ و٧-٨ عن يحيى عليه السلام:

«(٢) كَمَا هُوَ مكتوبٌ في الأنبياء ها أنا أُرْسِلُ أمامَ وجْهِكَ مَلاكي الذي يُهَيّئ طريقَكَ قُدّامَك(٣) صوتُ صارخٍ في البرِّيَّة أعدُّوا طريقَ الربّ اصنَعوا سُبُلَهُ مُسْتَقيمةً... (٧) وكانَ يَكْرِزُ قائلاً: يأتي بَعْدي مَنْ هو أقْوى منّي الذي لستُ أهْلاً أنْ أنْحَنِيَ وأحُلَّ سُيُورَ حِذائه(٨) أنا عَمَّدتكم بالماءِ وأمّا هو فَسَيُعَمّدُكم بالرّوح القُدُسِ».

وفي إنجيل يوحنا ١/١٩-٢٧ «(١٩) وهذه هيَ شَهادةُ يوحنّا حينَ أرْسَلَ اليهودُ من أورشليم كَهَنةً ولاويّينَ ليسألوهُ مَنْ أنتَ(٢٠) فاعترفَ ولم يُنْكِرْ وأقرَّ أنّي لستُ أنا المسيحَ(٢١) فسألوهُ إذاً ماذا؟ إيليّا أنتَ؟ فقالَ لستُ أنا. ألنّبيُّ أنتَ؟ فأجابَ لا(٢٢) فقالوا له مَنْ أنتَ لنُعطِيَ جوابًا للّذين أرسلونا؟ ماذا تقولُ عن نفسك؟(٢٣) قال أنا صوتُ صارخٍ في البرّيَّة قَوّموا طريقَ الربّ كما قالَ إشعْياءُ النبيُّ(٢٤) وكانَ المُرْسَلُونَ منَ الفَرّيسيّين(٢٥) فسَألُوهُ وقالوا له: فما بالُكَ تُعمِّدُ إنْ كُنتَ لستَ المسيحَ ولا إيليّا ولا النّبيَّ؟(٢٦) أجابهم يوحنّا قائلاً: أنا أُعَمّدُ بماءٍ. ولكنْ في وَسَطِكُمْ قائمٌ الذي لستُم تَعرفُونه(٢٧) هو الذي يأتي بَعْدِي الذي صارَ قُدّامي الذي لَسْتُ بمُسْتَحِقٍّ أنْ أحُلَّ سُيُورَ حِذائه».

هذه النصوص من كلام ملاخي ويحيى وعيسى يعضد بعضها بعضًا في الدلالة على مدلول واحد وهو التبشير بالنبيّ المبارَك الذي يأتي قبْل مجيء يوم

الساعة الذي سمّاه ملاخي يوم الربّ، ولـمّا كان جميعُ الأنبياء بُعِثوا قبْل مجيء الساعة، فالمقصود إذنْ أنّ مجيء المبشَّر به يكون بين يدي الساعة، وهذا هو مبْعَثُ محمدﷺ؛ لأنّه آخِر الأنبياء، ومبْعثه من علامات الساعة.

وقد بيّن ملاخي أنّ اسم النبيّ المبشَّر به إيلياء[1]، وهو اسم رَمَز به اليهود للنبيّ الموعود حتى إذا كان ليس منهم أنكروا نبوّته، وقد رَمزوا له بهذا الاسم لمطابقته لاسم أحمد بحساب الجُمّل الذي اشتهر به اليهود، حيث إنّ مجموع أحرف كل اسم يساوي ثلاثة وخمسين كمايلي:

أ + ح + م + د = أحمد

١+ ٨ + ٤٠+٤ = ٥٣

إ + ي + ل + ي + ا + ء = إيلياء

١+ ١٠+٣٠+١٠+ ١ + ١ = ٥٣

وفي نصوص هذه البشارة في إنجيل متّى يصيحُ يوحنّا المعمدان (يحيى) بإعداد طريق الربّ، والربّ هنا المقصود به محمدﷺ؛ لأنّه المعلِّم والمربّي للأُمم جميعها، ولايصحّ أنْ يُقال إنّه قَصَد به عيسى عليه السلام لعدّة أُمور:

١- أنّ يحيى قال «الذي يأتي مِن بعدي» وعيسى كان معاصراً ليحيى، والمفهوم من البشارة زمنٌ أكثر ممّا يُتوهم، وقول عيسى هو القول الفصل، فهو يقول في إنجيل متّى ١١/١٤ «فهذا هو إيليّا المزْمِعُ أنْ يأتِيَ» وواضح أنّه غيره، وإلاّ لقال: فأنا إيليّا أتيتُ، ولفظ المزْمِع يُفيدُ الاستقبال بعد زمن عيسى، وأكّدَ على ذلك بأنّ مَنْ كان له أذنان للسّمْعِ فلْيَسْمع.

(١) هذا على حسب ما في الطبعات القديمة لكتب العهدين، أمّا في الطبعات الحديثة فيكتب هذا الاسم بتشديد الياء الثانية: إيليّا.

قال أبو الفضل المالكي: «وما ذاك إلاّ محمدﷺ؛ لأنّ المسيحَ جاء مع يحيى لا بعده»[1].

٢- أنّ الكهنةَ سألوا يحيى كما في إنجيل يوحنّا ١٩/١-٢٢ هل هو النبيّ المبشَّر به؟ فأجاب لا، فسألوه هل هو المسيح؟ فأجاب لا، وكذلك يحيى أرسَل مَن يسأل المسيحَ كما في إنجيل متى ٢/١١-٣ هل المسيح هو النبيّ الآتي المنتظَر أم هو غيره؟ فأجاب المسيحُ بأنّ الآتي أعظمُ منه ومن يحيى. ومن هذا نفهم أمرين:

(أ) أنّ كُلاً من المسيح ويحيى كانا ينتظران نبيّاً آخَرَ مبشّراً به، وسؤالُ كل واحدٍ منهما للآخر عن الموعود المبشَّر به وإجابتهما بالنفي يفيد العلْم القطعيّ بأنّهما ليسا هو.

(ب) أنّ الكهنة فرّقوا في سؤالهم بين المسيح وإيلياء المبشَّر به لقولهم «هل أنتَ المسيح؟ هل أنت إيلياء؟» فأيّ فهْمٍ يجيز كونهما واحداً؟!

٣- أنّ يحيى عليه السلام بيّن في ثلاثة مواضع أنّ المبشَّر به عظيمٌ جداً بحيث إنّه (أي يحيى) لايستحقُّ أنْ يَحْمل حذاءَه ولا أنْ يَحُلّ سُيوره، وهذا لا يصْدق على عيسى الذي كان معاصراً ليحيى، وإلاّ لقال يحيى للمسيح عيسى: أنا لستُ أهْلاً أنْ أحملَ حذاءَك، وأنْ يوضح ذلك للناس ولا يتركهم في شكّ وحَيْرة، ولكنّه يقصد الآتي بعدهما محمداً ﷺ.

٤- أنّ عيسى عليه السلام خاطب اليهودَ بقوله في إنجيل متّى ٣٨/٢٣: «هوَذَا بيتُكم يُتركُ لكم خَرابًا»، وذلك لأنّه آخِر نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، ولن يأتيَ منْ بَعده مَنْ يُجدّد لهم هذا البَيت - بيت النبوة والدين والشريعة - حتى يأتيَ من بعده المباركُ الآتي باسم الربّ، وليس هو من بيت النبوة الإسرائيلية التي خَربتْ برفع المسيح، وهو صريح الدلالة على محمد ﷺ.

(١) انظر كتابه: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ص ١٤٨.

٥- أنّ يحيى عليه السلام وصَف النبيَّ الآتي مِن بعده أنّه أقوى منه كما في إنجيل متّى ٣/١١ وإنجيل مرقس ١/٧، وهذا يعني أنّ الآتي يكون ظاهراً مبسوط القدْرة على الأعداء ذا شرْعٍ مستقلّ، وهذا لاينطبق على يحيى وعيسى عليهما السلام؛ لأنّهما كانا مُسْتضعَفيْن لدى اليهود والرومان، ومضطَهَديْن غاية الاضطهاد، فلو كان المراد بالآتي عيسى فأيّ قوّة زادت له على قوة يحيى ؟! ثم إنهما كانا على شرْع موسى عليه السلام، ولم يكن عيسى ذا شرْعٍ مستقلّ حتى يكونَ أقوى من يحيى عليهما السلام.

ولايصحّ أنْ يكون عيسى هو المراد بالأقوى في قول يحيى إنّ الآتي أقوى منه؛ لأنّ عيسى نفسه ذكر في إنجيل متى ١١/١١ أنّه لمْ يقُمْ بين المولودين من النساء أعظم من يحيى، فظهر أنّ يحيى أقوى من عيسى، وأنّ إيلياء الآتي أقوى منهما.

وما ورد في إنجيل مرقس ٨/٢٧-٢٩ يزيل اللبْسَ والإيهام، فقد سأل المسيحُ تلاميذَه في طريقهم إلى قيصرية «(٢٧) وفي الطريق سألَ تلاميذَه قائلاً لهم: مَنْ يقولُ الناسُ إنّي أنا ؟(٢٨) فأجابوا: يوحنّا المَعْمَدانُ، وآخرونَ: إيليّا، وآخرونَ: واحدٌ من الأنبياء(٢٩) فقالَ لهم: وأنتم مَنْ تقولون إنّي أنا ؟ فأجابَ بطرسُ وقالَ له: أنتَ المسيحُ»[1].

وبهذا نرى أنّ يحيى فرّق بين المسيح وإيليّا، وأنّ المسيحَ فرّق بين يحيى وإيليّا، وأنّ الكهنة وتلاميذ المسيح فرّقوا بين ثلاثة أشخاص: يحيى والمسيح وإيليّا، ولو كان المسيحُ هو إيليّا لَمَا جاز له أنْ يُخْفِيَ الحقيقة على أتباعِه ويجعلهم في ضلالة.

وبهذا ثبتَ قطعاً أنّ إيليّا أو إيلياء المبشّر به في هذه البشارة هو محمد ﷺ.

وقد وردت هذه البشارة في بعض الكتب بلفظ إيل بدل لفظ إيلياء، ولفظ

(١) انظر كذلك إنجيل لوقا ٩/١٨ - ٢٠.

إيل معناه بالعبرانية: الله، ويجاب عن هذا بمانقله ابن الجوزي عن ابن قتيبة حيث يقول:

«إمّا أنْ يكون قال: (إنّ أحمدَ مزْمعٌ أنْ يأتي) فغيّروا الاسم كما قال الله تعالى ﴿**يحرّفون الكلم عن مواضعه**﴾[1] جعلوه إيلياء، وإمّا أنْ يكون قال (إنّ إيل مزْمِعٌ أنْ يأتي) وإيل هو الله عز وجل، ومجيء الله هو مجيء رسوله بكتابه، كما قال في التوراة (جاءَ اللهُ من سيناء)[2] أراد جاء موسى من سيناء بكتاب الله، ولم يأتِ كتابٌ بعد المسيح إلاّ القرآن»[3].

والمقصود أنّه على أيّ وجه اختاره أهل الكتاب فلا صحّة لهذه البشارة إلاّ في نبيّنا محمدﷺ، وبخاصة أنّه ورد في إنجيل يوحنا ١/٢١ و٢٥ لفظ النبيّ بالألف واللام المفيدة للعهد، دلالة على أنّ هذا النبيّ المبشّر به هو النبيّ المعهود الذي أُخبر عنه موسى في سفر التثنية ١٨/١٨ «أُقيمُ لهم نبيّاً مِنْ وَسْطِ إخوتهم مثْلَكَ وأجعلُ كلامي في فمهِ فيُكَلّمُهم بكلِّ ما أُوصيهِ به»، على ما مرّ في البشارة الأولى.

---

(١) سورة النساء آية ٤٦، وسورة المائدة آية ١٣.

(٢) انظر سفر التثنية ٢/٣٣.

(٣) ابن الجوزي: الوفا ١/١١٨، وللتوسع ينظر: ابن القيم: هداية الحيارى ص ١٧٠، والقرطبي: الإعلام ص ٢٧٠، والخزرجي: مقامع الصلبان ص ١٢٩، والبحراني: لسان الصدق ص ٢٣٢، ود. السامرائي: نبوّة محمد من الشكّ إلى اليقين ص٢٨٥.

البشارة الرابعة عشرة

(الأمينُ الصادقُ)

وهي بشارة بمحمد ﷺ ووصفِه وجهادِه

ففي سفر رؤيا يوحنا ١٩/١١-١٥ «(١١) ثمّ رأيتُ السماءَ مفتوحةً وإذا فَرَسٌ أبيضُ والجالسُ عليه يُدْعَى أمينًا وصادقًا وبالعدْل يَحْكُمُ ويُحارِبُ(١٢) وعيناهُ كلهيبِ نارٍ وعلى رأسه تِيجانٌ كثيرةٌ وله اسمٌ مكتوبٌ ليسَ أحدٌ يَعْرِفُهُ إلاّ هو(١٣) وهو مُتَسَرْبلٌ بثوبٍ مَغْمُوسٍ بدمٍ ويُدْعَى اسمُه كلمةَ الله(١٤) والأجنادُ الذين في السَّماءِ كانوا يَتْبعونه على خيلٍ بِيضٍ لابسينَ بَزّاً أبيضَ ونقيّاً(١٥) ومن فمه يَخرجُ سيفٌ ماضٍ لكيْ يَضربَ به الأُممَ وهو سيَرْعاهم بعصًا من حديدٍ وهو يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وغَضَبِ اللهِ القادرِ على كُلِّ شيءٍ».

ففي هذه الرؤيا صفات لشخص بَشَريّ لا توجد إلاّ في محمد ﷺ وهي:

١- قوله «والجالسُ عليه يُدْعَى أمينًا وصادقًا»[١]، وكان العربُ يسمّون محمداً ﷺ الصادق الأمين، وبهذا وصفه أعداؤه أمام ملوك الأعاجم[٢].

٢- قوله «وبالعدْل يَحْكُم ويُحارِبُ»، فهل روى أعداءُ محمد ﷺ أنّه جار في حُكْمه أو في قتاله مرة واحدة؟! بل كانت أحكامُه منْبعَ العدل والمساواة، كما أنّ قتاله كان في غاية الرحمة والعدْل والإحسان، وتشهد بذلك الوقائعُ الكثيرةُ التي شهدها ﷺ، والوصايا التي كان يوصي بها جندَه وقادتَه من الرأفةِ والرَّحْمةِ، وعدمِ إيذاءِ الشيوخِ والنّساءِ والأطفالِ والمنقطعين للعبادة.

---

(١) في طبعة الموصل «يُسمّى الأمين الصادق». (السامرائي: نبوة محمد ص ٣٠٢).

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٩٩/١، وابن القيم: هداية الحيارى ص ٤٨ - ٤٩.

٣- قوله «وعيناهُ كلهيبِ نارٍ»[١]، وهي صفة عينيْ نبيّنا محمد ﷺ، فقد روى ابنُ سعد في الطبقات عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ كان إذا خَطب احمرّت عيناه[٢].

وروى كذلك في الطبقات عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مشرب العينين بحمرة[٣].

وبهذا نرى أنّه كان في عيني رسول الله محمد ﷺ حُمْرة لا تفارقهما.

٤- قوله «وعلى رأسه تيجانٌ كثيرةٌ»، كناية عن خضوع الملوك لدين الإسلام، واستيلاء أُمّة محمد ﷺ على ممالك الفرس والروم والقبط، وتقسيم خزائنها في سبيل الله.

٥- قوله «وله اسمٌ مكتوبٌ ليس أحدٌ يَعْرِفه إلاّ هو» والمقصد أنّ اسمه (محمد) و (أحمد) ﷺ، وهذا الاسم ليس ممّا اعتاد بنو إسرائيل ولا بنو إسماعيل أنْ يُسَمّوا أبناءَهم به، وهو ظاهر في اسمه بيْن قومه.

أمّا قوله «ويُدْعَى اسمه كلمةَ الله»، فلا شكّ أنّه من التحريف القصديّ بالتبديل أو بالزيادة، والدليل على ذلك أنّ هذه العبارة تناقض العبارة السابقة: «وله اسمٌ مكتوبٌ ليس أحدٌ يعرفه»، وهذا التحريف القصدي هو من أجْل تطبيق هذه البشارة قَسْراً على عيسى عليه السلام، لكنّ عيسى كان معروفًا أنّه كلمة الله، ويوحنا اللاهوتي صاحب الرؤيا (أي سفر المشاهدات) كان بعد رفع المسيح بزمن، فكيف تكون رؤياه بشارة بعيسى وهي صريحة أنّها في شخص لم يأتِ بعد؟!

٦- قوله «وهو متسربلٌ بثوبٍ مَغْموسٍ بدمٍ»، إشارة إلى بعث محمد ﷺ بالجهاد بالسيف، وهي صفة أمّته كذلك، والمعنى كأنّهم تسربلوا بألْبسةِ القتال فهم

(١) في طبعة الموصل «وكانت عيْناهُ شبه وقيد النار». (د. السامرائي: نبوة محمد ص ٣٠٣).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٦/١-٣٧٧، ود. السامرائي: نبوة محمد ص ٣٠٣.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤١٠/١ - ٤١١.

لايَخلعونها؛ لأنّهم في جهادٍ دائمٍ في سبيلِ الله.

٧- قوله «والأجنادُ الذين في السماء كانوا يَتْبعونه على خيلٍ بيضٍ لابسينَ بَزّاً أبيضَ ونقيّاً»، فيه إشارة لتأييد الله لرسوله محمد ﷺ بالملائكة، وقتالهم معه في بدْرٍ والخندق وغيرهما، وهي الجنود التي قال الله تعالى عنها في سورة التوبة آية ٢٦ ﴿**وأنزلَ جنودًا لم تروْها وعذّب الذين كفروا**﴾.

وقال تعالى عنها في سورة التوبة آية ٤٠ ﴿**وأيّدهُ بجنودٍ لم ترَوْها**﴾.

وقال تعالى عنها في سورة الأحزاب آية ٩ ﴿**فأرسلْنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروْها**﴾.

٨- قوله «ومن فَمِه يَخرجُ سيفٌ ماضٍ [١] لكيْ يَضربَ به الأُممَ وهو سَيَرْعاهم بعصًا من حديدٍ وهو يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وغَضَبِ الله». فيه إشارة للسيوف العربية التي حملها أصحابُ رسولِ الله ﷺ وأتباعُهم، الذين فتحوا البلاد ونَفّذوا فيها حُكْمَ اللهِ وشريعتَه، وحَطّموا بيوتَ المحرّمات ومعاصرِ الخمر، وكان حُكْمهم فيها نافذاً قوياً كقوة العصا الحديدية؛ لاستنادهم إلى الشرع القويم.

فهذه الأوصاف[٢] جميعها لا تصدْق على عيسى عليه السلام، ولم يتّصف بها أحدُ غيرُ نبيّنا محمد ﷺ، بلْ كأنّها نصٌّ صريحٌ عليه.

اللهمّ اجعلْنا من أمّتِه، وأمِتْنا على دينِه، واحشُرْنا في صَفِّه وحِزْبِه، وارزقْنا مرافقته في الجنّة.

وصلّ اللهمّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

---

(١) في طبعة الموصل «سيفٌ ماضٍ ذو حدّين». وهي صفة السيوف العربية.
(السامرائي: نبوة محمد ص ٣٠٤).

(٢) ومثل هذه الأوصاف ماورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢/١٧ - ١٨ و٢٦ - ٢٨.

تعقيب لا بدّ منه

بعد الانتهاء من الحديث عن بشائر كتب العهدين بنبيّنا محمد ﷺ رأيتُ من المناسب أنْ أزيدَ الناظرَ بصيرةً في أمرِ هذه البشائر، وذلك بالردّ على اعتراض مهمٍّ ورئيسي لأهل الكتاب على نبوّته ﷺ، وأعتقدُ أنّ تمامَ الحديثِ عن البشارات يكون بالإجابة عن هذا الاعتراض.

وهو: أين اسم محمد ﷺ الصريح في كتب العهدين؟! أليس المسيحُ قد حذّرنا من الأنبياء الكذَبة؟! بل أين هو التفصيلُ الدقيقُ لصفاتِ هذا النبيّ الذي يُعَدُّ خروجه أعظمَ حدَثٍ يمرّ بالبشرية؟!

وللإجابة عن هذا الاعتراض نقول: إننا لانشكّ أنّ اسم محمد ﷺ كان صريحًا في كتبهم المقدّسة، لكنّ يدَ التحريف غيّرتْه، ورَمَز له المحرّفون والمترجمون باسْم شيلون أو باسْم إيلياء أو بماد ماد، معتمدين في حلّ هذه الرموز على حساب الجُمّل[1]؛ لكي تبقى معرفة النبيّ الآتي سِراً بين اليهود لايعرفه غيرهم، وفيما يلي تفصيل الردّ:

أ- ترجمة الأسماء بمعانيها:

كان المترجمون في بعض الأحيان يترجمون الاسم بمعناه لا بلفظه، وفي ذلك تلبيس على العوامّ دون المطّلعين على حقيقة كتبهم، وهذا الأمر غير مستبعَدٍ منهم بل هو عادتهم، وقد ضرب الشيخُ رحمت الله عدّة أمثلة[2] لهذا الأمر أذكر خمسةً منها:

---

(١) انظر تفصيل حساب الجُمّل عند كلمة أبجد في المعجم الوسيط ص ١.

(٢) انظرها في كتابه إظهار الحقّ، بتحقيقي، ط١، ص ١٠٩٨ - ١١٠٨.

١- في سفر التكوين ٣١/ ٢٠ في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م «فكتَمَ يعقوبُ أمْرَهُ عن حميّه»، وفي النصّ العبري وردَ لفظ «لابان» بدل «حميّه»، وفي الترجمة الأردية المطبوعة سنة ١٨٢٥م والترجمة العربية المطبوعة سنة ١٩٧١م «وخَدَعَ يعقوبُ قلْبَ لابانَ».

٢- في سفر الخروج ٨/١١ في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م «وتبقى في النهر فقط»، وفي المطبوعة سنة ١٨١١م «تبقى في النيل فقط»، وفي المطبوعة سنة ١٩٧١م «ولكنها تبقى في النهر».

٣- في سفر الخروج ٣٠/٢٣ في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م «مِنَ المسْكِ الخالص»، وفي المطبوعة سنة ١٨٤٤م «من ميعة فائقة»، وفي المطبوعة سنة ١٩٧١م «أفخر الأطياب مُرّاً قاطراً»، وفي التوراة السامرية «من أجلّ الطيب مسْكاً خالصًا».

٤- في إنجيل يوحنّا ١/٤٢ في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م «أنتَ تدْعَى ببطرس الذي تأويله الصّخْرة»، وفي المطبوعة سنة ١٨١٦م «ستسمّى أنت بالصفا المفسّر ببطرس»، وفي المطبوعة سنة ١٩٧١م «أنت تدْعَى صفا الذي تفسيره بطرس»، فمرّة جعل الاسم تفسيراً، ومرة جعل التفسير اسمًا.

٥- في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١٦/٢٢ في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م «فلْيَكن مفروزاً مارن أتى أي الربّ قد جاء»، وفي المطبوعة سنة ١٨١٦م «فلْيكن ملعونًا مارن أتى»، وفي المطبوعة سنة ١٨٤٤م «فلْيكن محرومًا ماران أتا»، وفي المطبوعة سنة ١٨٦٠م وسنة ١٩٧١م «فلْيكن أناثيما ماران أثا».

وبهذا يظهر كثرة ترجمتهم للأسماء بالمعاني الاجتهادية أحيانًا، أو تبديلها بألفاظٍ أخرى، أو إلحاقها بتفسير ظنّي، ولايُستبعَد منهم حذف اسم محمد ﷺ،

أو ترجمته بالمعنى، أو تبديله بلفظ آخر، أو إلحاقه بلفظ يخلّ الاستدلال به.

وهذا التحريف القصدي بالزيادة والحذف والتبديل أمر مشهور عندهم باعتراف كبار محققيهم كما قال هورن: «إنّ هذا الأمر محقَّق أنّ بعض التحريفات القصدية صَدرتْ من الذين كانوا من أهل الديانة والدين، وكانت هذه التحريفات تُرجَّح بعدهم؛ لتؤيَّد بها مسألة مقبولة، أو يُدفَع بها الاعتراض الوارد». ثم ضرب هورن عدة أمثلة[1].

لهذا لايستبعد - بل هو الحقّ - أنّ اسم نبينا محمد ﷺ كان موجوداً بكلّ وضوح في الكتب المقدسة عندهم، لكنّ أهلها حرّفوا الاسم أو حذفوه كما مرّ.

وفي الكتب الإسلامية القديمة أمثلة كثيرة وبشارات عديدة ذُكر فيها اسم محمد ﷺ بالتصريح، لكنني أعرضت عن نقلها لضعف الاستدلال بها في زماننا هذا، إذْ إنها غير موجودة في الطبعات الحديثة لكتب العهدين، ولايعني هذا حصول الشكّ في صحة نقول علمائنا - رحمهم الله - بل إنهم نقلوا نصوص هذه البشارات الصريحة بكل دقة وأمانة من النُّسَخ العبرانية واللاتينية التي كانت في زمانهم، لكنّ التحريف والتغيير حدث بعدهم.

قال أبو الفضل المالكي: «اعلم وفقك الله تعالى أنّ اليهود نسخوا من توراتهم ما كان فيه اسم محمد والشهادة بنبوته ورسالته صريحًا، وكذلك النصارى من إنجيلهم ... فلم يبق ممّا هو في أيديهم من بشائر إبراهيم ومزامير داود وغيره من الأنبياء إلاّ رموزٌ لم يفهموها لبلادتهم وجفوّ طباعهم وعدم فهمهم أغفلهم اللهُ تعالى عنها، ولو فَهِموا الإشارة فيها لأسقطوها، لكنْ جهِلوها من كتبهم حماية ورعاية لمنصب هذا النبي الكريم حتى جاء من استخرج الدرّ من معدنه ... فقيّض اللهُ تعالى لفيفًا من علماء هذه الأمّة، فاستخرجوا

(١) انظر كلامه وأمثلته في إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ١١٠٩.

من التوراة دلائل فيها بشائر تقطع حججهم وتخيّب عملهم وأملهم، لايفهمها إلاّ ذو لب نوّر الله تعالى بصيرته لفهم معاني بشائر الأنبياء من العلماء الأصفياء»[١].

وفيمايلي أنقل أمثلة قليلة كانت واضحة وصريحة في اسم محمد ﷺ، وهي مفقودة الآن من مواضعها المشار إليها في الأسفار:

ففي سفر حبقوق: «إنّ الله جاء من اليمن[٢] والقُدُّوس[٣] من جبال فاران. لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الأرض من حمده[٤]، وشعاع منظره مثل النور يحوطُ بلادَه بعزّة ... ركبتَ الخيولَ وعلوتَ مراكبَ الإنقاذ وستَنزِعُ في قسيِّك إغراقًا، وترتوي السهامُ بأمرك يا محمد ارتواءً، ولقد رأتْكَ الجبالُ فارتاعتْ، وانحرف عنك شُؤْبوب السيل ... وسارت العساكرُ في بريق ولَمعان نيازكك، تدوّخُ الأرضَ غضبًا، وتدوسُ الأممَ زجرًا، لأنّكَ ظهرتَ بخلاص أمّتك، وإنقاذِ تراثِ آبائك»[٥].

وبالرجوع إلى سفر حبقوق لا نجد هذه البشارة إلاّ برموز وإشارات غامضة جداً، ولكنّ إجماعَ العلماء القدامى على نقْلها يؤكّدُ لنا أنّها كانت موجودة ومقروءة، وأنّ أيدي العابثينَ طمستْها بالحذفِ أو بالتبديل.

ومن التحريف القصدي بالحذف ما نجده منقولاً عن سفر دانيال والمزمور ١٠٩ من أنّ الله أقسم أنْ لا تقوم لداعٍ كاذبٍ دعوة أكثر من ثلاثين سنة[٦].

---

(١) انظر كتابه: المنتخب الجليل ص ١٣٧، والجزيري: أدلّة اليقين ص ٢٠.

(٢) في مقامع الصلبان للخزرجي ص ١٣٤ «من الجنوب»؛ لأنّ اليمن وفاران جنوب فلسطين، وفي اللفظين إشارة لرسالة محمد ﷺ؛ لأنّ بني إسرائيل كانوا في فلسطين شمالاً.

(٣) لـمّا صرّح بمجيء الله، فلفظ القُدُّوس عنى به محمداً ﷺ.

(٤) في مقامع الصلبان للخزرجي ص ١٣٥ والإعلام للقرطبي ص ٢٧٤ «وامتلأت الأرضُ من تحميد أحمد وتقديسه وملكَ الأرض بهيبته».

(٥) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٠، وابن القيم: هداية الحيارى ص ١٦٢، والقرطبي: الإعلام ص ٢٧٤ و٤٥١، والخزرجي: مقامع الصلبان ص ١٣٤، والمالكي: المنتخب الجليل ص ١٤٤.

(٦) ابن القيم: هداية الحيارى ص ١٧٣، والقرطبي: الإعلام ص ٢٧٧، والخزرجي: مقامع الصلبان ص ١٣٧.

ولـمّا رأى النصارى صدْقَ محمد ﷺ واستمرار قيام دعوته بمضي القرون، حذفوا هذه الفقرة من سفريْ دانيال والمزامير، ولا نجد لها أصلاً فيهما.

ومن البشائر المحذوفة كذلك مايرويه العلماء عن سفر إشعياء إصحاح ٣٥: «لتفرح الباديةُ العطشى ولتبتهج البراري والفلوات؛ لأنّها ستُعطَى بأحمد محاسن لبنان كمثل حسْن الدساكير والرياض»(١).

قال القرطبيّ: «هذا نصّ على اسمه ووصْفه وبلَده بحيث لايُنْكِره إلاّ وقّاح مجاهر بالباطل الصراح»(٢).

وقال أبو الفضل المالكي: «وأيّ شكٍّ بقي يختلجُ في صدرِ لبيبٍ بعد سماعِ إشعياء ينصُّ على اسمه وأرضه»(٣).

وبالرجوع إلى الطبعات الحديثة نجد هذه البشارة في سفر إشعياء ٣٥/١-٢ كما يلي: «(١) تَفْرحُ البرّيّةُ والأرضُ اليابسةُ ويَبْتهجُ القَفْرُ ويُزْهرُ كالنَّرْجس(٢) يُزْهِرُ إزهاراً ويَبتهِجُ ابتهاجًا ويرَنّمُ. يُدفَعُ إليه مَجْدُ لُبنانَ. بهاءُ كَرْمَلَ وشارونَ».

وهي كما ترى لا تدل على شخص مبشَّر به إطلاقًا، بل هي عبارة عن جملة كلام مبهم جداً، بسبب حذف اسم الشخص الذي تفرحُ البرّيةُ والأرضُ اليابسةُ والقفرُ لمجيئه.

ومن البشائر الصريحة المحرّفة فقرة إنجيل لوقا ٢/١٤ ونصّها الحالي:

«المجْدُ لله في الأعالي، وعَلى الأرضِ السّلامُ، وبالنّاسِ المَسَرَّةُ»، فقد بيّن المهتدي عبدُ الأحد داود أنّ أصْل هذه الفقرة هو «الحمدُ لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلامٌ، وللناس أحمد»، ولكنّ المترجمين حرّفوها، وأيَّدَ قوله هذا بأنّ كلمة «ايريني» السُّريانية ترجمت بكلمات: سلامة، مسالمة، سلام، والصحيح أنّها إسلام؛ لأنّ معناه أعمّ وأشمل، وهذه الكلمات كلها داخلة في معناه.

---

(١) ابن القيم: هداية الحيارى ص ١٧٢، والقرطبي: الإعلام ص ٢٧٥، والخزرجي: مقامع الصلبان ص ١٣٦، والمالكي: المنتخب الجليل ص ١٤٢.

(٢) انظر كتابه: الإعلام ص ٢٧٥.

(٣) انظر كتابه: المنتخب الجليل ص ١٤٢.

كما بيّن أنّ الكلمة السُّريانية الأخرى هي «أيادوكيا» ومعناها: أحمد، لا المسرّة ولا حسْن الرضا، فكلمة «دوكوته» بمعنى الحمد والشوق والرغبة، وكلمة «دوكسا» بمعنى حمد ومحمود وممدوح ومرغوب، فتكون كلمة «أيادوكيا» بمعنى أحمد، فالترجمة الصحيحة لما ذكره لوقا هي كلمة إسلام بدل كلمة السَّلام، وكلمة أحمد أو محمد بدل كلمة المَسَرَّة، لكنّ المترجمين حرّفوها[1].

ب- هل يشترط الإخبار التفصيليّ عن النبيّ الآتي؟

لايشترط في البشائر أنْ تكون أخباراً تفصيلية، بل يكفي فيها الإشارات المجْمَلة المؤيَّدة بالقرائن، ولئن ظنّ أحدٌ أنّ في هذه الإشارات بعض الخفاء على العوامّ، فإنّها تكون في غاية الجلاء والوضوح عند العلماء والمتخصّصين، ولئن أنكر أحدٌ هذا واشترط علينا الإخبار التفصيلي أحلْناه على ما في الإصحاح الأوّل من إنجيل يوحنا وهو أنّ الفَرّيسيين سألوا يحيى عن نفسه: هل أنت المسيح؟ هل أنت إيلياء؟ فلمّا أجابهم بالنفي سألوه مَن أنت؟ فظهر أنّه حصل عندهم اشتباه بين هؤلاء الثلاثة، وأنّ علاماتهم لم تكن واضحة في الأسفار، فاحتاجوا للسؤال عن الاسم الصريح، لكن يحيى لم يُجبْهم بقوله لهم (أنا يحيى)، إنما قال: «أنا صوتُ صارخٍ في البرِّيَّة قوّموا طريقَ الرب»[2]، ولم يذكر يحيى شيئًا من الحالات المختصّة به دون غيره من الأنبياء، إذْ إنّ وصْف النداء في البرِّيَّة يعمُّ أكثر أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا بعد إشعياء، ويصْدق على عيسى كذلك؛ لأنّه كان ينادي بمثل نداء يحيى عليهما السلام، لكنّ الفرّيسيين والكهنةَ لمعرفتهم السابقة مثْلَ هذه الأمور المجْمَلة وقدْرتهم على استنباط المراد منها وتوضيحه، فهِموا ما يكفيهم من قول يحيى عليه السلام، ولا مانع أنْ

(١) د. السامرائي: نبوة محمد من الشك إلى اليقين ص ٣٠٠ - ٣٠١ نقلاً عن كتاب: الإنجيل والصليب للمهتدي عبدالأحد داود ص ٣٨- ٥٣.

(٢) إنجيل يوحنّا ١/ ٢٣.

يكون علماؤهم قد اختصّوا بأشياء لا يفهمها عوامّهم، لذلك كانوا هم المعنيّين بقوله تعالى ﴿ولاتَلْبِسُوا الحقَّ بالباطلِ وتكْتُموا الحقَّ وأنتم تَعْلمون﴾[1].

قال الرازي في تفسيره لهذه الآية: «والمعنى ولاتَلْبسوا الحقَّ بسبب الشُّبُهات التي تُورِدُونها على السامعين، وذلك لأنّ النصوصَ الواردة في التوراة والإنجيل في أمر محمد ﷺ كانت نصوصًا خفيَّة يُحتاجُ في معرفتها إلى الاستدلال، ثم إنّهم كانوا يجادلون فيها، ويُشوّشون وجهَ الدلالةِ على المتأمِّلين فيها بسبب إلقاء الشُّبهات»[2].

قال المحقِّق السيالكوتي: «وقد قال العلماء: ما انفكّ كتابٌ منزل من السماء مِنْ تضمّن ذكْرِ النبيّ ﷺ، لكنْ بإشارات، ولو كان منجليًا للعوامّ لَمَا عُوتب علماؤهم في كتمانه، ثم ازداد ذلك غموضًا بنقْله من لسانٍ إلى لسان، من العبري إلى السُّرياني، ومن السُّرياني إلى العربي، وقد ذكَرَتْ محصّلةٌ ألفاظًا من التوراة والإنجيل إذا اعتبرتها وجدتها دالّة على صحّة نبوّته عليه السلام، بتعريضٍ هو عند الراسخين في العلم جليّ، وعند العامّة خفيّ»[3].

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - أنّه لايُشترَط حتى يكون النبيُّ محمد ﷺ مكتوبًا في كتب أهل الكتاب أنْ يكونَ مذكوراً بصريح اسمه العربي، بل يكفي الإخبار عنه وعن صِفَته ومخْرجه ومهْجَرِه، وهذا أبلغ من الاكتفاء بذكر الاسم الصريح؛ لأنّ الاشتراك في الأسماء الصريحة واقع، فلا يحصل التعريف والتميز، ولايشاء أحدٌ يُسمَّى بهذا الاسم أنْ يدّعي أنّه هو إلاّ فعل؛ لأنّ الحوالة إنما وقعت على مجرد الاسم الصريح الذي لا يحصل به البيان والتعريف التامّ، بخلاف ذكْرِه بنعْتِه وصِفَتِه وعلاماتِه ودعْوتِه وصفة أُمَّتِه ووقت مخرجه وأرض

(١) سورة البقرة آية ٤٢.

(٢) انظر تفسيره: مفاتيح الغيب، ط٢، ٤٢/٣ عند تفسير آية ٤٢ من سورة البقرة.

(٣) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق، بتحقيقي، ط١، ص ١٠٨٤، نقلاً عن المحقق عبدالحكيم السيالكوتي في حاشيته على البيضاوي.

مهجره، فإنّ هذا يجعله مميّزاً محصوراً في شخص واحد بعينه، ولا يشكّ مَنْ عَرف هذه الصفات ورأى محمداً ﷺ أنّه هو المراد بالبشارات. ومعلوم أنّ المعرفة الواردة في قوله تعالى ﴿**الذين آتيناهمُ الكتابَ يَعْرِفونه كما يَعْرِفون أبناءَهُم وإنّ فريقًا منهم ليَكْتُمونَ الحقَّ وهم يعلمون**﴾[١]، إنما هي معرفة النّعْتِ والصِّفة المكتوبة عند أهل الكتاب، والمنطبقة عليه حذو القذّة بالقذّة[٢].

ولايعني كلام هؤلاء العلماء عدم وجود اسم محمدﷺ الصريح في كتب أهل الكتاب، وإنما هو من قبيل مجاراة الخصم، ولا مانع يمنع من اجتماع الاسم والنعت في البشارة، وابن القيم نفسه - وغيره من العلماء - روى عدة بشارات ذُكر فيها اسم محمدﷺ تصريحًا.

وذكَرَ المهتدي بشرى زخاري ميخائيل أنّه توجد فقرات في الكتاب المقدّس تبشّر بمجيء مَسيّا[٣] آخر غير المسيح، ثم قال:

«ولقد قمتُ بدوري بمحاولة تلمّس الحقيقة في هذيْن الرأييْن متمسّكًا بمبدأ الحَيْدَة، متجنبًا النزعة التزمتية، مستهدفًا الحقيقةَ أيّاً كانت، وقد انتهيت إلى ما وجدت أنّه حقّ وأنّه صواب، وهو أنّه على فرض أنّ هناك آيات ليس المقصود بها البشارة بمجيء (محمد) فإنّه ممّا لا يحتمل الشكّ أنّ هناك آيات لاتحتاج إلى تأويل أو تفسير في أنّ القادم من نسل إسماعيل هو النبي المنتظَر»[٤].

جـ- تحذير المسيح عليه السلام من الأنبياء الكَذَبَة:

قد يتمسّك النصارى بتحذير المسيح عليه السلام من الأنبياء الكَذَبَة الذين يأتون من بعده كما في إنجيل متّى ٧/ ١٥ «احْتَرِزوا من الأنبياءِ الكَذَبَةِ الذين يأتُونَكُم بثيابِ الحُمْلانِ ولكنّهم من داخلٍ ذئابٌ خاطفةٌ».

(١) سورة البقرة آية ١٤٦.

(٢) ابن القيم: هداية الحيارى ص ٩٣ - ٩٤.

(٣) مسيا: كلمة آراميه معناها رسول.

(٤) انظر كتابه: محمد رسول الله هكذا بشّرت به الأناجيل ص ٦٢ - ٦٣، وانظر كذلك كتاب المهتدي الدكتور إبراهيم خليل أحمد: محمد في التوراة والإنجيل ص ٩٠.

والحقّ أنّ تمسّكهم بهذه الفقرة لنفي نبوة محمد ﷺ من أوضح الباطل وأكْذَبه؛ لأنّ المسيح عليه السلام ما نفى إتيانَ نبيّ صادق من بعده، لكنّه حذّر من المتنبئين الكذّابين بدليل الفقرة ١٦ من نفس الإصحاح وهي قوله: «منْ ثمارِهم تَعْرِفونهم. هل يَجْتَنُونَ من الشَّوْكِ عِنَبًا أو مِنَ الحَسَكِ تينًا».

وهذه الفقرة تبيّن أنّ النبيَّ الصادقَ تصاحبُه حالاتٌ تُظْهِرُ صدْقَه، والمتنبئ الكذّاب تصاحبُه حالاتٌ تُظْهِر كَذِبَه، وقد ظهر بعد المسيح متنبئون كذّابون كثيرون باعتراف رسائلهم:

ففي الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣/١١ «لأنّ مِثْلَ هؤلاءِ هُمْ رسُلٌ كَذَبَةٌ فَعَلَةٌ ماكِرُون».

وفي رسالة يوحنا الأولى ١/٤ «لأنّ أنبياءَ كَذَبَةً كثيرينَ قَدْ خَرَجوا إلى العالَم».

وفي سفر أعمال الرسل ٦/١٣ «ولمّا اجتازا الجزيرةَ إلى بافُوسَ وَجَدَا رجُلاً ساحراً نبيّاً كذّابًا يهوديّاً اسمه بارْيَشُوعُ».

وفي إنجيل متّى ٢٤/١١ و٢٤ - ٢٥ «(١١) ويَقومُ أنبياءُ كَذَبَةٌ كثيرون ويُضلّون كثيرين... (٢٤) لأنّه سيقُومُ مُسَحاءُ كَذَبَةٌ وأنبياءُ كَذَبَةٌ ويُعْطُونَ آياتٍ عظيمةً وعجائبَ حتّى يُضِلُّوا لَوْ أمْكَنَ المختارينَ أيضًا (٢٥) ها أنا قدْ سَبَقْتُ وأخْبَرْتُكُم».

ويفهم كلُّ ذي عقلٍ سليمٍ من هذه الفقرات وبكلّ بساطةٍ ووضوحٍ أنّ المسيحَ عليه السلام يحذّرُ من الأنبياءِ الكذَبَةِ مهما أَتَوْا به من العجائبِ، لكنّه لم يَنْفِ مجيءَ نبيٍّ صادقٍ بعدَه، بل بشّر بهذا النبي المبارَك الآتي باسم الربّ.

وقد علّق المهتدي بشرى زخاري ميخائيل على هذه الفقرات بأنّ تقريرَ المسيحِ عليه السلام لا ينفي إتيانَ نبيٍّ بعدَه، وهو يريد منّا أنْ نَمتحِنَ الأنبياءَ

من ثمارهم؛ لأنّ الأنبياءَ الكَذَبةَ ثمارُهم رديئةٌ، ولا يأتي بالثمرة الجيدة إلاّ النبيُّ الصادقُ، ثم بيّن أنّ هذه الفقرات بشارة بوجود نبيّ بعد المسيح، وأنّ المسلمين يُرحّبون بعَرْض سيرة نبيهم محمد ﷺ على هذا الميزان الدقيق، الذي نَصَبَه المسيحُ للتفريق بين الأدْعياء والأُصَلاء[1].

د- هل اليهودُ أحكَمُ قاضٍ في كتبهم؟

يتعلّل النصارى بأنّ اليهودَ هم أحْكمُ قاضٍ في كتبهم، وهم يَعرفون الصادقَ من الكاذب، وهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، فلو علموا صدْقَه لَمَا تركوا الإيمان به.

والنصارى بهذا التعلّل يتنقصون المسيحَ عليه السلام؛ لأنّ اليهودَ كما أنكروا نبوّة محمد ﷺ أنكروا نبوّة المسيح أيضًا، ووصفوه بأقبح الصفات، وكادوا له أعظمَ الكيد، ويزعم النصارى أنّهم قتلوه، فإمّا أنْ يَقْبلوا قول اليهود في المسيح ويقولوا إنّهم كانوا على حقّ أو يردّوه؟ فإنْ ردّوا قول اليهود في المسيح نردّ قول اليهود كذلك في المسيح وفي محمد صلى الله عليهما وسلم؛ لأنّ اليهود كما رفضوا جَعْل البشارات الواردة في كتبهم دالّة على المسيح رفضوا كذلك جَعْل هذه البشارات دالّة على محمد ﷺ، وزعموا أنّها لنبيّ لم يظهر بعد، فإنْ كان اليهودُ أحْكَمَ قاضٍ في كتبهم فلِمَ يُنكِر النصارى عليهم كفرهم بالمسيح عليه السلام ويردّون قولهم فيه؟

وبمثل إنكارهم على اليهود ننكر عليهم إخفاء نبوّة محمد ﷺ، وكما أنّهم لا يلتفتون لتأويل اليهود للبشارات لتدلّ على نبيّ لهم لم يظهر بعد، فكذلك لا نلتفت لتأويل النصارى للبشارات لتدلّ على المسيح، وكما لا يبالون بمخالفة اليهود لهم لا نبالي بمخالفة اليهود والنصارى لنا في شأن البشارات.

قال ابن القيم رحمه الله: «فإذا جاز على اليهود وفيهم الأحبار والعبّاد

(١) انظر كتابه: محمد رسول الله هكذا بشّرت به الأناجيل ص ٧٠ - ٧١.

والزهّاد وغيرهم الإطباق على جحد نبوّة المسيح والكفر به مع ظهور آيات صِدْقه كالشمس، جاز عليهم إنكار نبوّة محمد ﷺ »[1].

هـ- محمد ﷺ أعقلُ أهلِ الأرض:

كان محمد ﷺ يُعلِن على الملأ وفي كل نادٍ أنّه مذكور في كتب أهل الكتاب، وكان يحتجّ عليهم بما في كتبهم وبأنّهم يَعْرِفونه كما يَعْرِفون أبناءهم، وكان ﷺ يكرّر ذلك على مسامعهم أينما لقيهم ويوبّخهم على عدم الإيمان به، والرجلُ الكاذبُ لا يفعل هذا الإعلان والاحتجاج لعلْمه أنّهم سيكذّبونه، ويكون مَثَله في ذلك كمن يسمّي شهوداً على حقّه ممن لم يحضروا قضيته، ثم يصرّ على شهادتهم له، فإذا حضروا كذّبوه بدعواه، وهذا لايفعله عاقل.

وقد كان اليهود والنصارى حريصين غاية الحرص على إطفاء نور دين الإسلام وتكذيب نبيّه، وكان محمد ﷺ يَجْبهـهم بهذه الحقيقة، ويذمّهم على إخفائهم الحقّ وكتمانه، ولمّا كان ﷺ من أعقل أهل الأرض باعتراف عدوّه قبْل صَديقه، لذلك ما كان يَشكّ السامعون له أنّ عنده من اليقين ودلائل الصّدْق ما دفعه لإعلان مثْل هذ الأمر العظيم؛ لأنّه أحرصُ الناس على إظهار صدْق نبوته، وأعلمُهم بالطرق التي تصدّقها، وأبْعَدُهم عن فعلٍ أو قول ما يكذّبها «فلو لَمْ يَعْلَم أنّه مكتوبٌ عندهم بل عَلِم انتفاءَ ذلك لامتنع أنْ يُخْبِر بذلك مرّة بعد مرّة ويستشهدَ به ويُظْهِر ذلك لموافقيه ومخالفيه وأوليائه وأعدائه، فإنّ هذا لا يفعله إلاّ من هو أقلّ الناسِ عقلاً؛ لأنّ فيه إظهار كَذِبِه عند مَن آمن به منهم وعند مَن يخبرونه، وهو ضدّ مقصوده »[2].

فالاستدلالُ على قومٍ بما يعْلَمون بُطْلانَه ليس من شِيمةِ الكذّابين، فضْلاً عن

---

(١) انظر كتابه: هداية الحيارى ص ٤٣، وانظر: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٨/١ و١٧٧ و٢٩٣/٢، وإظهار الحق للشيخ رحمت الله، بتحقيقي، ط١، ص ١٠٨٩.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢٩٢/٣، وانظر: الجزيري: أدلة اليقين ص ٢٥٨.

العقلاء الصادقين والأنبياء المكرمين، وشاء الله تعالى أنْ يزيدَ احتجاج محمد ﷺ على أهل الكتاب بما في كتبهم صدْقًا، فأسْلم ناسٌ من علماء اليهود والنصارى، ودخلوا علنًا في دينه، وشهدوا أنّه النبيّ الذي كانوا يتدارسونَ صفاته في كتبهم وينتظرونَ خروجَه كابن سلام والنجاشي وغيرهما، وفي ذلك تصديقٌ لنبوّته، وتأييد لاحْتجاجه عليهم بأنّه مذكورٌ في كتبهم، وردٌّ بليغ على الجاحدين منهم القائلين له ما وجدناك في كتُبِنا، أو في كتُبِنا صفات ليست تنطبق عليك، «وإذا شهد له واحدٌ من هؤلاء لم يوزَن به ملءُ الأرض من الكفرة، ولاتُعارَض شهادتُه بجحود ملء الأرض من الكفار، كيف والشاهدُ له من علماءِ أهل الكتاب أضعافُ أضعافِ المكذّبين له منهم؟»[1].

و- عدمُ تحذيرِ الأنبياءِ السابقين منه ﷺ وعليهم:

من الدلائل الدالّة على صدْق محمد ﷺ أنّ الأنبياءَ السابقين له لم يحذِّروا أقوامَهم منه، ومعروف أنّ ظهورَه وإبطالَه جميعَ الشرائع وقتالَه أهلَ الكتاب وسبيَه لهم، ومحاربتَه طواغيتَ الأرضِ وكسْرَ شوكتِهم ونشْرَ دينِه في ممالكهم أعظمُ حَدَثٍ يمرّ بالعالَم، وكان أنبياءُ بني إسرائيل يحذّرونهم من الفتنة بالكذّابين، كفتنة الدجّال الذي يخرج في آخر الزمان رغم أنّ مدّةَ بقائه يسيرة، ودعوةُ محمد ﷺ عالمية، ودينُه لايزال قائمًا منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، وأتباعُه أضعافُ أضعاف من يتبعون الدجّال، فلو كان الجاحدون صادقين في إنكارهم نبوتَه لكان يجبُ على الأنبياءِ السابقين التحذير منه؛ لأنّ الفتنةَ وقتئذ أكبرُ من الفتنةِ بالدجّال، وحاشا لله تعالى ولرسوله ﷺ أنْ يحذّرَ منه الأنبياءُ، بل هم قد بشّروا به، وأثنوا عليه ومدحوه، وبيّنوا لأُمَمِهم صفاتِه، وطلبوا منهم الإيمان به إنْ أدركوه.

(١) ابن القيم: هداية الحيارى ص ١٠٧، وانظر: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ٢٩٤.

ولو كان في كتب أهلِ الكتاب أدنى تحذير منه أو ذكْر له بالذمّ لكان ذلك من أعظمِ مايحتجّون به عليه في حياته وعلى أُمَّته بعد مماته، ولاحْتجّ به مَنْ كَفَر منهم على مَنْ أسْلم لتوافر دواعي الحقْد والكراهية عندهم له ولأتْباعه، ولكنّ غاية ما يقوله أهل الكتاب في محمدﷺ أمران:

إمّا أنْ يقولوا إنّه ليس موجوداً في كتبهم، وإمّا أنْ يقولوا إنّه موجود فيها بالمدح والثناء.

لكننا ما وجدْنا منهم مَن يقول إنّه مذكورٌ فيها بالذمّ والتحذير، فانتفاءُ الأخبار بذمّه أو بالتحذير منه يوجبُ علْمًا قاطعًا بصدْقه والتبشير به «فلوْ كان عندهم أخبارٌ عن الأنبياء توجبُ ذَمَّه وتكذيبَه والتحذيرَ من متابعته لكانَ إظهارُهم لذلك واحتجاجُهم به أقوى وأبلغ، وكان ذلك ممّا يَجبُ في العادةِ اشتهاره بين خاصّتهم وعامّتهم قديمًا وحديثًا، وكان ظهور ذلك فيهم أوْلى وأحرى من ظهورِ خبرِ الدجّال فيهم وفي المسلمين، فإنّ هذا الأمرَ من أعظمِ ما تتوفّر الهِمَم والدواعي على نقْلِه واشتهاره... فإذا لم يُخْبِروا أنّه كاذبٌ عُلِم أنهم أخبروا أنّه نبي صادق»[1].

ز- ادّعاء ختْم النبوة قولٌ خطير:

لئن كان ادّعاءُ النبوّة قولاً خطيراً، فإنّ الأخطر منه ادّعاء ختمها والإعلام بأنّه لا نبيَّ بعده، وهذا كافٍ للاعتبار والاستدلال على صدْقه ﷺ؛ لأنّ هذه الدعوى لايجرؤ عليها بالزّور إلاّ رجل غليظُ القلب، فاسدُ الفطرة، واسعُ الأطماعِ، جريءٌ على الله، ومَن كان هذا وصْفه لا شكّ أنّ حياتَه تكون مليئةً بالجرائم والفجور وتقلّب الأحوال الشاذّة، ومَن درَسَ سيرةَ محمدﷺ قبْل الأربعين في عنفوان شبابه، وجدَها مليئةً بالصدْق والأمانة والعفّة وإغاثةِ الملهوفِ ونُصْرةِ المظلومِ وصِلَةِ الرحمِ، فكيف بَعْدَ الأربعين وقد بلَغَ الكمالَ في العقْلِ والرأيَ

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣/ ٢٩٧، وانظر: هداية الحيارى لابن القيم ص ١٠٨.

والاستقامة؟! أليس كان كلُّ مَنْ يَراهُ لأولِ وهْلةٍ يَعتقدُ أنّ هذا الوجْهَ ليس بوجهِ كذّاب؟!

ولئن تجرّأ كاذبٌ على ادّعاء النبوّة فلنْ يتجرأ على القول بختْمها؛ لأنّ شجرةَ النبوات متّصلة قبْل محمد ﷺ بآلاف السنين، والكاذبُ يريدُ رواجَ دعوته بالانتساب لهذه الشجرة لا بقطْعها، فإعلانُ محمد ﷺ أنّ سلْسلَة النبوات قد خُتمتْ به، وأنّ شَجَرَتَها قد انقطعتْ بمبعثه فلا نبيّ بعده، ومضيّ أكثر من أربعةَ عشَرَ قرنًا على هذا الإعلان دون أنْ يَظْهرَ نبيٌّ يَنْقضُه، لَهُوَ أكبرُ دليلٍ قاطعٍ على صدْقه ﷺ، ولولا ثقتُه بصدْقِ إعلانه ذاك ماتجرّأ على قطْعِ شجرةِ النبوّاتِ والقولِ بختْمها بمجيئه؛ لمخالفةِ ذلك لسنّةِ الخليقةِ في الأنبياءِ قبله[1].

(١) عفيف عبدالفتاح طبّارة: روح الدين الإسلامي ص ١٥١.

الخاتمة(١)

بعدَ هذا البحث الطويل في بطونِ كتبِ العهدين لاستخراجِ الأدلّة على تحريفِها ونسْخها، وبُطلانِ الاعتقاد بالتثليث وألوهيّة عيسى عليه السلام، وبيانِ صدْق نبوّة محمد ﷺ، وصحّة كونِ القرآنِ الكريمِ كلام الله تعالى، أرى أنْ تكون الخاتمةُ في بيانِ النّظْرة الإسلامية لعيسى عليه السلام من خلال آياتِ القرآنِ الكريمِ، وذلك لأنّ موضوعَ الألوهيةِ هو رأس جميعِ الاعتقاداتِ وأساسها.

وإنني أدْعوا الخصْمَ الآن بعد بيانِ بُطلان أهمّ عقائده - أعني ألوهيّة المسيح والتثليث - وبطلان جميع الشبه التي أوْردَها على القرآنِ الكريم إلى الاستماع لهذا القرآن الكريم، ليعطينا القول الفصْل في عيسى عليه السلام، فقد ذُكرتْ قصّتُه في القرآن في عدة مواضع، وكانت السّمةُ البارزة فيها نَفْيَ ألوهية عيسى ونَفْيَ بنوّته لله تعالى، وإظهارَ بشريّته وعبوديّته لله.

ففي سورة آل عمران بعد ذكْرِه تعالى لنذْرِ امرأةِ عمران وهي كبيرة في السنّ وولادتها مريم، ثم ذكْرِه تعالى لقصّة كفالةِ زكريا عليه السلام لمريم، وماحدَث من إكرام الله لها في المحراب ونشْأتها النشأةَ الطيّبة برعاية الله تعالى، ثم تبشير الملائكة لزكريّا بالغلام على كِبر سنّه وسنّ زوجته العاقر، كلّ هذه القصص المتلاحقة في سورة آل عمران سِيقت لبيانِ قدرةِ الله تعالى على كلّ شيءٍ، وأنّه قد يَخْلُق إنسانًا من غير أبٍ ولا أمّ كما خَلَقَ آدمَ، وقد يَخْلُق إنسانًا من أبٍ وأمّ كما هو المشاهَد في كلّ بني البشَر، وقد يَخلُق إنسانًا من أبويْن

(١) ذكرتُ خاتمةً قصيرة في نهاية القسم الأول المخصّص للمناظرة الكبرى، وأمّا خاتمة هذا القسم فمقتطفة بنصّها من كتابي: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ط١، ص ٢٠٤ - ٢١٠.

كبيرين في السنّ لا يولد لمثلهما عادة كما حصل لعمران وزوجته وزكريّا وزوجته، ومن قَبْلهما إبراهيم وزوجته، وقد يَخْلُق اللهُ إنسانًا من أمّ بلا أب كما خلق عيسى عليه السلام، وهذه القصص كلها توْطئة للحديث عن عيسى، وتقرير بشريّته وتناسله من البشَر أيضًا، وأنّ أُمّه من البشَر، وهو كذلك من البشَر، وهو عبدالله ورسوله، وليس بإله ولا ابن الإله.

وبعد سرْدِ هذه القصص كلها يأتي تبشيرُ الملائكة لمريم بعيسى، وأنّه يكلّم الناسَ في المهْدِ وكهْلاً، وأنّه وإنْ كان الغالب من أمْرِ الناس أنّهم يتكلّمون كُهولاً وشيوخًا، إلاّ أنّ ذلك حُجّة واضحة على أنّ عيسى كان في معاناة أشياء مولوداً ثم كهْلاً ثم شيْخًا، ومَنْ كان هذا شأنه متقلّبًا في هذه الأطوار الجسمانية متغيراً بمرور الأيام من صغَر إلى كبَر فليس بإله؛ لأنّ الإله منزه عن هذا الوصف[١]، قال تعالى: ﴿**إذْ قالتِ الملائكةُ يامريمُ إنّ اللهَ يبشّرُكِ بكلمةٍ منْهُ اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ وجيهًا في الدنيا والآخرةِ ومن المقرَّبينَ ويكلِّمُ الناسَ في المهْدِ وكَهْلاً ومن الصالحين**﴾[٢]، فنصّت الآيةُ على أنّه ابنُ مريم؛ لِينتفيَ الشكُّ في أنّه بشَرٌ، وأنّه ليس إلهاً ولا ابن الإله.

وتستغربُ مريمُ أنْ يكون لها ولدٌ وهي ليستْ بذات زوجٍ، فيجيبها الملَكُ بأنّ اللهَ يخلُقُ مايشاء لأنّه على كل شيءٍ قدير: ﴿**قالتْ ربِّ أنّى يكونُ لي ولدٌ ولم يمْسَسْني بشَرٌ قال كذلكِ اللهُ يخلُق ما يشاءُ إذا قضى أمرًا فإنما يقولُ له كنْ فيكون**﴾[٣].

وفي كلّ أمْرٍ خارق للعادة كان عيسى عليه السلام يُسْنِدُ تدبيرَه إلى الله، فالطينُ الذي يَنفخ فيه عيسى فيصيرُ طيْرًا: صار بإذن الله، وإبراء المرضى على

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/٢٦٩، وتفسير القرطبي م٢ ج٤ ص ٩٠-٩١، وتفسير ابن كثير ١/٣٦٤.

(٢) سورة آل عمران آية ٤٥ - ٤٦.

(٣) سورة آل عمران آية ٤٧.

يديه: حصل بإذن الله، وإحياء الموتى على يديه: كذلك وقع بإذن الله، فكيف يكون إلهًا مَنْ يَنفِي عن نفسه الألوهية، وهو رسول من قِبَل الإله الحق؟!

وفي سياق القصة في سورة آل عمران تصريحٌ مهمٌّ من عيسى بعبوديته لله ربِّه وربِّ الناسِ كلّهم: ﴿إنّ اللهَ ربّي وربُّكم فاعبدوهُ هذا صِراطٌ مستقيم﴾[1].

﴿وقال المسيحُ يابني إسرائيلَ اعبدوا اللهَ ربّي وربَّكم إنّه مَنْ يُشْرِكْ بالله فقدْ حرَّمَ اللهُ عليهِ الجنةَ ومأواهُ النّارُ وما للظالمين مِنْ أنصار﴾[2].

فلم تَكْتفِ الآية هنا بنقْل نصّ عيسى على عبوديته لله بلْ زادتْ بيانًا أنّ تأليهَ عيسى والتقرّبَ إليه بأيّ نوع من أنواعِ العبادة شركٌ يُحرِّم على صاحبه دخولَ الجنة ويُسْكنه في النار، وأمّا الآية الأخرى في السورة فتنفي ألوهيةَ عيسى وتقرّر بشريَّتَه وبشريَّةَ أمّه كذلك بأنّهما كانا يأكلانِ الطعامَ، والإله لا يأكلُ الطعام؛ لأنّه مستغن عنه، وكفى بالأكْل والشُّرْب وما يتْبعه من بولٍ وغائطٍ دليلاً أكيداً على البشرية ونفْي الألوهية عمّن يعتريه ذلك، قال تعالى: ﴿ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاّ رسولٌ قدْ خلَتْ مِن قبْلِه الرسُلُ وأمّه صدِّيقة كانا يأكُلاَنِ الطعامَ انظُرْ كيفَ نبيّنُ لهمُ الآياتِ ثمّ انظُرْ أنّى يؤْفَكُون﴾[3].

وفي سياق قصة آل عمران إشارةٌ لقدْرة الله تعالى على خَلْق عيسى من غيرِ أب، وأنّه خلَقَ قبْله آدمَ من غير أب ولا أمّ، وفيه تأكيدٌ آخر لبشريّته ونفْي ألوهيّته: ﴿إنّ مثلَ عيسى عندَ اللهِ كمثلِ آدمَ خلَقَهُ من تُرابٍ ثم قالَ لهُ كنْ فيَكونُ الحقُّ من ربّكَ فلا تَكُنْ من الممْتَرين﴾[4]، ومَنْ قال في عيسى غير هذا القول فهو كاذبٌ يستحقُّ لعنةَ الله؛ لأنّه ما منْ إله إلا الله، والله عزيز حكيم قويّ قادر على الانتقام ممّن يُؤَلّه عيسى ابنَ مريم ويدّعي بنوّته لله:

(١) سورة آل عمران آية ٥١، ومثلها في سورة مريم آية ٣٦، وسورة الزخرف آية ٦٤.

(٢) سورة المائدة آية ٧٢.

(٣) سورة المائدة آية ٧٥.

(٤) سورة آل عمران آية ٥٩ - ٦٠.

﴿إنّ هذا لَهُوَ القَصصُ الحقُّ ومــا منْ إلـهٍ إلا اللهُ وإنّ اللهَ لهُوَ العــزيزُ الحكيم﴾(١).

وأمّا القصةُ في سورةِ المائدة فتبدأ بتذكير عيسى بنعمة الله عليه وعلى والدته، وتكْليمه الناسَ في أطوارهِ المختلفة، وتعْليمه التوراةَ والإنجيلَ، وحصول المعجزات على يديه بإذن الله، وحمايته له من كيدِ بني إسرائيل، فهذه النّعَم كلّها تكون من مُنْعِمٍ وهو الله، والمنعَم عليه وهو عيسى، ويجب على المنعَم عليه شُكْر المنعِمِ وعبادته، ومن كان منعَمًا عليه فليس بإله، ومن احْتاج لحماية غيره له فليس بإله، إذْ الإله مستغنٍ عن غيره، فحمايةُ الله لعيسى تبيّن أنّه ليس بإله وأنّه بشَرٌ، وفي القصة كذلك شهادةُ الحواريين في عيسى - وقولهم حقّ يؤخذ به؛ لإيمانهم بالله وقرْبهم لعيسى - فقولهم له:

﴿ياعيسى ابنَ مريمَ هلْ يستطيعُ ربُّكَ أنْ يُنَزّلَ علينا مائدة من السماء﴾(٢)، فيه إشارةٌ كذلك لبشريّة عيسى ونفْي ألوهيتهِ من وجهيْن:

أوّلهما: قولهم ﴿ياعيسى ابنَ مريم﴾ فنسبوه لأمّه ولم ينسبوه إلى الله.

ثانيهما: قولهم ﴿هلْ يستطيعُ ربُّك﴾ ولو كان إلهًا لقالوا له: هل تستطيع، وقولهم ﴿ربُّك﴾ فيه دلالة على أنّه مربوب وعبْدٌ للرب الخالق.

ثم قول عيسى في طلبه المائدةَ من الله ﴿اللهمَّ ربّنا أنْزِل علينا﴾ نفْيٌ لألوهيته، وتأكيدٌ واضحٌ لبشَريّته، وأنّه عبْدٌ مربوب لخالقه الذي هو الإلهُ الحقّ.

ثم تُخْتَم القصّة ببيان استجواب اللهِ لعيسى يومَ القيامة عن هذا الافتراء الذي افتراه النصارى بادّعائهم ألوهيّة عيسى وأمّه، واستعظام عيسى لهذه الكلمة، وبيانه أنّ هذا ليس من حقّه، وأنّه ما قال إلاّ ما أمر به من أنّه بشَرٌ رسولٌ عبْدٌ يأمرُ الناسَ بعبادة اللهِ ربِّه وربِّهم، وهذا فيه كذلك تصريحٌ من عيسى

(١) سورة آل عمران آية ٦٢.

(٢) سورة المائدة آية ١١٢.

نفسه بعبوديته لله ونفْيه الألوهيّةَ عن نفسه وعن أُمِّه، وتنزيهه للّه عن الشريك والولد: ﴿وإذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأَنتَ قُلتَ للناسِ اتّخِذوني وأمّيَ إلهيْنِ من دونِ اللهِ قالَ سُبحانكَ ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليسَ لي بحقٍّ إنْ كُنتُ قُلْتُه فقدْ علِمْتَه تعْلَمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسكَ إنّكَ أنتَ علاّمُ الغُيوب ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتَني به أنِ اعبدوا اللهَ ربّي وربَّكم وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمْتُ فيهم فلمّا توفيْتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم وأنتَ على كلِّ شيءٍ شهيد﴾(١).

وأمّا في سورة مريم فتتخذ القصةُ أسلوبًا آخَرَ لبيان بشرية عيسى ونفْي ألوهيّته، حيث تُبيّن حَمْل مريم بعيسى كما تَحمل النساء، وولادتها كما تَلد النساء؛ وتبدأ القصة بظهور الملَك لمريم بشكْلِ بشَر، ومجادلتها له في هذا الأمر، وأنّها ليستْ بذات زوج ولا من البغايا، ثم وصْف الموهوب لها بأنّه غلامٌ، وأنّه يكلّمُ الناسَ، وأنّ ذلك أمر هيّن على الله، كلّ هذا تمهيد وتوطئة لإظهار بشريّة عيسى وتقريرها، حيث إنّ كلّ آية فيها ما يشير لذلك من قريب أو بعيد، فالقصة في سورة آل عمران ذكرتْ مولد أُمّه ونشْأتها وبشريتها، وفي سورة مريم ذكرتْ مولد عيسى ونشأته وبشريته، قال تعالى ﴿واذْكُرْ في الكتاب مريمَ إذِ انتبذتْ مِن أهلِها مكانًا شرقيّاً فاتّخذتْ مِن دُونِهمْ حِجابًا فأرْسلْنا إليها رُوحَنا فتمثّل لها بشَرًا سويّاً قالتْ إنّي أعوذُ بالرّحمن منكَ إنْ كنتَ تقيّاً قال إنّما أنا رسولُ ربّكِ لأهَبَ لكِ غلامًا زكيّاً قالتْ أنّى يكونُ لي غلامٌ ولمْ يَمْسَسْنِي بشَرٌ ولمْ أكُ بغيّاً قالَ كذلكِ قالَ ربُّكِ هو علَيَّ هيّنٌ ولِنَجْعَلَهُ آية للناسِ ورحمة منّا وكانَ أمرًا مَقضيّاً فحملتْه فانتبذتْ به مكانًا قصيّاً فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النخلةِ قالتْ يا ليتَني متُّ قَبْلَ هذا وكنْتُ نَسْياً منسيّاً فناداها مِنْ تَحتِها ألاّ تَحْزَني قدْ جعَلَ ربُّكِ تَحتَكِ سَريّاً . . ﴾(٢).

---

(١) سورة المائدة آية ١١٦- ١١٧.

(٢) سورة مريم آية ١٦- ٢٤.

وولادة مريم، وتمنّيها الموتَ، ومناداة عيسى لها بالأكْلِ من الشجرة، والشرْبِ من النهر، والصيام عن الكلام، كلّ هذا دلالة على أنّها من البشَر وليس فيها جزءٌ من الألوهية؛ لأنّ الصفاتِ السابقةَ صفاتُ نقْصٍ يتنزّه الإله عنها.

وهذه الآيات بعْد إظهار بشرية مريم أمّ عيسى، بدأت بإظهار بشرية عيسى نفسه، حيث أخذته أمُّه مولوداً صغيراً فاستنكر قومُها ذلك **﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلِّم مَنْ كان في المهْدِ صبيًا﴾**(١)، فوصفوه بأنّه صبيّ، والصّبيّ سيكبُر ويتغيّر، ثم نطْقه بأنّه عبدُ الله آتاه الكتابَ وهو نبيّ، كلّ هذا تأكيدٌ لبشريّة عيسى ونفْي لألوهيّته: **﴿قالَ إنّي عبدُ اللهِ آتانيَ الكتابَ وجَعلني نبيّا﴾**(٢)، ويؤكّد هذه العبودية بأنّ اللهَ جَعله مباركًا - والجعْل يحصل من جاعل - وأنّ الله أوصاهُ بالصلاةِ والزكاة، وهما من العبادات المفترضة على العبيد لله تعالى، وأنّ الله تعالى قد أوصاه ببرّ والدته، ولم يقُلْ بوالديّ كما قال يحيى قبْله، وهذا كذلك فيه تأكيدٌ على بشريّته، وأنّه ليس له والد، بل له والدة فقط هي مريم: **﴿وجعَلَني مباركًا أين ما كنتَ وأوصاني بالصلاةِ والزكاةِ مادمْتُ حيّاً وبراً بوالدتِي ولمْ يَجْعَلْني جبّارًا شَقيّا﴾**(٣).

ثم إنّ لعيسى ثلاثةَ أيام كما لغيره من البشَر: يومٌ وُلد فيه ويومٌ يموت فيه ويوم القيامة يُبعَث حيّاً بعد موته، وهو تأكيد آخر لعبوديته لله، وأنّه بشَر يَجْري عليه ما يَجْري على سائر البشَر؛ لأنّ مَن يُولَد بعد عدَمه، ومَن يموتُ بعدَ حياته، ومَن يُبْعَث بَعْد موته ليس بإله، بل هو بشَر وصفاته هذه صفات البشَر: **﴿والسلامُ عليَّ يومَ وُلِدْتُ ويومَ أموتُ ويومَ أبْعَثُ حيّا﴾**(٤).

وتُخْتَم القصة بما خُتمتْ به في سورة آل عمران من بيان قدْرة الله تعالى على

(١) سورة مريم آية ٢٩.
(٢) سورة مريم آية ٣٠.
(٣) سورة مريم آية ٣١- ٣٢.
(٤) سورة مريم آية ٣٣.

خلْق ما يشاء، واعتراف عيسى بعبوديته لله، وأنّ هذا هو الدّين الحقّ. يقول تعالى: ﴿ذلكَ عيسى ابنُ مريمَ قولَ الحقِّ الذي فيه يمْترونَ ما كانَ للهِ أنْ يَتّخِذَ مِن ولدٍ سبحانَه إذا قضَى أمْرًا فإنّما يقولُ له كنْ فيكونُ وإنّ اللهَ ربّي وربُّكم فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيم﴾[1].

وكذلك آياتُ سورة الزخرف تؤكّد بشريّةَ عيسى وتنفي ألوهيّته. يقول تعالى: ﴿إنْ هوَ إلاّ عبْدٌ أنْعَمْناَ عليهِ وجَعَلْناه مثَلاً لبني إسرائيل﴾[2]، ويقول عيسى عليه السلام: ﴿إنّ اللهَ هو ربّي وربُّكم فاعبدوه هذا صِراطٌ مستقيم﴾[3].

هذه القصصُ والآياتُ كلّها تؤكّد أنّ عيسى وأُمّه من البشَر، وليس فيهما صفات الألوهيّة، وأنّ القولَ بغير هذا كذبٌ وافتراء باللسان كما قال تعالى: ﴿وقالتِ اليهودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ وقالت النصارى المسيحُ ابنُ اللهِ ذلكَ قولُهم بأفواهِهم يُضَاهِئون قولَ الذين كفروا مِن قبْلُ قاتلَهمُ اللهُ أنّى يُؤْفكُون﴾[4].

وبالتالي فهذه القصص كلّها تقريرٌ لوحدانية الله تعالى، ونفْيُ ألوهيّة أحدٍ غيره، ونفْيُ أبوّته لأحَدٍ وبنوّة أحَدٍ له، فاعتبروا أيّها المشركون، يا مَنْ تنسبون إلى الله الولَدَ، ويا مَنْ تقولون إنّ الملائكةَ وعزيراً والمسيحَ أبناءُ الله، وإنْ لم تنتهوا عمّا تقولون من الكفر والافتراء على الله بنسبتكم الولد إليه لَيمسنّ الذين كفروا منكم عذابٌ أليم: ﴿قلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ اللهُ الصّمَدُ لمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفُوًا أحَد﴾[5].

وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأشهدُ أنّ عيسى عبدُ الله ورسولُه، وصلّى اللهُ على نبيّنا محمدٍ وآله، وعلى جميع الأنبياءِ والمرسَلين وآلِهِم وسلّمَ تسليمًا كثيراً، والحمد لله رب العالَمَين.

(١) سورة مريم آية ٣٤ - ٣٦.

(٢) سورة الزخرف آية ٥٩.

(٣) سورة الزخرف آية ٦٤.

(٤) سورة التوبة آية ٣٠.

(٥) سورة الإخلاص آية ١ - ٤.

المصادر والمراجع[1]

١- القرآن الكريم.

أحمد أمين:

٢- ضحى الإسلام، ط ١٠، دار الكتاب العربي.

إبراهيم خليل أحمد:

٣- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٧٢م.

٤- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ط٤، مكتبة الوعي العربي، القاهرة.

الإبياري: إبراهيم الإبياري:

٥- تأريخ القرآن، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

سير أتول ترجي:

٦- الهند الجديدة، ترجمة أمين سلامة وعبدالمنعم المسيدي، ط١، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، ١٩٥٥م.

أحمد عبدالوهاب:

٧- المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(١) لم أذكر مراجع القسم الأول من هذه الرسالة والذي هو بعنوان (المناظرة الكبرى)، وهذه القائمة تضمّ مراجع القسمين معاً.

إحسان إلهي ظهير:

٨- القاديانية، ط٣، إدارة ترجمان السنة، مطبعة المكتبة العلمية، لاهور، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

د. إحسان حقي:

٩- تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٠- مأساة كشمير المسلمة، ط١، الدار السعودية للنشر، جدّة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

د. أحمد منير صالح:

١١- نظُم التعليم في المملكة العربية السعودية، مطبوعات جامعة الرياض، مطابع نجد.

الأعظمي: محمد حسن الأعظمي:

١٢- حقائق عن باكستان، تقديم حسن إبراهيم حسن، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

الأعظمي: وليد الأعظمي:

١٣- المعجزات المحمدية، ط٢، المكتب الإسلامي ودار العربية، دمشق وبيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

الأفغاني: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده:

١٤- العروة الوثقى، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٩هـ.

أ.ل. شاتليه:

١٥- الغارة على العالم الإسلامي، لخّصها ونقلها إلى العربية محبّ الدين الخطيب ومساعد اليافي، ط٤، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

الألمعي: د. زاهر عواض الألمعي:

١٦- مناهج الجدل في القرآن الكريم، ط٢، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٠هـ.

إمداد صابري:

١٧- آثار رحمت الله (باللغة الأردية) طبع بدلهي.

الآمدي: سيف الدين أبو الحسن علي الآمدي:

١٨- الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

إميل لودفنج:

١٩- ابن الإنسان، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٢٧م.

أيوب بك صبري:

٢٠- الجوهر الفريد في ردّ التثليث وتأييد التوحيد، ط١، المطبعة العامرة الشرفية، ١٣١٩هـ.

الباجي: علي بن محمد بن عبدالرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي ف٧١٤هـ:

٢١- على التوراة، إخراج د. أحمد السقا، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى ٤٠٣هـ:

٢٢- إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

بانيكار: ك م. بانيكار:

٢٣- آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، مراجعة أحمد خاكي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

البحراني: الشيخ علي بن عبدالله بن علي البحراني المتوفى سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م:

٢٤- لسان الصدق جوابًا لكتاب ميزان الحق، مكتبة الشيخ محمد علي المليجي، مطبعة الموسوعات بمصر، ١٣١٩هـ.

بدوي: د. أحمد بدوي:

٢٥- من بلاغة القرآن، ط٢، مكتبة النهضة المصرية ومطبعتها، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

برنابا:

٢٦- إنجيل برنابا، تحقيق سيف الله أحمد فاضل، ط١، دار القلم بالكويت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

برنارد لويس:

٢٧- الغرب والشرق الأوسط، تعريب د. نبيل صبحي، ١٩٦٥م.

بشرى زخاري ميخائيل:

٢٨- محمد رسول الله هكذا بشّرت به الأناجيل، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م.

البشبيشي: أحمد إبراهيم البشبيشي:

٢٩- الهند خلال العصور.

البصري: أبو الحسين محمد بن علي الطيب البصري المتوفى سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م:

٣٠- المعتمد في أصول الفقه، تحقيق محمد حميد الله، دمشق، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

البطريق: د. عبدالحميد البطريق ود. محمد مصطفى عطا:

٣١- باكستان في ماضيها وحاضرها، دار المعارف بمصر.

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ:

٣٢- فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

البنوري: محمد يوسف البنوري:

٣٣- موقف الأمّة الإسلامية من القاديانية، نشر جمعية تحفّظ ختم النبوة المركزية، باكستان.

البهي: د. محمد البهي:

٣٤- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م.

بوشير: غي دوبوشير:

٣٥- تشريح جثّة الاستعمار، ترجمة إدوار الخراط، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨م.

البوطي: د. محمد سعيد رمضان البوطي:

٣٦- من روائع القرآن، ط٢، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

بوكاي: د. موريس بوكاي:

٣٧- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلْم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

بير زادة: شريف الدين بير زادة:

٣٨- نشأة باكستان، ترجمة عادل صلاحي، ط١، جدّة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

البيضاوي: أبو الخير عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي:

٣٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمّى: تفسير البيضاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

البيهقي: أبو بكر بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ:

٤٠- دلائل النبوة، دار النصر، القاهرة، ١٩٦٩م.

التل: عبدالله التل:

٤١- جـذور البـلاء، ط١، دار الإرشـاد، مطابع دار القلم، بيـروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

السير توماس أرنولد:

٤٢- الدعـوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن ود. عبدالمجيد عـابدين، وإسمـاعيـل النحـراوي، ط٣، مكتبـة النهـضـة المصـرية، ١٩٧٠م.

ابن تيمية: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م:

٤٣- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، مطابع المجد التجارية.

٤٤- إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٤٥- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، مطابع المجد التجارية.

٤٦- مجموع الفتاوى، ط١، دار العربية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٤٧- النبوات، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

الثعالبي: عبدالعزيز الثعالبي:

٤٨- دراسة لأحوال الطوائف والهيئات الإسلامية بالهند، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

جاد المولى: محمد أحمد جاد المولى:

٤٩- محمد ﷺ المثل الكامل، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.

ج. أ. هوبسون:

٥٠- الإمبريالية: ترجمة عبدالكريم أحمد، مراجعة علي أدهم، دار سعد، القاهرة.

جبران خليل جبران:

٥١- يسوع ابن الإنسان، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.

الجبهان: إبراهيم سليمان الجبهان:

٥٢- معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير، ط٢، مطابع الريل، الرياض، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الجرجاني: عبدالقاهر الجرجاني:

٥٣- دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

جريشة: د. علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق:

٥٤- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط١، دار الاعتصام، القاهرة.

الجزيري: عبدالرحمن بن محمد عوض الجزيري المتوفى سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م:

٥٥- أدلّة اليقين في الردّ على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام، ط١، مطبعة الإرشاد بشبرا، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

د. جلال يحيى:

٥٦- الاستعمار والاستغلال والتخلف، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٥م.

الجندي: أنور الجندي:

٥٧- الإسلام في وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير)، ط١، دار الاعتصام ودار العلوم للطباعة، ١٩٧٧م.

٥٨- حركة اليقظة الإسلامية، دار الاعتصام، ١٩٧٩م.

٥٩- شبهات التغريب، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٦٠- العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٧٩م.

الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ:

٦١- الوفا بأحوال المصطفى، صححه وعلّق عليه محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض.

الحدّاد: يوسف درّة الحدّاد:

٦٢- مصادر الوحي الإنجيلي ٣- فلسفة المسيحية.

د. حسن أحمد محمود:

٦٣- الإسلام في آسيا الوسطى، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ١٩٧٢م.

الحسني: عبدالحي بن فخر الدين الحسني:

٦٤- الثقافة الإسلامية في الهند (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف)، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٦٥- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، راجعه ابنه أبو الحسن علي الحسني الندوي، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٦٦- الهند في العهد الإسلامي (جنّة المَشرق ومطلع النور المُشرق)، راجعه وحققه عبدالعلي الحسني وأبو الحسن الندوي، نشر دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

الحكمي: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ:

٦٧- معارج القبول بشرح سلّم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

الحيني: د. محمد جابر عبدالعال الحيني:

٦٨- في العقائد والأديان (الديانات الكبرى المعاصرة)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

الشيخ خالد محمد علي الحاج:

٦٩- مصرع الشرك والخرافة، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة الشئون الدينية بدولة قطر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

خالدي: د. مصطفى خالدي وعمر فروخ:

٧٠- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط٤، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

الخزرجي: أبو عبيدة أحمد بن عبدالصمد الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ:

٧١- بين المسيحية والإسلام، تحقيق د. محمد شامة، ط٢، مكتبة وهبة، ١٩٧٩م.

٧٢- مقامع الصلبان، تحقيق عبدالمجيد الشرفي، نشر الجامعة التونسية، طبع الشركة التونسية، ١٩٧٥م.

الخطيب: عبدالكريم الخطيب:

٧٣- المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

الخطيب: عمر عودة الخطيب:

٧٤- لمحات في الثقافة الإسلامية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

الخطيب: محبّ الدين الخطيب:

٧٥- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

الخضري: الشيخ محمد الخضري:

٧٦- أصول الفقه، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة السعادة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

خلاّف: عبدالوهاب خلاّف:

٧٧- علم أصول الفقه، ط٨، الدار الكويتية للطباعة والنشر، الكويت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي الإشبيلي المتوفى ٨٠٨هـ/١٤٠٦م:

٧٨- مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

دروزة: محمد عزة دروزة:

٧٩- القرآن والمبشّرون، ط٣، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٨٠- القرآن والملحدون، ط١، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

الدواليبي: محمد معروف الدواليبي:

٨١- المدخل إلى علم أصول الفقه، ط٥، مطابع دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

دويدار: د. بركات عبدالفتاح دويدار:

٨٢- الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها، دار التراث العربي للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م.

دينيه: الفونس ايتين دينيه:

٨٣- محمد رسول الله: ترجمة د. عبدالحليم محمود ود. محمد عبدالحليم محمود، دار المعارف.

الرازي: فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ:

٨٤- التفسير الكبير مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران، المطبعة البهية المصرية بميدان الأزهر.

الرافعي: مصطفى صادق الرافعي:

٨٥- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت.

الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي:

٨٦- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

الزركلي: خير الدين الزركلي:

٨٧- الأعلام، ط٣، بيروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

زهرة: محمد أبو زهرة:

٨٨- خاتم النبيين ﷺ، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٧٣م.

٨٩- محاضرات في النصرانية، ط٥، دار الفكر العربي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

الساداتي: أحمد محمود الساداتي:

٩٠- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

السامرائي: د. فاضل صالح السامرائي:

٩١- نبوة محمد من الشك إلى اليقين، ط١، مكتبة القدس، بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

السامرية:

٩٢- التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري، تقديم وتعليق، د. أحمد حجازي السقا، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

سبينوزا:

٩٣- رسالة في اللاهوت والسياسة (نقد علمي لأسفار كتب العهد القديم) ترجمة وتقديم د. حسن حنفي، مراجعة د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، ١٩٧١م.

القمص سرجيوس:

٩٤- هل تنبأت التوراة والإنجيل عن محمد، ط١، المطبعة التجارية الحديثة، ١٩٤٧م.

ابن سعد: محمد بن سعد البصري المتوفى ٢٣٠هـ:

٩٥- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

سعيد حوّى:

٩٦- الرسول ﷺ، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

السقا: د. أحمد حجازي السقا:

٩٧- أقانيم النصارى، ط١، دار الأنصار، مطبعة المجد، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٩٨- المدرسة الصولتية، ط١، دار الأنصار، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٩٩- من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب المتوفى سنة ١٢٣٣هـ:

١٠٠- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ط٤، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

السهسواني: محمد بشير السهسواني الهندي:

١٠١- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ط٣، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٧٨هـ.

سهيل ديب:

١٠٢- التوراة تاريخها وغاياتها لمؤلف أميركي مجهول، ترجمة وتعليق سهيل ديب، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ:

١٠٣- أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق عبدالقادر أحمد عطا، ط١، القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٠٤- لباب النقول في أسباب النزول، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

شارل جنيبير:

١٠٥- المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة د. عبدالحليم محمود، المكتبة العصرية، بيروت.

الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي المتوفى ٧٩٠هـ:

١٠٦- الموافقات في أصول الأحكام، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٠م.

الشامخ: د. محمد عبدالرحمن الشامخ:

١٠٧- التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ط١، دار العلوم ومكتبة النهضة، الرياض، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

الشرقاوي: د. محمد عبدالمنعم الشرقاوي ود. محمد محمود الصياد:

١٠٨- ملامح الهند والباكستان، نشر دار المعارف بمصر، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

د. شعبان محمد إسماعيل:

١٠٩- نظرية النَّسْخ في الشرائع السماوية، مطابع الدجوي، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

شلبي: أحمد شلبي:

مقارنة الأديان

١١٠- اليهودية، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

١١١- المسيحية، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م.

١١٢- الإسلام، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٧م.

١١٣- أديان الهند الكبرى، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

شلبي: د. رؤوف شلبي:

١١٤- أضواء على المسيحية، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ١٩٧٥م.

شلبي: د. عبدالجليل عبده شلبي:

١١٥- الإسلام والمستشرقون، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٧م.

١١٦- صور استشراقية، مجمع البحوث الإسلامية، مطابع الأزهر، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني المتوفى ٥٤٨هـ:

١١٧- الملل والنحل (على هامش الفصل لابن حزم)، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م:

١١٨- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

الشيال: د. جمال الدين الشيال:

١١٩- تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، منشأة المعارف بالإسكندرية، مطبعة التقدم، ١٩٦٨م.

الصابوني: محمد علي الصابوني:

١٢٠- النبوّة والأنبياء، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الصادقي: د. محمد الصادقي:

١٢١- رسول الإسلام في الكتب السماوية، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الصباغ: محمد الصباغ:

١٢٢- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

الصعيدي: عبدالمتعال الصعيدي:

١٢٣- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر، ط٢، مكتبة الآداب ومطبعتها، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

الصواف: محمد محمود الصواف:

١٢٤- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ط١، دار الثقافة للطباعة، مكة المكرمة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

طامي: أحمد بن حجر آل بوطامي:

١٢٥- الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، ط٣، مكتبة الثقافة، الدوحة، قطر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

طبارة: عفيف عبدالفتاح طبارة:

١٢٦- روح الدين الإسلامي، ط١٦، دار العلم للملايين.

١٢٧- اليهود في القرآن، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.

طربين: د. أحمد طربين وصلاح مدني ونبيه عاقل ونور الدين حاطوم:

١٢٨- موجز تاريخ الحضارة، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

طعيمة: د. صابر عبدالرحمن طعيمة:

١٢٩- بنو إسرائيل في ميزان القرآن، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

١٣٠- التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٣١- اليهود بين الدين والتاريخ، ط١، شركة الطباعة الفنية المحدودة، ١٩٧٢م.

طنطاوي: د. محمد سيد طنطاوي:

١٣٢- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط١، دار حراء، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

الطهطاوي: محمد عزت إسماعيل الطهطاوي:

١٣٣- النصرانية والإسلام، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧م.

الطيبي: الشيخ محمد الطيبي:

١٣٤- خلاصة الترجيح للدين الصحيح، وهو مختصر كتاب البحث الصريح في أيّ دين هو الصحيح للمهتدي الشيخ زيادة.

١٣٥- مختصر الأجوبة الجلية لدحض الدعوات النصرانية للمهتدي الشيخ زيادة.

والكتابان على هامش كتاب إظهار الحق.

الظاهري: أبو محمد علي بن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ:

١٣٦- الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة العاصمة، القاهرة، الناشر علي يوسف.

١٣٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

ظفر الإسلام خان:

١٣٨- تاريخ فلسطين القديم، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

العابدي: محمود العابدي:

١٣٩- مخطوطات البحر الميت، منشورات دائرة الثقافة والفنون، جمعية عمّال المطابع التعاونية، عمّان، ١٩٦٧م.

السلطان عبدالحميد الثاني:

١٤٠- مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة وتقديم وتعليق محمد حرب عبدالحميد، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٨م.

عبدالرحمن صالح عبدالله:

١٤١- تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

د. عبدالعال سالم مكرم:

١٤٢- من الدراسات القرآنية، الكويت، المطبعة العصرية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

د. عبدالعزيز سليمان نوار:

١٤٣- الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م.

عبدالقادر شيبة الحمد:

١٤٤- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مؤسسة الطباعة والنشر، جدة، ١٣٨٧هـ.

عبدالله حسين:

١٤٥- المسألة الهندية، ط١، مطبعة التوكل بالجماميز، مصر، ١٩٤٥م.

د. عبدالله محمد الزيد:

١٤٦- التعليم في المملكة العربية السعودية أنموذج مختلف، ط٢، ١٤٠٤هـ.

عبدالوهاب أحمد عبدالواسع:

١٤٧- التعليم في المملكة العربية السعودية بين واقع حاضره وأماني مستقبله، دار الكاتب العربي، بيروت.

عتر: حسن ضياء الدين عتر:

١٤٨- نبوة محمد ﷺ في القرآن، ط١، دار النصر، حلب، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

العثماني: محمد تقي العثماني:

١٤٩- مقدمته لكتاب إظهار الحق باللغة الأردية، مكتبة دار العلوم، كراتشي.

العريني: د. الباز العريني:

١٥٠- المغول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧م.

عزيز محمد حبيب:

١٥١- المملكة العربية السعودية، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ:

١٥٢- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية، ١٣٧٩هـ.

عفيفي: د. حافظ عفيفي باشا:

١٥٣- الإنجليز في بلادهم، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

العقيلي: د. محمد ارشيد العقيلي:

١٥٤- اليهود في شبه الجزيرة العربية، ط١، المطبعة الوطنية، عمّان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

العلمي: عبدالله العلمي الغزّي الدمشقي المتوفى سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م:

١٥٥- سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

عمر عبدالجبار:

١٥٦- دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، ط١، دار ممفيس للطباعة، ١٣٧٩هـ.

عويس: د. عبدالحليم عويس:

١٥٧- ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، النادي الأدبي، الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

عياض: القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤هـ:

١٥٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الغزالي: أبو حامد الغزالي:

١٥٩- المستصفى من علم الأصول، ط١، المطبعة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

فتحـــي عثـــمان:

١٦٠- مع المسيح في الأناجيل الأربعة، مكتبة وهبة، مطبعة مخيمر.

فراج: د. عز الدين فراج:

١٦١- نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي، دار الفكر العربي، القاهرة.

فرغلي: د. محمد محمود فرغلي:

١٦٢- النسْخ بين النفي والإثبات، دار الكتاب الجامعي، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

القسيـس فنـــدر:

١٦٣- ميزان الحق، دار الكتب المصرية، لاهوت رقم ٨٨/ $\frac{٦٢٣}{١٩٩٩}$.

د. فؤاد حسنين علي:

١٦٤- التوراة عرض وتحليل، ط١، ١٩٤٦م.

القرطبي: الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي:

١٦٥- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوّة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، إخراج د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٦٦- الجامع لأحكام القرآن، ط٣، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

قلعه جي: د. محمد رواس قلعه جي:

١٦٧- محمد في الكتب المقدسة، ط٣، دار السلام، بيروت وحلب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ابن القيم: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الشهير بابن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ:

١٦٨- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

١٦٩- بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧٠- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧١- زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ﷺ، المطبعة المصرية ومكتبتها.

١٧٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٧٣- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، إخراج د. أحمد حجازي السقا، ط٢، المكتبة القيمة، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ:

١٧٤- البداية والنهاية، ط١، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

١٧٥- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

الكيرانوي: الشيخ رحمت الله بن خليل الكيرانوي العثماني المتوفى سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م:

١٧٦- إظهار الحق: ملتزم الطبع الشيخ أحمد المليجي الكتبي وأخيه محمد، المطبعة العامرة المحمودية قرب الجامع الأزهر بمصر، جمادى الآخرة ١٣١٧هـ، وعلى هوامشه الرسائل والمناظرة الكبرى.

١٧٧- إظهار الحق: المطبعة الخيرية، بإدارة السيد عمر حسين الخشاب ومحمد عبدالواحد الطوبي وشريكهما، شعبان ١٣٠٩هـ، وعلى هوامشه الرسائل والمناظرة الكبرى.

١٧٨- إظهار الحق: تحقيق د. محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي، ط١، نشر الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٧٩- التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر، تقديم وتحقيق د. بركات عبدالفتاح دويدار، ط١، مطبعة السعادة، ١٩٧٨م.

لوبون: د. غوستاف لوبون:

١٨٠- حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

أبو الليل: محمد مرسي أبو الليل:

١٨١- الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٥م.

مالك بن نبي:

١٨٢- الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨م.

محمد رشيد رضا:

١٨٣- الوحي المحمدي، ط٩، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الشيخ محمد سليم بن محمد سعيد رحمت الله:

١٨٤- أكبر مجاهد في التاريخ، سعى في ترجمته د. أحمد حجازي السقا، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة النهضة المصرية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

محمد عبد المجيد العبد:

١٨٥- الإسلام والدول الإسلامية في الهند، ط١، مطبعة الرغائب، ١٩٣٩م.

محمد مجدي مرجان:

١٨٦- الله واحد أم ثالوث، دار النهضة العربية، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٧٢م.

محمد محمد حسين:

١٨٧- حصوننا مهددة من داخلها، ط٤، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

محمـد ملكـاوي:

١٨٨- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ط١، دار ابن تيمية للنشر، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

محمـود شاكـر:

١٨٩- باكستان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

د. محمود بن الشريف:

١٩٠- الأديان في القرآن، ط٤، دار عكاظ، جدّة والرياض، ١٩٧٩م.

السعودي: أبو الفضل المالكي السعودي(١):

١٩١- المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل، مطبعة التمدن بمصر، ١٣٢٢هـ.

مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ:

١٩٢- صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٩٣- صحيح مسلم بشرح النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

آل معمر: الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ حمد بن ناصر آل معمر:

١٩٤- منحة القريب المجيب في الردّ على عبّاد الصليب، ط٣، دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

---

(١) ذُكر في بعض المعاجم باسم: المسعودي، وفي بعضها باسم: السعودي.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري:

١٩٥- لسان العرب، دار صادر، بيروت.

المودودي: أبو الأعلى المودودي:

١٩٦- ماهي القاديانية، دار القلم، الكويت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١٩٧- نحن والحضارة الغربية، دار الفكر، مطابع معتوق إخوان، بيروت.

مؤلف مجهول:

١٩٨- الهداية، طبع بمعرفة المرسلين الأمريكان بمصر، ١٨٩٨م.

الميداني: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني:

١٩٩- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ط٢، دار القلم، دمشق وبيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

النجار: عبدالوهاب النجار:

٢٠٠- قصص الأنبياء، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

نخبة من ذوي الاختصاص والعلماء اللاهوتيين:

٢٠١- تفسير إنجيل متى، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م.

٢٠٢- الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧١م.

٢٠٣- قاموس الكتاب المقدس، ط٢، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧١م.

الندوي: عبدالحليم الندوي:

٢٠٤- مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، مطبعة نوري المحدودة، مدراس، الهند، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

الندوي: أبو الحسن علي الحسني الندوي:

٢٠٥- إذا هبت ريح الإيمان، مؤسسة الرسالة ودار القلم، الكويت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢٠٦- الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها، مطابع ندوة العلماء، لكهنو، الهند.

٢٠٧- ربانية لا رهبانية، ط١، دار الفتح للطباعة والنشر، المطبعة التجارية، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢٠٨- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ط٣، دار القلم ودار الأنصار، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٠٩- القادياني والقاديانية، ط٣، الدار السعودية للنشر، جدة.

٢١٠- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢١١- المسلمون في الهند، مكتبة دار الفتح، مطابع دار المنار، دمشق، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

الندوي: د. محمد إسماعيل الندوي:

٢١٢- القاديانية عرض وتحليل، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م.

الندوي: مسعود الندوي:

٢١٣- تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، نشر دار العربية، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

النقاش: د. زكي النقاش:

٢١٤- التبشير وسيلة من وسائل الاستعمار، ط١، بيروت، ١٩٧١م.

النمر: عبدالمنعم النمر:

٢١٥- أبو الكلام آزاد المصلح الديني في الهند، مطابع الأهرام، ١٩٧٣م.

٢١٦- تاريخ الإسلام في الهند، ط١، دار العهد الجديدة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

٢١٧- كفاح المسلمين في تحرير الهند، ط١، مكتبة وهبة، مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

نهرو: جواهر لال نهرو:

٢١٨- من السجن إلى الرئاسة (اكتشاف الهند)، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩م.

نور الدين داود:

٢١٩- محنة في الفردوس، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى ٤٦٨هـ:

٢٢٠- أسباب النزول، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨هـ:

٢٢١- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار الكنوز الأدبية.

الهمذاني: القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني المتوفى سنة ٤١٥هـ:

٢٢٢- تثبيت دلائل النبوة، تحقيق د. عبدالكريم عثمان، دار العربية، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

الهواري والجابر:

٢٢٣- صور من الاستعمار، لعدة مؤلفين غربيين، ترجمة ياسر الهواري ومروان الجابر، بيروت، ١٩٥٤م.

وجدي: محمد فريد وجدي:

٢٢٤- دائرة معارف القرن العشرين، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١م.

ول ديورانت:

٢٢٥- قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧م.

الخوري يوسف إلياس الدبس الماروني اللبناني المتوفى سنة ١٩٠٧م:

٢٢٦- تحفة الجيل في تفسير الأناجيل، جمعه من تفاسير العلماء الأفاضل كرنيليوس الحجري ويوحنا ملدوناتوس ويعقوب تيريني اليسوعيين مترجمًا من اللاتينية إلى العربية، طبع باهتمامه واهتمام صديقه الخواجه رزق الله خضرا في المطبعة العمومية، بيروت، ١٨٧٧م.

٢٢٧- مجلة البعث الإسلامي عدد ٥ و٦ و٧ مجلد ٢٠، ١٣٩٦هـ، مقالة بعنوان: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الهند خاصة، لسعيد الأعظمي الندوي.

٢٢٨- مجلة البعث الإسلامي التي تصدرها دار العلوم بلكهنو في الهند عدد١ وعدد ٢ مجلد ٢١، رمضان ١٣٩٦هـ/ أيلول ١٩٧٦م، ص٥١ مقالة بعنوان قصة المقاومة الإسلامية في الهند، للأستاذ واضح رشيد الندوي.

٢٢٩- مجلة البعث الإسلامي عدد ٩ جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٥٥ مقالة بعنوان مولانا رحمت الله الكيرانوي، للأستاذ أبي الحسن الندوي.

٢٣٠- مجموعة تقارير وأبحاث للمدرسة الصولتية حصلت عليها أثناء زيارتي لهذه المدرسة ومقابلتي للقائمين عليها.

فهرس الموضوعات الصفحة

تقريظ الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد ٣

تمهيد الكتاب .... ٥ - ١٠

الباب الأول: مناقشة المنصرين في دعوى التثليث وألوهية المسيح ١١-١٢٦

تمهيد ١٣-١٦

الفصل الأول: إبطال التثليث وألوهية المسيح بأقوال المسيح نفسه ١٧-٤٥

القول الأول: الحياة الأبدية بتوحيد الله والإيمان برسالة المسيح ٢٠

القول الثاني: توحيد الله ومحبته أعظم وصيّة ٢١

القول الثالث: نفيه عن نفسه علم الساعة ٢٢

القول الرابع: نفيه عن نفسه القدرة والمشيئة ٢٥

القول الخامس: نفيه عن نفسه الصلاح تواضعًا ٢٦

القول السادس: صراخه على خشبة الصليب ٢٧

القول السابع: تسويته نفسه مع سائر الناس في أنه مألوه ٢٩

القول الثامن: اعترافه أنّ الآب أعظم منه ٣٠

القول التاسع: تصريحه بأنه يوحى إليه ٣١

القول العاشر: المسيح معلّم ٣٢

القول الحادي عشر: حزنه واكتئابه ينفي ألوهيته ٣٤

القول الثاني عشر: تعبيره عن نفسه بابن الإنسان ٣٥

القول الثالث عشر: تسميته نفسه نبيّاً ٣٧

القول الرابع عشر: تسميته نفسه رسولاً ٣٩

القول الخامس عشر: ما ورد على لسانه بأنه يعبد الله ٤١

القول السادس عشر: تجربة إبليس للمسيح ٤٣

الفصل الثاني: إبطال استدلالهم بنصوص العهد الجديد على ألوهية المسيح ٤٧-٧٩
دليلهم الأول: إطلاق الأناجيل على المسيح لفظ ابن الله ٥٠
دليلهم الثاني: المسيح من فوق وليس من هذا العالم ٥٣
دليلهم الثالث: ما ورد أنّ المسيح والآب واحد ٥٥
دليلهم الرابع: رؤية المسيح رؤية لله لأنّه في الآب والآب فيه ٥٧
دليلهم الخامس: خروج المسيح من عند الله ٦٠
دليلهم السادس: إطلاق لفظ الإله والربّ على المسيح ٦٢
دليلهم السابع: التعميد باسْم الثلاثة ٦٦
دليلهم الثامن: ظهور المعجزات على يد المسيح ٧١
الردّ بالنسبة لإحيائه الموتى ٧٢
الردّ بالنسبة لإبرائه العميان والمرضى ٧٣
الردّ بالنسبة لتكثيره الطعام ٧٤
الردّ العام على ادّعاء ألوهية المسيح لصنعه المعجزات ٧٥

الفصل الثالث: إبطال استدلالهم بنصوص العهد القديم على التثليث ٨١-٩٤
المجموعة الأولى من أدلتهم من العهد القديم: ذكْر لفظ إله أو صفة من صفات الله ثلاث مرات ٨٣
الردّ على أدلة هذه المجموعة ٨٤
المجموعة الثانية من أدلتهم من العهد القديم: تثليث بعض الحيوانات وأقسام الليل ٨٦
الردّ على أدلة هذه المجموعة ٨٧
المجموعة الثالثة من أدلتهم من العهد القديم: صِيَغ الجمع الواردة ٨٩
الردّ على أدلة هذه المجموعة ٨٩

الردّ الإجمالي على مجموع أدلتهم من العهد القديم ٩٠

الفصل الرابع: إبطال استدلالهم بآيات القرآن الكريم على ألوهية المسيح ٩٥-١٢٦

١- استدلالهم بأنّ المسيح روح من الله ٩٧

الردّ على هذا الاستدلال ٩٧

٢- استدلالهم بأنّ المسيح كلمة الله ١٠١

الردّ على هذا الاستدلال ١٠٢

ردّ على اعتراض ١٠٥

٣- استدلالهم بتأييد المسيح بروح القدس ١١١

الردّ على هذا الاستدلال ١١١

مناقشة لنص قانون الإيمان ١١٧

الباب الثاني: مناقشة المنصرين في إنكارهم أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ١٢٧-١٩٠

تمهيد ١٢٩

الفصل الأول: الردّ على الشُّبَه المورَدة ضد القرآن الكريم ١٣١-١٨٢

الشبهة الأولى: عدم التسليم بأنّ عبارة القرآن الكريم في الدرجة القصوى من البلاغة ١٣٤

الشبهة الثانية: مخالفة القرآن الكريم لكتب العهدين ١٤٢

الشبهة الثالثة: اشتمال القرآن الكريم على مضامين غير لائقة ١٤٧

الشبهة الرابعة: أنّ القرآن الكريم لايوجد فيه ماتقتضيه الروح وتتمناه ١٥٠

الشبهة الخامسة: أنّ في القرآن الكريم متناقضات ١٥١

الشبهة السادسة: إحراق عثمان رضي الله عنه المصاحف ١٥٤

الشبهة السابعة: تغيير عمر وعثمان للآيات التي تنصّ على خلافة
عليّ رضي الله عنهم ١٦٠
الشبهة الثامنة: شبهة الأخطاء النحوية والبيانية في القرآن الكريم ... ١٦٤
الشبهة التاسعة: شبهة الأخطاء التاريخية في القرآن الكريم ١٧٠
الشبهة العاشرة: شبهة أخْذِ القرآن الكريم عن أهل الكتاب ١٧٦
الرد الإجمالي على هذه الشبهة ١٧٧
الرد التفصيلي على هذه الشبهة ١٧٩

الفصل الثاني: الأدلة العقلية على كون القرآن الكريم كلام الله تعالى ١٨٣-١٩٠
الدليل العقلي الأول: تأخر نزول الوحي على رسول الله ﷺ في بعض
الحوادث المقتضية للقول الفصل ١٨٥
الدليل العقلي الثاني: نزول القرآن الكريم في بعض الأحيان يعاتب
النبي ﷺ ١٨٦
الدليل العقلي الثالث: إعلان محمد ﷺ تحدّي العالَم كله جنّه وإنسه
بهذا القرآن ١٨٦
الدليل العقلي الرابع: افتراق أسلوب الكلام في القرآن الكريم عن
أسلوب كلام محمد ﷺ ١٨٧
الدليل العقلي الخامس: شهادة محمد ﷺ وإقراره بأنّ هذا القرآن ليس
من كلامه ١٨٩
الدليل العقلي السادس: تكلّم محمد ﷺ بهذا القرآن فجأة وبعد سنّ
الأربعين ١٨٩

الباب الثالث: مناقشة المنصرين في إنكارهم نبوة سيدنا محمد ﷺ
بنصوص كتب العهدين ١٩١-٢٩٢
تمهيد ١٩٣

بشارات كتب العهدين ٢٠١-٢٧٨
البشارة الأولى: (من إخوتهم نبيّاً مثلك) وهي بشارة بمحمد ﷺ والوحي إليه ٢٠١
البشارة الثانية: (فأنا أُغيرهم بما ليس شَعبًا) وهي بشارة بأمّة محمد ﷺ ٢٠٦
البشارة الثالثة: (الاستعلان من جبل فاران) وهي بشارة بنبوة محمد ﷺ وبما يوحى إليه ٢٠٩
البشارة الرابعة: (البركة بإسماعيل) وهي بشارة بمحمد ﷺ ٢١٢
البشارة الخامسة: (حتى يأتي شِيلونُ) وهي بشارة بمحمد ﷺ ٢١٤
البشارة السادسة: (سيف ذو شفرتين) وهي بشارة بجهاد محمد ﷺ وبرياسته وبالتسبيح والأذان ٢١٨
البشارة السابعة: (ولادة العاقر) وفيها إشارة لمكة المكرمة وشعبها وقصم المعتدين عليها ٢٢٤
البشارة الثامنة: (بشارة الملكوت) وهي بشارة بنقل النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل ٢٢٨
المثل الأول: (الخميرة وحبة الخردل) وهو مثل لاتساع رقعة الدين الجديد وكثرة أتباع النبي الموعود ٢٣٢
المثل الثاني: (الآخِرون أوّلون) وفيه بيان فضل الأمة المحمدية على غيرها رغم تأخرها زمنًا ٢٣٣
المثل الثالث: (نزع ملكوت الله من بني إسرائيل وإعطاؤه لأمّة تعمل أثماره) وفيه بيان سبب نزع النبوة من بني إسرائيل وتحويلها إلى بني إسماعيل ٢٣٤
البشارة التاسعة: (بشارة الفارقليط) وهي بشارة صريحة في اسم محمد ﷺ ٢٣٨

معنى لفظ الفارقليط ٢٤١
المبحث الأول: الأمور الدالة على أنّ المراد بالفارقليط هو النبي المبشَّر به محمد ﷺ لا الروح القدس ٢٤٧
المبحث الثاني: الإجابة عن الشبه الواردة على بشارة الفارقليط ... ٢٥٤
الشبهة الأولى ٢٥٥
الشبهة الثانية ٢٥٦
الشبهة الثالثة ٢٥٦
الشبهة الرابعة ٢٥٧
الشبهة الخامسة ٢٥٧
البشارة العاشرة: (رئيس السلام والرياسة على كتفه) وهي بشارة بمحمد ﷺ وببعض صفاته ٢٦٠
البشارة الحادية عشرة: (وحي من جهة بلاد العرب) وهي بشارة بمحمد ﷺ راكب الجمل ٢٦٣
البشارة الثانية عشرة: (غنم قيدار وكباش نبايوت) وهي بشارة بمكة المكرمة ومجدها العظيم المنتظَر لها ٢٦٧
البشارة الثالثة عشرة: (إيلياء المزمع أنْ يأتي) وهي بشارة بمحمد ﷺ وقد رمز أهل الكتاب لاسْمه باسْم إيلياء ٢٧٠
البشارة الرابعة عشرة: (الأمين الصادق) وهي بشارة بمحمد ﷺ ووصفه وجهاده ٢٧٦
تعقيب لابد منه ٢٧٩-٢٩٢
أ - ترجمة الأسماء بمعانيها ٢٧٩
ب- هل يشترط الإخبار التفصيلي عن النبي الآتي؟ ٢٨٤
جـ- تحذير المسيح عليه السلام من الأنبياء الكذَبة ٢٨٦
د - هل اليهود أحكم قاض في كتبهم؟ ٢٨٨

هـ- محمد ﷺ أعقلُ أهلِ الأرض ٢٨٩

و - عدم تحذير الأنبياء السابقين منه ﷺ وعليهم ٢٩٠

ز - ادّعاء ختم النبوة قول خطير ٢٩١

الخاتمة وفيها بيان النظرة الإسلامية القرآنية لعيسى عليه السلام ٢٩٣

فهرس المصادر والمراجع ٣٠١

فهرس الموضوعات ٣٣٣